

فيل وبقل

مجموعة مقالات ادبية ونقدية

لعبير الله كنون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

هذه المجموعة من المقالات والابحاث الصغيرة التي كتبت في أوقات مختلفة اما تحت الحاج بعض الصحف والمجلات ، واما بدافع من هذا الذي يسمونه بأريحية الادب ، وهو أشد إلحاحا من أولئك ، اذ يأخذ بمخنق الكاتب فلا يتركه أو يستجيب لما يمليه عليه .

ولقد كنت نشرت قبلها مجموعتين من هذا القبيل ، احدهما باسم التعاشيب والاخرى باسم واحة الفكر ، وما كان لهما من صدى في الاوساط الادبية ، ولا سيما بالاقطار العربية الشقيقة ، اذ اعتبرهما بعض كبار الكتاب نافذة يتطلع منها على الحركة الادبية بالمغرب ، هو الذي شجعني على تعزيزهما بثالثة هي هذه التي اخترت لها اسم (خل وبقل) .

ولا أكتف القاريء العزيز ان هذا الاسم هو إثارة مما بقي في ذهني من دراساتي الاولى ، فقد روى عن شعبة انه قال : « كل علم ليس فيه حدثنا وأخبرنا فهو خل وبقل » . واذا كان هذا الاقتباس مما ينم عن اتجاه الكاتب وتأثره باصطلاح أهل الحديث ، فإنه لا يسوؤه ذلك بل انه ليسره . وهو لا يستنكف ان يصرح انه انما أعد إعدادا ليكون من هؤلاء الفقهاء الذين يحكمون ويفتون ، وهؤلاء المحدثين الذين يسندون ويروون

ولكن العوامل المختلفة من طغيان الثقافة الادبية على ناشئة هذا العصر . وما عالجناه منذ فجر النهضة التعليمية بهذا الوطن العزيز ، من التمهيد والتمكين للغة الضاد وآدابها ، خشية ان تجرفها الرطانات الاجنبية المختلفة ، وغير ذلك من البواعث والاسباب ، هي التي جعلت هذا الفقيه المحدث ينصرف عن اختصاصه ويتجه هذا الاتجاه .

وماذا في ذلك ؟ وهل بين الادب والفقه والحديث تناقض ؟

ألم يكن ابن قتيبة وابن حزم وابن رُشيد والمقري ، وغيرهم كثير ، من أعلام المحدثين وأعيان الفقهاء وهم مع ذلك من مؤلفي الاداب ، ومصنفي الاخبار ؟

لقد كان القدماء يقولون : إذا أردت أن تكون عالماً فعليك بفن من الفنون لاتعمده الى غيره ، وإذا أردت ان تكون أدبياً فشارك في الفنون كلها ، وهو قول ما يزال صحيحاً حتى الان ، فإن الادب ينتظم جميع أبواب المعرفة ، وما نقص من ثقافة الاديب باب من أبوابها الا ظهر ذلك في انتاجه ، وإنني أسجل أن دراساتي الفقهية والحديثية قد أفادتني كثيراً في الناحية الادبية ، وأني لاحظت مآخذ كثيرة على آثار بعض الادباء انما جاءتهم من عدم إلمامهم بشي من تلك الدراسات . ولا أقول هذا لاشيد بأدبي وأرفع من شأنه ، كما أنني لم أذكر ما ذكرته من أسماء أولئك الائمة ، لا وهم أنني من طبقهم فما سميت هذه المجموعة بخل وبقل الا اشارة الى أنها في الادب ليست بذاك . وهي في علم الرواية والاثر ما حكم به شعبة .

عهد مازيغ الى ابنائه

روى من كان شاهدا اذ حضر مازيغ الموت فقال : لما حضرت الشيخ مازيغ اسباب الوفاة ، وأيقن أنه مفارق هذه الحياة ، جمع أولاده العديدين وقال لهم : يا بني ، اني تارككم وذاهب الى ربي . وسأعهد اليكم ببعض الامور فافقهوا عني ما أعهد إليكم به ولا تضيعوا منه شيئا ، فتجفوني ونكفروا حقي عليكم : انه لا اله الا الله وحده ، ربكم ورب آبائكم الاولين خلقكم ورزقكم وعلمكم ما لم تكونوا تعلمون . وآناكم من من الحول والقوة ما لا قبل لاحد معه بكم . فاعبدوه واشكروا له إليه ترجعون . واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، فإنكم في هذه العدو بمرأى ومسمع من أولئك الاروام أعدائكم الابديين ، وإنهم متى ما آنسوا منكم ضعفا أو رأوا بينكم تخاذلا ، انقضوا عليكم ولم يفلتوكم ، واعلموا ان هذه الارض ، ليست هي منبت آبائنا الاولين ، وموطن أجدادنا السابقين ، وانما طوحت بي اليها المقادير ، وساقطني لها المشيئة ، ولاراد لما قضاه الله وارفضاه ؛

مشيناها خطا كتبت علينا ومن كتبت عليه خطا مشاها
وارزاق لنا متفرقات فمن لم تاته منا أناها
ومن كانت منيته بأرض فليس يموت في أرض سواها
أما أرض الاسلاف فناحية المشرق حيث ينزل هذا الشعب
من أبنا إسماعيل أهل قرباكم ، وذوي رحمكم ، فأياها فتيموا

ولها فاستقبلوا ، وبالقوم هنالك فاعتضدوا ، وعليهم فاجتمعوا ،
فالخير كله من ثم مأناه ، وما توفيقى الا بالله ، عليه توكلت
واليه أنيب.

قال الراوي ومات الشيخ مازيغ وأقام أبناؤه في مأتمه
مجتمعين عدة أسابيع ثم تفرقوا في أحبائهم وقراهم ، على أن
يجتمعوا للنظر في عهد أبيهم بعد الفراغ من أعمالهم الفلاحية
وقضاء مصالحهم الحيوية .

وقد اجتمعوا وتداولوا الرأي فيما بينهم فما أعلم من بنين
كانوا أفهم لغرض أبيهم وأحرص على انفاذ عهده بقسميه
الادبي والسياسي منهم حتى لقد حملوا هذه الارض من أن
تطأها قدم أجنبي ممن ذكر في وصية أبيهم . فما دخلها قط
الا في إدبار من دولتهم وانتقاص من سلطانهم . وأول ما
ما عملوه في هذا السبيل ، عند بلوغ الدعوة الاسلامية إليهم أن خرج
سنة نفر منهم حتى وفدوا على عمر بالمدينة وهو يومئذ أمير
المومنين فقال لهم ؛ «من أنتم ؟ » قالوا «نحن بنو مازيغ» فقال
عمر لجلسائه «هل علمتم قط بهؤلاء» فقال شيخ من قريش ؛
«يا أمير المومنين، هؤلاء البربر من ذرية بر بن قيس بن كهلان
خرج مغاضبا لابيه وإخوته فقالوا بربر اي اخذ البرية فقال لهم
عمر رضي الله عنه ؛ «ما علامتكم في بلادكم» قالوا «نكرم
الخيول ونهين النساء» فقال لهم عمر «الكم مدائن قالوا «لا ،
قال «الكم اعلام تهتدون بها» قالوا «لا ، قال عمر «والله لقد
كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه
فنظرت الى قلة الجيش وبكيت فقال لي رسول الله صلى الله

عليه وسلم يا عمر لاتحزن فان الله سيمرز هذا الدين بقوم من المغرب ليس لهم مدائن ولا حصون ولا أسواق ولا علامات يهتدون بها في الطرق، ثم قال عمر «فالحمد لله الذي من علي برؤيتهم، ثم أكرمهم ووصلهم وقدمهم على من سواهم من الجيوش القادمة عليه .

واذا ترامت اليهم هذه البشارة ازدادوا بينة من أمرهم فلم ينشب أحدهم وهو (طارق) ان جمع جيشا يحتوي على اثني عشر ألف مقاتل من أبناء اخوته وعمومته وعبر بهم بحر الزقاق الى بلاد الاندلس الجميلة ثم حرق الاجفان التي عبروا فيها قطعاً لاملهم في الرجوع وخطب فيهم ضارباً على وتر وصية أبيه فقال: «ايها الناس، أين المفر البحر من ورائكم والعدو أمامكم وليس لكم والله إلا الصدق والصبر واعلموا انكم في هذه الجزيرة أضيع من الايتام في مأدبة اللثام، فما حاصوا حتى قتلوا ملك (القوط) ودوخوا ارض الافرنج فبلغوا ضفاف (اللوار) ناشرين هناك أعلام الحضارة الاسلامية ومؤسسين دولة الثقافة والعلم والادب العربية .

وما أن سول الغرور (لقشتالة) وملكها أن يقضوا على ذلك التراث الحافل ويجلوا اولئك الوافدين الاغراب من أرض الوطن حتى انبرى اليه يوسف من أبناء مازيغ ايضاً وقاتلهم في (الزلاقة) قتالاً شديداً انتهى بالانتصار عليهم وكانت نتيجته بقاء الاندلس في حضانة الاسلام أربعة قرون أخرى .

ولم تزد الحوادث ابناء مازيغ إلا يقينا بصدق نظر أبيهم ،

فبينما (عبد الكريم) يقضي بيلهم في ليلة إذا بأحد أولئك
الاروام يلحق به إهانة لا تحتمل فتار نائر الامازيغ وشنوها غارة
شعوا على أعدائهم الابديين ولقحت الحرب بين الفريقين
قشت الامازيغ على قلتهم وضعفهم وانهزم الاروام على كثرتهم
وقوتهم اذ كانوا قد استنفروا اليها المقاتلين من العالم المسيحي
كله واستنجدوا لها الاكف من الامم الغربية جمعاء وزعموها
آخر الحروب الصليبية التي أعلنتها الكنيسة المتحدة فيما مضى
مدى قرون على الاسلام. وما زالت على افتراقها اليوم تذبذقه
منها الموت الزؤام، انما الله عز وجل اخبر بأنه لا يزال الذين
كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل قريبا من دارهم حتى
ياتي وعد الله ، فلذلك رجعوا على أعقابهم ناكسين . يخرّبون
بيوتهم بأيديهم وايدي المومنين .

هذا في السياسة ، وفي العلم والادب لم يقنع ابناء
مازيغ حتى جلس منهم (عكرمة) بجانب سعيد وعروة والحسن
تاخذ عنه الامة علوم الفقه والدين وبرز منهم في العلم والعمل
(ابو عمران وابوجيدة وابو يعزى وابو شعيب) وكثير غيرهم
وناهيك منهم (بمنذر وسابق) في الخطابة والشعر (والجزولي ،
وأبى حيان) في النحو واللغة .

قال الراوي : ومع هذا لا يزال بعض اولئك الاروام
يحاولون ان يصرفوا الامازيغ الى جهتهم ويقولون لهم انتم
منا نسبا وحسبا ودينا وخلقاء وما الاسلام والعروبة الاد خيلين
عليكم - قطع الله يد ورجل من قالها - وان كان قولهم هذا

لايزيد اخواننا الامازيغ الا تمسكنا باسلامهم وعروبتهم، وضنا بهما
واستماعة في سبيلهما ، حتى لقد نبه ذلك القول الغافلين منهم
والمتهاونين الى ما يجب عليهم من الحقوق وما يطالبون به
من الواجبات فكان الامر كما قال الشاعر :

عداي لهم فضل علي ومنة فلا ابعد الرحمن عني الاعاديا
هم عرفوني زلتى فاجتنبتها وهم نافسونى فاكتسبت المعاليا



- كان هذا الحديث معدا للنشر في كتاب التعاشيب فمنعته
الرقابة وقتذاك .

سابق البربري

ابوسعيد بن عبد الله، هكذا كناه ونسبه في تاج العروس
وقال : روى عن مكحول وعنه الاوزاعي ، فهو إذاً من تابعي
التابعين. وممن سكن دمشق ، اذ ان مكحول دمشقي والاوزاعي
هو إمام اهل الشام ، ويأتي في اخباره مع عمر بن عبد العزيز
ما يؤكد ذلك .

ولما ذكر في الذخيرة السنية ان زناة تنتسب الى بر بن
قيس عيلان قال ؛ وفي ذلك يقول سابق المطمطي حين قتال
البربر للروم بافريقية ايام سليمان بن عبد الملك .
ايا معشر الروم ارحلو عن بلادكم

وخلوا لنا عنها بطي المراحل
فقد قصدتكم بر بن بسيوفها

واحلافها اهل الرماح الذوابل
قبائل من بر بن قيس وخندف

وذئ يمن في عزها المتطاوول
ومعلوم ان مطماطة احدى قبائل زناة، وزناة من البربر ،
فهل إن سابقا البربري هو هذا المطمطي ؟

اما العصر فهو عصر واحد . واما الشعر فهو ما اشتهر به

صاحبنا ، وزيادة على ذلك فان نسج هذه الابيات يوافق المنوال
الذي نسجت عليه جميع اشعاره التي سنرويها بعد .

ولكن الذى يشوش علينا فى جعلهما شخصا واحداً هو
ان ابن خلدون يذكر فى عداد قبيلة مطماطة سابق بن سليمان
بن حراث كبير نسابة البربر ، وينقل عنه كثيراً ، وكذا يذكره
الزياى فى رحلته ، ويفهم منه انه وقف على كتابه فى تلمسان
وان كان اسمه عنده يقع فيه تخطيط ، وعلى كل حال
فهو من مطماطة كما نسبه صاحب الذخيرة ، وهو عالم بالانساب
كما تقضى بذلك أبيانه التى أوردناها فى نسبة القبائل البربرية
الى بر بن قيس ، ولا يختلف عن صاحبنا الا فى أن هذا هو ابن
عبد الله والآخر هو ابن سليمان . . ومع ذلك فلم نر من وصف
صاحبنا بأنه نسابة البربر او أن له كتاباً فى هذا الموضوع .
خاصة وأن زمانه كان سابقاً عن وقت تاليف الكتب فى الجملة .
وقد اشتهر صاحبنا بقول الشعر والاجادة فيه بحيث سارت
بعض اقواله سير الامثال ومنها هذان البيتان :

قد ينفع الادب الابناء فى صغر

وليس ينفعهم من بعده الادب

ان النصوص اذا عدلتها اعتدلت

ولا يلين ولو لينته الخشب

نسبهما اليه غير واحد .

والمعتقد أن لها ديوانا شعريا يحتوى جميع ما قاله في
الادب والاخلاق والحكم والمواعظ ، اذ هي المواضيع الغالبة
على شعره ، ولم نقف له على شعر في غيرها باستثناء الابيات
الثلاثة السابقة ، وببيت غزلى نسبه اليه في الكشف غلطا وهو
لجريس .

وهاك ما جاء فى فهرست ابن خير دليلا على ما ذكر :
(أخبار سابق البربري وأشعاره) . حدثني به القاضي ابو بكر
ابن العربي رحمه الله قال انا ابو الحسين المبارك بن عبد الجبار
الصيرفي قال انا ابو اسحق ابراهيم بن عمر بن احمد البرمكي
قال قريء على ابي محمد بن العباس بن زكرياء بن حيويه
قال قريء على ابي الحسن احمد بن جعفر بن محمد من كتابه
وهو يسمع ، وأنا أسمع فأقر به ، قال كان سابق البربري قد ذكر
أخباره وقصيدا واحدا ثم سائر قصائده بروايات مختلفة . قال
ابن العربي تقيدت في مواضعها عندنا والحمد لله .

ولا يوجد هذا الكتاب الان اوعلى الاصح لانعرف عنه
خيرا ، ومن المؤسف حقا ان يضيع هذا الاثر الادبي النفيس
لشاعر ربما كان هو أول من نبغ من هذا المغرب العربي
بقول الشعر فى لغة الضاد والاجادة فيه .

وهذا النبوغ المبكر ، على اثر اتصال البربر بالعرب ، ان
دل على شيء فاذما يدل على صحة انتساب هذه القبائل المغربية
الى الشعب العربي ، وصدق النسابة الذين يرجعون البربر الى
اصول عربية من عدنانية وقحطانية . وما أصدق ما ينسب الى
قماضر بنت قيس عيلان ترى اخاها برا ، وتذكر بعده عن
وطنه .

كأنى وبراً لم تعز ديارنا بنجد ولم تقسم نهابا ومغنا
وشطت ببر داره عن بلاده وطوح بر نفسه حيث يمما
وأزرت ببر لكمة أعجمية وما كان بر فى الحجاز بأعجما

نعم ، لقد استعجم بر لما غاب عن بلاده وتوحد فى ديار
الغربة ، وها هو لما اجتمع ببني أبيه واخواله وأعمامه يستعرب
ثانية ويتفتق لسانه فى اسرع ما يكون بلغة الضاد ، ويصبح
سابق بين عشية وضحاها من أشعر اهل زمانه وطارق من أفصح
خطبائهم . ولماذا لا يكون ذلك ، واسمعيلى ابو العرب المستعربة
يمثل لنا نفس القصة ، وانما يعرضها عرضا معاكسا لقصة بر ؟

اما انه قد آن لنا ان نهتم جديا بالمسألة ، ونعرض قضية
عروبة البربر على الباحثين النفسيين ، ونحلل هذه اللهجات
البربرية تحليلا فلولوجيا ، فلا يمكن أن يكون هذا التعلق
الشديد بالعرب ، وهذا البيان المغرب بلغتهم ظاهرتين عاديتين

لا ترجعان الى عناصر نفسية واصول لغوية متحدة او مشتركة.
والا فلماذا لايعتز الفارسي الا بأصله . ولم تكن الا كلا ولاحتى
عاد الى فحوليته يمكن لها في بلاده بعد ان كان بلغ فى العربية
شأوا لايلحق. على حين ان البربري فى عنفوان مجده وإقبال
دولته لا يجيد عن الانتماء الى الاصول العربية التى يعتقد أنه
منحدر منها ، وما يزال كذلك الى الان يدل بعروبتة ويرفع
من شأن عربيته .

المسألة مهمة جدا فلينظر فيها بجد ا

ونعود فنروي بعض ما وقفنا عليه من شعر صاحبننا سابق
فى مطالعاتنا طول عدة سنين ، وهو جملة من القصائد والقطع
النفسية فى الادب والاخلاق نرفها الى الناشئة المغربية على
أنها أثر من الاثار الادبية الرفيعة التى افتجها ابناء هذه البلاد
الخصبة ، وان كان بعضهم ما يزال يتشكك فى أن لبلاد
المغرب ادبا .

قال سابق يزهد فى الدنيا ، وهما مما أنشده له الجراوي
فى كتابه صفوة الادب المعروف بالحماسة المغربية .

ان السلامة منها ترك ما فيها	النفس تكلف بالدنيا وقد علمت
من المعيشة الا سوف يكفيها	والله ما قنعت نفس بمارزقت
ودورنا لخراب الدهر نبنيها	اموالنا لذوي الميراث نجمعها
تقيس نعلا بنعل حين تحذوها	قس بالتجارب أحداث الزمان كما
الا وصرف اللبالي سوف يفنيها	والله ما عبرت فى الارض قاطرة

ومما أنشده له الشريشى فى شرح المقامات ، ولعله هو
والابيات قبله من قصيدة زهدية طويلة :

نلهو ونأمل أياما تعد لنا	سريعة المر تطوينا ونطويها
كم من عزيز سيلقى بعد عزته	ذلا وضاحكة يوما ستبكيها
وللحتوف تربى كل مرضعة	وللحساب برى الارواح بارها
لاتبرح النفس تنعى وهى سالمة	حتى يقوم بنادي القوم ذاعيا
ولن تزال طوال الدهر طاعنة	حتى تقيم بواد غير وادها
اموالنا لذوي الميراث نجمها	ودورنا لخراب الدهر نبنها

وأنشده له الماوردي في أدب الدنيا والدين هذين البيتين
وقد وطأ لهما شارحه بالابيات المذكورة قبلهما على أنها جميعا
قصيدة واحدة :

إذا زجرت لجوجا زدته علقا	ولجت النفس منه في تماديا
فعد عليه اذا مانفسه جمحت	باللين منك، فان اللين يثنيها

وقال ولعله من هذه القصيدة ايضا :

أين الملوك التي عن خطبها غفلت	حتى سقاها بكأس الموت ساقيا
غرت زمانا بملك لا دوام له	جهلا كما غر نفسا من يثنيها
وصبحت قوم عاد في ديارهم	بمقظع يوم عادتهم عواديا
وتبعنا وثمود الحجر غادرهم	ريب النون ريمما في مغانيها
فكيف يبقى على الاحداث غابرنا	كانتا قد اظلتنا دواهيها

ومن قوله في الحكمة على طريقة المعارض :

تعاون على الخيرات تظفروا تكن	على الاثم والعدوان ممن يعاون
وداهن اذا ما خفت يوما مسلطا	عليك ولا يحتال من لا يداهن
ولا تك ذا لونين يسدي بشاشته	وفي صدره ضب من الفل كامن

وقال في اتباع الهوى ولعلمها من تنمة الابيات قبلهما :

وهجر الهوى للمرء - فاعلم - سعادة	وطول الهوى رين على القلب رائن
فكن دافئا للشر بالخير تـسـرح	من الشر ان الخير للشر دافن

وقال ولعلمها منها أيضا :

فحتى متى تلهو بمنزل باطل	كأنك فيه ثابت الاصل قاطن
وتجمع ما لا تأكل الدهر دائبا	كأنك في الدنيا لغيرك خازن

وأنشده المبرد في الكامل هذا البيت المفرد :

وان جاء ما لا تستطيعان دفعه فلا تجزعا مما قضى الله واصبرا

وأنشده له البحتري في حماسته هذه الابيات الاربعة مفردة.

استغبر الناس عما أنت جاهله اذا عميت ، فقد يجلو العمى الخبر
وفي البحث قدما والسؤال لذي العمى شفاء وأشفى منهما ما تعاين

ان عبت يوما على قوم بعاقبة أمرأ أتوه فلا تصنع كما صنعوا
اذا عبت أمرأ فلا تأته وذو اللب مجتنب ما يعيب

والاول من هذه الابيات هو من قصيدة طويلة ذكرها

ابن الجوزي في كتابه مناقب عمر بن عبدالعزيز . قال :

(ذكر ما وعظ به عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه من
الشعر) عن أبي سليمان أحمد بن عبد الله الجواليقي قال :
قال سابق البربري لعمر بن عبد العزيز رحمه الله :

بسم الذي أنزلت من عنده السور
ان كنت تعلم ما تأتي وما تذر
واصبر على القدر المجلوب وارضى به
فما صفا لامري عيش يسر به
واستخير الناس عما أنت جاهله
قد يرعوي المرء يوما بعد هفوته
ان التقى خير زاد انت حامله
من يطلب الجور لا يظفر بحاجته
وفي الهدى عبر تسقى القلوب بها
وليس ذو العلم بالتقوى كجاهله
والرشد نافلة تهدى لصاحبها
قد يوبق المرء امر وهو يحقره
لا يشبع النفس شي حين تعززه
ولا يزال وان كانت بها سعة
وكل شي له حال تغيره
والذكر فيه حياة للقلوب كما
والعلم يجلو العمى عن قلب صاحبه
لا ينفع الذكر قلبا ناسيا ابدا
والموت جسر لمن يمشي على قدم
فهم يمرّون افواجا وتجمعهم
من كان في معقل للحرز أسلمه

الحمد لله ، اما بعد يا عمر
فكن على حذر قد ينفع الحذر
وان اتاك بما لا تشتهي القدر
الا سيتبع يوما صفوه الكدر
اذا عميت فقد يجلو العمى الخبر
وتحكم الجاهل الايام والغير
والمر افضل شي ناله البشر
وطالب الحق قد يهدى له الظفر
كالغيث ينضر عن وسهيه الشجر
ولا البصير كأعمى ما له بصر
والغي يكره منه السورد والصدر
والشي بالنفس ينمي وهو يحتقر
ولا يزال لها في غير طر
لها الى الشي لم تظفر به نظر
كما تغير لون اللمة الغير
يحيي البلاد اذا ما ماتت المطر
كما يجلو سواد الظلمة القمر
وهل يلين القلب الواعظ الحجر
الى الامور التي تخشى وتنتظر
دار اليها يصير البدو والحضر
او كان في خمر لم ينجه الخمر

حتى متى أنا في الدنيا اخوكلف
ولا ارى اثرا للذكر في جلدي
لو كان يسهر عيني ذكر آخرتي
اذا لداويت قلبي قد اضر به
مايلبث الشيء ان يملأ اذا اختلفت
والمرء يصعد ريعان الشباب به
بينما يرى الفصن لدنا في اروسته
كم من جموع اشت الدهر شملهم
وكم من اصيد سامي الطرف معتصب
يظل مفترش الديباج محتجبا
قد غادرته المنايا وهو مستلب
ابعد آدم ترجون البقاء وهل
لكم بيوت بمستن السيول وهل
الى الفناء وان طالست سلامتكم
ان الامور اذا استقبلتها اشتبهت
والمرء ما عاش في الدنيا له أمل
لها حلاوة عيش غير دائمة
اذا قضت زمر آجالها نزلت
وليس يزجركم ما توعظون به
اصبحتم جزرا للموت يقبضكم
لاتبطروا واهجروا الدنيا فان لها
ثم اقتدوا بالالى كانوا لكم غررا
حتى تكونوا على منهاج أولكم
مالي ارى الناس والدنيا مولىة
لايشعرون بما في دينهم نقصوا

في الخد مني الى لذاتها صعر
والجبل في الحجر القاسي له أثر
كما يورقني للغافل السهر
طول السقام وهيض العظم ينحجر
يوما على نقصه الروحات والبكر
وكل مصعدة يوما ستنحدر
ريان صار حطاما جوفه نخر
وكل شمل جميع سوف ينتشر
بالتاج نيرانه للحرب تستعر
عليه تبنى قباب الملك والحجر
مجدل ترب الخدين منعفر
تبقى فروع لاصل حين ينقعر
يبقى على الماء بيت اسه مدر
مصير كل بني انثى وان كثروا
وفي تدبرها التبيان والعبر
اذا انقضى سفر منها اتى سفر
وفي العواقب منها المر والصبر
على منازلها من بعدها زمر
والبهم يزجرها الراعي فتزجر
كما البهائم في الدنيا لكم جزر
غبا وخيما وكفر النعمة البطر
وليس من امة الا لها غرر
وتصبروا عدم الدنيا كما صبروا
وكل جبل عليها سوف ينبتر
جهلا وان نقصت دنياهم شعروا

فهذه قصيدة من أحسن شعر سابق وأحفله بالموعة
والتذكير ، ولو لم يكن له إلا هي لكأنت أصدق برهان على
تأله وشاعريته التي خضع لها عمر بن عبد العزيز مع ما عرف
من تأبيه على الشعراء وامتناعه من مقابلتهم . ولم لا يخضع
له عمر وهو يفتتح شعره ببسم الله والحمد لله ؟ !

وقد وقفت على أبيات مختلفة من هذه القصيدة في مظان
عديدة فلاحاجة لذكرها ؛ وقد اتحفنا بها كاملة الحافظ ابن
الجوزي جزاه الله خيرا .

وأما البيت الثاني من الابيات الاربعة التي عند البحري
فلا شك أنه من تلك القطع النونية التي أوردناها قبل . وانها
جميعا تكون قصيدة من أبدع قصائد سابق .

بقي البيتان الثالث والرابع ، ونحب أن نشير إلى أن
معناها هو ما تضمنه بيت مشهور من قصيدة تنسب إلى أبي
الاسود الدؤالي وهو :

لأنه عن خلق وناني مثله عار عليك اذا فعلت عظيم
ونحب أن نشير كذلك الى ان هذه القصيدة. قد نسبت
لصاحبنا ايضاً كما نسبت للمتوكل الليثي ، وهذا البيت منها
بالخصوص وجد في قصيدة للاخلط ونقل السيوطي عن تاريخ
ابن عساكر أنه للطرماح . وانظر شرح شواهد المغنى .

وفي البداية والنهاية لابن كثير : روى ابن أبي الدنيا

عن ميمون بن مهران قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز
وعنده سابق البربري وهو ينشده شعرا فأنتهى في شعره إلى
هذه الايات :

فكم من عزيز بات للموت آمنا	اتته السنايا بغتة بعد ما جمع
فلم يستطع اذ جاءه الموت بغتة	فرارا ولا منه بقوته امتنع
فأصبح تبكيه النساء مقنعا	ولا يسمع الداعي وان صوته رفع
وقرب من لحد فصار مقيله	وفارق ما قد كان بالامر قد جمع
فلا يترك الموت الفضي لماله	ولا معدما في المال ذا حاجة يدع

وفي أمالي الزجاج : ويقال من حفر مهواة وقع فيها أي
مهلكة . وقال سابق البربري :

فلا تحفرن ييرا تريد أخا بها	فإنك فيها أنت من دونه تقع
كذاك الذي يغى على الناس ظالما	تصبه على رغم عواقب ما صنع

وهذان البيتان مشهوران ، ولعلمهما والقطعة التي قبلهما
من قصيدة واحدة .

وفي الاغانى قال أبو الفرج: اخبرني هاشم بن محمد الخزاعي
قال حدثنا أبو غسان قال: قال عمر بن عبد العزيز يوما لسابق
البربري ودخل عليه: أنشدني ياسابق شيئا من شعرك تذكرني
به ، فقال : او خيرا من شعري ؟ فقال هات . قال : قال أَعْشى
همدان :

وبينما المرء امسى ناعما جدلا في اهله معجبا بالعيش فا انق

غرا اتبع له من حينه عرض	فما تلبث حتى مات كالصعق
ثمت اضعى ضعى من غب ثلاثة	مقنعا غير ذي روح ولا رفق
يبكى عليه وادنو له لمظلمة	تعلو جوانبها بالترب والقلق
فما تزود مما كان يجمعه	الا حنوطا وما وراه من خرق
وغير نفحة اعواد تشب له	وقل ذلك من زاد لمنطلق

قال فبكى عمر حتى اخضل لحيته .

فهذه الاخبار تفيدنا اولا انه كان مقيما بالشام ومن ثم كان أخذه عن مكحول الدمشقي وأخذ الامام الازاعي عنه وثانيا أنه كان له عند عمر مكانة وقدر ولذلك كان يطلب منه أن يعظه وينشده من شعره الحكيم ، أو من شعر غيره .
لانه كان متحققا من زهده وورعه وانه لا ينظم ولا يروي الا ما كان من قبيل ما قيل فيه «ان من الشعر لحكمة» .

ومن شعر سابق ايضا فى المراء ومدافعة الحق :

لا تدفن لجوجا حين تزجره	ان اللجوج له في الدفح اغرا
واغض في حسن عفو عن بواده	فالحصر فيه عن الافات اغضا

وقال ولعل من تتمة ما قبلها :

لا تظهرن لدي جهل معاتبة	فربما هيجت بالششي اشيا
قالما يخدم حر النار يطفتها	وليس للجهل غير العلم اطفاء
ترى السفينة له عن كل معلمة	زيغ وفيه الى التسفيه اصفا

وقال في ذهاب الامم ، وربما كانت هذه الابيات كلها
من قصيدة همزية من روائع سابق .

وكيف يامن ريب الدهر مرتعن بعمدة الدهر ان الدهر عدا
التي على الجيل من عاد كلاكه وقوم هود ، فهم هام واصدا

وله في العفو والتسامح :

اذا ما كنت طالب كل ذنب ولم تحلل اخاك عن العتاب
تباعد من تباعد بعد قرب وصار بك الزمان الى اجتناب

وبعد فهذا شاعر فحل من أكبر الشعراء الذي يفاخر بهم
هذا المغرب العربي ويستظهر بهم عند الحديث عن الادب
والادباء . . وقد احتج به أهل العربية وعلماء البلاغة ، وقربه
ال خليفة الصالح عمر بن عبد العزيز ، مما يعطيك ان شعره كان
مرآة لسلوكه وأخلاقه ، فهو قد أربى على أبى العتاهية المعروف
بشعره في الزهد والمواعظ سواء من ناحية تخلقه أو من جهة
سبقه الى جعل شعره قاصرا على هذه المواضع فلا نقول
فيه انه أبو العتاهية المغربي بل نقول في ابي العتاهية انه سابق
المشرقي . رحمهما الله معا ويسر لنا الوقوف على كتاب أخباره
وشعره .

الشعر الاندلسي *

من أكبر مميزات الشعر الاندلسي التي نطالعنا عند بحثه أولا ، أنه شعر حضري لا جاهلية له . وليس يشبهه في ذلك شعر قطر من الاقطار العربية . حتى العراق انذي بذ الاندلس في الحضارة نجد في شعره أثارة من هذه الجاهلية لا تخفى على الناقد البصير . أما في الالفاظ فانها تكاد تلمس ، وأما في المعاني فإن رواسب من أفكار شعراء الجاهلية لا تفتأ تطفو حيناً بعد حين على صفحة هذا الشعر الرقراق الذي قيل - ويقال حتى الان - عند ضفاف الرافدين .

ولعل مرجع ذلك في البلاد العربية الى جساوة في الطباع وقساوة في البقاع ، فان الاقليم في الشرق ، ولو في العراق ، غيره في الغرب ولا سيما الاندلس . والمزاج يتكيف بتكيف الاقليم رقة وغلظة ، ولينا وشدة ، ما في ذلك شك . وقد كان شعراء العراق كغبرهم ، يخرجون إلى البادية ، فيتنقلون في القبائل لاخذ اللغة عن أربابها ، وتعلم الفصاحة من أصحابها ، كما نرى في ترجمة المتنبي والبحثري وأضرابهما ، فلزمتهم

* كتب هذا المقال لمجلة المجمع العلمي العربي على إثر انتخاب كاتبه عضوا مراسلا للمجمع ، ونشر بها في الجزء 3 من المجلد 31 ،

هذه البداوة وظهر أثرها في شعرهم. وأين هي هذه البادية من شعراء الاندلس الذين ولدوا في بحبوحة الحضارة ونشأوا في غصارة الترف ، فولد الشعر معهم ونشأ حضريا مترفا .

ومن بدا منهم كابن عبدون فانما قصاره من البداوة المظهر الذي غر الوزير ابا بكر بن زهر¹ . وأما المخبر ، فانه الذي انجلى عن قصيدة :

«الدهر يفجع بعد العين بالاثر»

واما هؤلاء الشعراء الذين طرأوا مع الفتح من مثل ابي الخطار الكلابي والصميل بن حاتم فانهم وان كانوا يذهبون في شعرهم مذهب اهل الجاهلية، فاننا لا نعدم بحال من شعراء الاندلس. لانهم لم ينشأوا فيها ولم يشتهروا بشعر كثير فيؤثروا فيمن أتى بعدهم ، فبقي الشعر الاندلسي مصونا من عنجهية البدو ، لا جاهلية له مطلقا .

ولقد استمر الحال بعد الفتح على ما يقتضيه طور التمهيد والتنظيم من الانصراف عن شؤون الادب والشعر الى ان قدم عبد الرحمن الداخل ، اي نحو من 46 سنة . وحينئذ انفسح المجال امام شعراء الاندلس للتخليق في جو «الصقر»² الذي القى الى النخلة بهذه النقطة السحرية :

(1) انظر حكايته معه في المعجب للمراكشي .

(2) يلقب عبد الرحمن الداخل بصقر قریش .

تبذرت لنا وسط الرصافة نخلة تنأت بأرض الغرب عن بلد النخل
فقلت شبيهي في التغرب والنوى وطول اكتآبي عن بني وعن أهلي
ومن ذلك اليوم تحدد موقع الشعر في الجزيرة ، فمن
الوجهة الاجتماعية كان الأمير المنشي^١ للدولة المؤثر لمجد
الاسلام شاعرا يعبر عن عواطفه بشعر بليغ ونظم رقيق ، فلم
يستنكف من أتى بعده من الشعراء ان ينسجوا على منواله
في تعاطي الشعر وحب الادب حتى كان كل أمراء بني أمية
وخلفائهم تقريرا شعرا^٢ ، وكذا ملوك الطوائف الذين خلفوهم
من بعد ، والناس على دين ملوكهم كما يقال ، فقامت للشعر
دولة ببلاد الاندلس لم يكن له مثلها بالبلاد الاخرى ، وبينما
كان «الشعر بالعلماء يزرى» في المشرق كما أتى في بيت
للمشافعي رحمه الله^١ ، كان العلماء في الاندلس يتسابقون لنظم
الشعر ويتباهون بمعرفته ، ولا يعدون العالم كاملا الا اذا شارك
في علوم الادب بأوفر نصيب^٢ .

ولهذه المكانة التي كانت له في النفوس كثرت رغبة
الناس فيه ، وصار طلبة الخاصة والعامة ، حتى قيل في مدينة
شلب ان قليلا من أهلها من لا يقول الشعر، ولو مررت بالفلاح

1 - وهو قوله :

ولولا الشعر بالعلماء يزري لكنت اليوم أشعر من لبيد

2 - انظر الرافعي ص 285 تاريخ آداب العرب ج 3

في فدائه وسألته عن الشعر قرض في الحال ما اقترحته عليه^١ .
ومن الوجهة الادبية ، فإن الشعر في الاندلس لم يكن
رجعا لصدى الشعراء القدماء ولا طبعا على الرواسم (الكليشيات)
المعهودة ، فإن عبد الرحمن لما كان فريدا غريبا في بلاد غير
بلادته ورأى النخلة في موطن غير موطنها أشبه شيء به ، هاجت
شاعريته ونطق بذلك الشعر الذي عبر عن ذات نفسه ، ولم
يكن صنعة ولا زورا من القول ، فلفت نظر الشعراء بعده الى
هذه الطبيعة البديعة او قل ان هذه الطبيعة التي أنطقته . لفتت
نظرهم الى جمالها الفتان وسحرها العجيب فقالوا فيها ما
شاءوا وتفننوا ما أرادوا .

ومن ثم كان أكثر شعرهم في الوصف والتصوير ولا سيما
لمظاهر الطبيعة من الرياض والازهار ، والجبال والانهار ،
والسحاب والامطار ، حتى عد ابن خفاجة أكثر وحاف الطبيعة
واحسنهم قولاً فيها ، وألف أبو الوليد الحميري من أدبائهم كتابا
كاملا من شعرهم في نعت الرياحين والزهور سماه : البديع
في وصف الربيع ، وهو ممن عاش في أول القرن الرابع ، فما
بالك بما قيل بعده في هذا الصدد ؟

ولعل أول شاعر أندلسي يمثل بروحه الخفيفة وأدبه

1 - ياقوت في معجم البلدان .

المرح . هذا المحيط الحضري الرائق الذي نشأ فيه الشعر
الاندلسي . هو يحيى الغزال المتوفى حوالي سنة 250 ، وشعره
مرآة صادقة لنفسه الطروب ؛ وقد كان ذهب سفيراً الى بلاد
الروم فأعجب به الملك والملكة أيما إعجاب لفرط أدبه وجماله
وجرت له مع الملكة محاورات جميلة ، وقال في ذلك أشعار
لطيفة

ثم يأتي بعده أديب الاندلس أحمد بن عبد ربه مؤلف
كتاب «العقد، المعروف ، وكان الجو الادبي بالاندلس يزداد
صفاً كل يوم فلذلك جاء شعره ينفع بعطر الحضارة ويكاد يشرب
من رفته وعذوبته ، وهو إن ألف لقومه أدب المشاركة ، فقد
أعطى لهؤلاء نماذج من أدب الاندلس في مقطوعاته البديعة
التي ضمنها كتابه الفريد . واثن قال صاحب ابن عباد في
العقد لما وقف عليه ، « هذه بضاعتنا ردت إلينا ، فلقد قال
المتنبي في صاحب العقد « ايه يا ابن عبد ربه ، لقد تأنيك
العراق حبوا ، وذلك عند ما سمع أبياته العديدة النظير :

يا لؤلؤا يسبي العقول أنيقا	ورشا بتقطيع القلوب رفيقا
ما أن رأيت ولا سمعت بمثله	درا يعود من الحياء عقيقا
واذا نظرت الى محاسن وجهه	ألفيت وجهها في سناه غريقا
يامن تقطع خصره من رقة	ما بال قلبك لا يكون رقيقا ¹

1 - المقرئ في نفح الطيب ج 4 ص 218 .

وقد كان هذان الاديبان هما طرفا الادب في القرن الثالث¹ وذكرهما يغني عن ذكر غيرهما .

فلما دخل القرن الرابع دخلت الاندلس معه في عصرها الذهبي ، حيث بلغ التمدن بها أوجه تحت حكم الخليفة عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم والمنصور ابن أبي عامر فانتشرت العلوم والفنون ، وارتقى المستوى الفكري غاية لم يصلها من قبل .

وفي هذا العصر كان التعليم قد عم سائر الطبقات ، فقلما تجد إنسانا لا يعرف القراءة والكتابة ، والرجال والنساء في ذلك سواء² واذا عم التعليم بهذه الصفة تنبعت المشاعر وتهذبت الاذواق ونشطت الحركة الادبية من عقالها وتقدمت أشواطا بعيدة في ميدان الابتكار والتجديد ، لان الامة التي نضجت أفكارها لا تقبل من الانتاج الا ما كان حريا بالقبول . وكان من أثر هذا النضج الادبي اختراع الموشحات التي صارت زينة الشعر العربي . وهي هدية المغرب الى المشرق التي تقبلها بكامل السرور وسنتكلم عنها فيما بعد .

وقد أظلم هذا العصر كبار شعراء الاندلس من مثل أبي

1 - الرافي في تاريخ آداب العرب ج 3 ص 276

2 - دوزي في كتابه الاسلام الاسباني

القاسم بن هانىء وابن دراج القسطلی والرمادي ، وناهيك
بهؤلاء الثلاثة .

فأما ابن هانىء فهو الذي يقال له متنبىء المغرب ، عاش
عيشة الاستهتار حتى تألب عليه أهل بلدة اشبيلية وخرج منها
ولحق بالمدونة . فلقي الخليفة المعز الفاطمي ومدحه فحظى
عنده وكان يريد استصحابه الى مصر ، فمات مختضرا في
عنقوان الشباب نتيجة اسرافه في السكر والمجون .

ولما بلغت وفاته المعز أسف عليه وقال هذا الرجل كذا
نرجو أن نفاخر به شعرا المشرق فلم يقدر لنا ذلك . وكان
يذهب في شعره مذاهب شتى من التغلسف والاستخفاف بالدين
ونقد المجتمع . وله أسلوب متين وعبرة جزلة ، واشتهر بحسن
التشبيه وإجادة الوصف . ومن جيد شعره قوله ؛

أليتنا إذ أرسلت واردا وحفا	وبتنا نرى الجوزاء في أذنهاننا
وبات لنا ساق يقوم على الدجا	بشمعة صبح لا تقط ولا تطفأ
أغن غضيض خفف اللين قد	وثقلت الصهباء أجفانه الوطفأ
ولم يبق إرعاش المدام له يدا	ولم يبق اعنات التثني له عطفأ

الى آخرها وهي قصيدة شهيرة .

وأما ابن دراج فقال فيه الشقندي : انه شاعر الاندلس
وقال الثعالبي ؛ هو بالصقع الاندلسي كالمتنبى بصقع الشام .

وكان شاعر الدولة العامرية غير مدافع ، وتأخر به الزمان الى
أوائل القرن الخامس ، وأدرك ملوك الطوائف . وله القصيدة
الرائية الرائعة التي عارض بها أبا نواس فأربنى عليه ، وفيها
يقول :

ألم تعلمي أن الثوا هو التوى وأن بيوت العاجزين قبور
وأن خطيرات المهالك ضمن لراكبها ان الجزا خطير
وأما الرمادي فهو يوسف بن هرون الكندي . كان
معاصرا للمتنبي ، وكان كثير من شيوخ الادب في وقته
يقولون : فتح الشعر بكندة ، وختم بكندة ، يعنون امراً
القيس في الافتتاح لانه من كندة على ما هو معروف ، والمتنبي
والرمادي في الاختتام لانتسابهما معا في كندة . وكان شاعر
الحكم المستنصر واختص بالحاجب المصحفي فأصابه شرر النكبة
التي انزلها المنصور ابن أبي عامر بالحاجب المذكور ، وله من
قصيدة هذه الابيات البليغة :

في أي جارحة أصون معذبي سلمت من التعذيب والتكيل
ان قلت في عيني فثم مدامعي أو قلت في قلبي فثم غلبلي
لكن جعلت له المسامع موضعا وحجبتها عن عدل كل عدول
واذا تخطينا عتبة القرن الرابع الى الخامس ، عصر ملوك

الطوائف ، وجدنا ان هبة الخلافة الاموية وعزة سلطانها وان
 زالا معها فان مجدها الادبي بقى متمثلا فى عدة عواصم بعد أن
 كان محصورا فى قرطبة. فهذه اشبيلية وفيها بنو عباد أصبحت
 تنافس قرطبة وتجاذبها رداء الفخار في هذا المضمار، وهذه طليطلة
 - وفيها بنو ذي النون - وسرقسطة - وفيها بنو هود -
 وبطليوس - وفيها بنو الافطس - وغرناطة - وفيها بنو زيري
 - والمرية - وفيها بنو صمادح - ومالقة - وفيها بنو حمود -
 فى كل منها بلاط حافل بأهل العلم والادب وماوك يتسابقون
 الى الحصول على المشاهير من الكتاب والشعراء (فما كان
 أعظم مباهاتهم الا قول: العالم الفلانى عند الملك الفلانى، والشاعر
 الفلانى مختص بالملك الفلانى)¹.

واذا كانت قرطبة قد احتجنت فى عهد الخلافة الاموية
 سائر أهل الكفاءات الادبية ، فقد أدبنت منها هذه العواصم
 الاخرى . وكان ذلك فى صالح العلم والادب حيث ان ازدهار
 البلاط القرطبي بأهل الفضل والنبيل كان لا يدع مجالا للناشئين
 والوافدين من غير اهل الشهرة . وحسبك بما وقع لصاعد فى
 ايام المنصور بن ابي عامر وما قاساه من مكائد المنافسين له،
 وأما الان فان الاديب اصبح بالخيار على زمنه ، وحكمه نافذ

1 - الشقندي فى رسالة المفاضلة بين الاندلس والمغرب .

على اميره ، لانه اذا آنس اهمالا او تضييعا سرعان ما يتحول الى حيث العز والكرامة في بلاط آخر . وعلى كل حال فان هذا التنافس قد ابرز من الملكات ما كان خفيا ، ومن الشخصيات ما لولاه لكان نسيا منسيا ، وبذلك كانت الحياة الادبية في هذا العصر ازهى وأزهر منها في كل عصر آخر من عصور العرب في الاندلس ، فان عدد الشعراء الذين نبغوا في هذا العصر لا يكاد يأتي عليه الاحصاء .

وكانت الظاهرة الادبية الغالبة على أدبائه ومثقفيه بل وفقهائه وعلمائه هي الشعر . فلا نجد عالما ولا فقيها فضلا عن أديب لا يتعاطى الشعر ولا ينظم منه شيئا ولو قليلا ، وقد طغى ذلك على ما عند بعض العلماء فكانت صفته الشعرية ابرز جوانب حياته أو على الأقل تجد جانب الشعر من حياته يتكافأ مع جانب العلم ، كما نرى في أبى بكر بن باجة الذي عرف للعالم بكونه أديبا موهوبا وشاعرا بليغا كما عرف بكونه فيلسوفا وطيبا وموسيقيا ونباتيا بارعا في الجميع . وكم له من نظير بين العلماء وبين الفقهاء ، وقد ترجم الفتح في « القلائد » و « المطمح » لكثير من العلماء وما اعتبر فيهم الا الناحية الادبية والشعرية كأنها هي المقصودة بالذات وما زاد عليها فانما هو فضل ونافلة من القول والعمل .

واذا ذهبنا نعرض اسماء الشعراء البارزين في هذا العصر

نجد في طليعتهم أبا الوليد بن زيدون الذي يطلق عليه بحتري المغرب¹ لركة ديباجته وتفننه في ضروب الشعر ، وحقيقة فانه اذا كان ابن هانيء كالمتنبي يعتمد في اشارة الشعـور على اظهار القوة باصطناع الالفاظ الجزلة وتجسيم الاحداث الخطيرة مع تحكيم العقل فيما يعرض من وقائع الحياة. فان ابن زيدون كالبحتري انما يعتمد على الناحية الوجدانية فلا ضوضاء ولا جلبة وانما هي معان جميلة وصور شعرية لهواجس النفس واحاسيس الضمير في الفاظ رقراقة كالثمرة الناضجة تتدفق مائية وحلاوة فقارئه اذا كان متفتق الذهن مرهف الحس يشعر كانه ينطق بلسانه ويعبر عن ذات نفسه ، لانه يمتزج به امتزاجا وبهيم معه في اودية الخيال الفسيحة فلا ينتبه لنفسه الا اذا انتبه الشاعر فرجع من رحلته وافاق من غيبوبته ،

ويكفي ان يستعرض الباحث قصيدته الفريدة التي يقولها في التشوق الى حبيبته ولادة بنت المستكفي ليرى حسن الافئنان في الوصف وجمال التصوير للعواطف ورقة الشعـور في الحب . وهي القصيدة التي لم يُقَلْ - مع طولها - في التشبيب ارق منها² فبعد أن يفتتحها بوصف حاله في البعد

1 - ابن بسام الذخيرة ج ل ص 326

2 - الشقندي

وشكوى الزمان في التفريق بينه وبين حبيبته فيقول :

أضحى التناهي بدى لامن تدانينا	وناب عن طيب لقيانا دجافينا
بنتم وبنا فما ابتلت جوافحنا	شوقا اليكم ولا جفت مآقينا
يكاد حين تناجيكم ضمائرنا	يقضي علينا الاسى لولا تأسينا
حالت لفقدكم أيامنا فعدت	سودا وكانت بكم بيضا ليالينا
اذ جازب العيش طلق من ذألفنا	ومورد اللهوصاف من تصافينا
واذ هصرنا غصون الانس دانية	قطوفها ، فجنينا منه ما شينا
ليسقى عهدكم، عهد السرور فما	كنتم لارواحنا الا رياحينا
يقول في وصفها ونشأتها الارستوقراطية وتوصله اليها	
بكفاءة المودة :	

وبيت ملك كأن الله انشأه	مسكا وقد انشأ الله الورى طينا
او صاغه ورقا محضا وتوجه	من فاصع التبر ابداعا وتحسينا
اذا تأود آدنه رفاهية	تدمي العقول وادمته البرى لينا
كأنما نبتت في صحن وجنته	زهر الكواكب تعويذا وتزيينا
ماضران لم نكن اكفاه شرفا	وفي المودة كاف من تكافينا
ويطول بنا الحال اذا تتبعنا ما فيها من عيون الابيات	
وفرائد المعاني . وقد ولد ابن زيدون في قرطبة في أعقاب	
الدولة الاموية ولكنه لم ينبغ ولم يشتهر الا بعد انقراضها .	
وخدم ابن جهور في قرطبة والمعتضد بن عباد في اشبيلية ثم	
ولده المعتمد وزين له غزو قرطبة فملكها . وكان يلقب بذى	

الوزارتين . وبلغ فى علو القدر ورفعة الشأن ما لم يبلغ اديب غيره وتمشق ولادة بنت المستكفى وكانت أديبة شاعرة الا ان الوزير ابن عبدوس كان ينافسها فى حبها واستأثر بها دونه وكاد له بسبب ذلك مكائد . وتوفي عام 463 .

وكان ابن عبدون عند بنى الافطس فى بطليموس كسابن زيدون عند بنى عباد باشبيلية ، وهو نظيره فى الادب والشعر وسير فى رثاء مواليه لما دالت دولتهم على يد المرابطين قصيدته الخالدة التى يقول فيها :

الدهر يفجع بعد العين بالآثر	فما البكاء على الاشباح والصور
اذهاك انهاك لا آلوك منصحـة	عن نومة بين ناب الليث والظفر
فالدهر حرب وان أبدى مسالمة	والبيض والسود مثل البيض والسمر
ولا هوادة بين الرأس تأخذه	يد الضراب وبين الصارم الذكر
فلا يغرنك من دنياك نومتها	فما صناعة عينيها سوى السهر
ما لليالى - اقال الله عثرتنا	من الليالى - وخافتها يد الغير
فى كل حين لها فى كل جارحة	مناجراح وان زاغت عن النظر
نسر بالشئ، لكن كى تغر به	كالايـم ثار الى الجانى من الزهر

.. وقد ذكر فيها مصارع الملوك وعظماء الرجال الى زمنه،

ثم بكى بنى الافطس بما لم يبك به شاعر دولة. ومن ابياتها الفذة هذا البيت الذي عبر فيه عن عاطفة علوية فى براة علوية:

وليتها اذ فدت عمراً بخارجة فدت علياً بما شاءت من البشر

ويقول بعده مشككاً في اغتيال الحسن بن علي بما هو

أبلغ من اليقين :

وفي ابن هند وفي ابن المصطفى حسن اتت بمعضلة الالباب والفكر
فبعضنا قائل ما اغتاله احد وبعضنا ساكت لم يوت من حصر

ومنها في ذكر المتوكل ولديه العباس والفصل من

بني الافطس :

ويج السامح ويب البأس لو سلما وحسرة الدين والدنيا على عمر
سقت ثرى الفضل والعباس هامية تعزى سماحا اليهم لا الى المطر

الى ان يقول :

على الفضائل - الا الصبر - بعدهم سلام مرتقب للاجر منتظر

وبالجملة فانه مهما قيل في وصف هذه القصيدة وتقريرها
فان القائلين لم يوفوها حقها ولم يكونوا مبالغين فيما قالوه
عنها . وأحسن شيء فيها هو ما سلكه ابن عبدون من البكاء
والاستبكاء على ضياع ملك سادته ، وإبادة الدهر لهم من غير
ان يعرض بخصومهم المرابطين ولا ان يتناولهم بأدنى تجريح ،
وتلك لعمرى براعة نشهد له بحسن التصرف في القول والتفنن
في الكلام . وكان المتوكل بالمكان الذي وصفه ابن عبدون
واعظم نبوغاً في العلوم والاداب مع رسوخ قدم في الجود
والشجاعة . ولم يكن في ملوك الطوائف افضل منه ولا من
المعتمد بن عباد ، فانهما كانا فرسى رهان في جميع الفضائل

وخاصة العلم والادب . وكان المعتمد اشعر والمتوكل اكتب^١ .

واذا ذكرنا المعتمد فلا بد ان نعطي صورة مصغرة عنه وعن ادبه . فقد كان هذا الملك الشاعر فذاً في الملوك ، فذاً في الشعراء^٢ . حتى لقد بلغ من شأنه انه لا يمكن ان يذكر ملوك الطوائف بل ملوك الاندلس على العموم ولا يذكر المعتمد ، وانه لا يمكن ان يذكر شعراء الاندلس او الشعر العربي على العموم ولا يذكر المعتمد ، وكان مما انطوى عليه من الفضائل واحتواه من المكارم بحيث لو لم يثبت وجوده تاريخيا لقلنا انه شخصية خيالية اضيف عليها الشعر والقصص حللا وبرودا من الاجلال والتقدير . ففي حالة الشدة والبأس نجده مكافحا عبقريا لاثبات ملكه وتوسيع نفوذه ، ومجاهدا متفانيا في صد موجة الاكتساح الاسباني الذي اراد ان يستصفي الاندلس في اواسط القرن الخامس . وفي حالة الرخاء والنعيم نجده ذلك المترف المرفه الذي أسرف في المتاع وأسرف في الاستهتار حتى كان له يوم الطين الذي لم يكن لملك غيره^٢ وفي الشعر والادب نجده ذلك العلم المفرد بين الملوك والرؤساء . قد انقطع لمطارحة شعراء وقته من وزراء وكتاب بالقصائد البليغة والابيات النادرة

(١) نفح الطيب ج ٢ ص ٥٨٨

٢ انظر النفج ج ٢ ص ٤٨٦

حتى يحسبه الانسان انه لا شغل له الا قول الشعر والاجتهاد
في إجادته واحسانه . وكيف لا وقد نشأ في بيت الشعر والادب
والرياسة والملك ، فقد كان أبوه المعتضد وجده أبو القاسم
شاعرين . وكان لابيه دار مخصوصة بالشعراء وديوان تقيده فيه
أسماؤهم ، وقد جعل لهم يوما يفرغ لهم فيه فلا يدخل على الملك
فيه غيرهم .

واجتمع بحضرة المعتمد منهم ما لم يجتمع بحضرة غيره
فكان عنده ابن زيدون وابن عمار وابن اللبانة ، وكل واحد
من هؤلاء فيه كفاية .

على أن شخصية المعتمد زادت بروزا بهذه النكبة التي
حاقّت به وتركّت الاكباد تتقطع حسرة على ما أصابه من
أسى وفضيحة بعد سابق العز والسلطان ، وزاد شعر المعتمد
في هذه المدة إثارة للبلابل في الصدور وتحريكا للشجو
في النفوس ، فكان والحق يقال أشجى شعر قيل في نكبة حقت
بعظيم . ومن شعره هذا :

لما تماسكت الدموع	وتنهنه انقلب الصديق
قالوا الخضوع سياسة	فليبد منك لهم خضوع
وألد من طعم الخضو	ع على فمي السم النقيع

ان تستلب منى الدنيا ملكى وتسلمنى الجموع
 فالقلب بين ضلوعه لم تسلم القلب الضلوع
 لم استلب شرف الطبعا ع ، أبسلب الشرف الرفيع
 قد رمت يوم نزالهم ألا تحصننى الدروع
 وبرزت ليس سوى القمي—ص عن الحشاشى* دفوع
 وبذلت نفسى كى تسي—ل اذا يسيل بها النجيع
 أجلى تأخر لم يكن بهـواي ذلي والخشوع
 ما سرت قط الى القتا ل وكان من أملى الرجوع
 شيم الالى أنا منهم والاصل تتبعه الفروع

ومنه في يوم عيد وهو بالسجن :

فيما مضى خنت بالاعياء مسرورا فساك العيد في أغمات مسرورا
 ترى بناتك في الاطمار جائعة يغزلن للناس ما يملذن قمطيرا
 يطأن في الطين ، والاقدام حافية كأنها لم تطأ مسكا وكافورا
 أنطرت في العيد لا عادت اسائه فكان فطرك في الاعياد تظفيرا
 قد كان دهرك انت تأمره مثلا فردك الدهر منعهيا ومأسورا
 من بات بعدك في ملك يسر به فانهما بات بالاحلام منـرورا

واذا ذكر المعتمد ذكر معه بالطبع ابن عمار وزيره
 ورفيقه ونظيره في الشعر وهو ممن كان يذهب مذهب
 المتنبى ويأخذ أخذه في طلب المعالي والنهم بالسلطان .
 وشعره مرآة لنفسه القوية وطبعه الجموح . على انه كسائر

شعراء الاندلس رقيق الغزل لطيف المحاولات اغنون الشعر المختلفة ، وكان قد لحق بخدمة المعتضد بن عباد واختص بولده المعتمد ولزمه ملازمة شديدة حتى صار لا يرى الا معه ولما ولي المعتمد على مدينة شلب من قبل والده استـوزره وسلم اليه جميع اموره فغلب عليه ابن عمار غلبة شديدة وسامت السمعة عنهما ففرق بينهما المعتضد وأبعد ابن عمار عن ايدالته فلم يزل مبعدا حتى توفي المعتضد فاستدعاه المعتمد وقربه أشد تقريب ، ثم وقع بينهما ما أوجب سجنه وقتله وقد تشفع له ابن عمار واستعطفه ببليغ الاشعار فلم يؤثر ذلك فيه شيئا والملك كما يقولون ، عقيم لا يرعى على ولي أو حميم . ومن شعره يستعطفه :

وعذرك ان عاقبت اجلى واوضح
فأنت إلى الادنى من الله تجنح
سوى ان ذنبي ثابت ومصحح
يخوض عدوي اليوم فيه ويمرح
له نحو روح الله باب مفتوح
فكل إناء بالذي فيه يرشح
فقلت وقد يغفو فلان ويصفح
ولكن حلما للمؤيد يرجح

سجايك ان عافيت اندى واسمح
وان كان بين الخطبين مزية
وماذا عسى الاعداء ان يتزيدوا
وإن رجائي ان عندك غير ما
اقلني لما بيني وبينك من رضى
ولا تلتفت قول الوشاة وزورهم
وقالوا سيجزيه فلان بذنبه
الا ان بطشا للمؤيد يرتمي

ومن شعره قصيدته التي صارت أشرد من مثل¹ في مدح

المعتضد ، وكانت سبب تقريبه له . وأولها :

أدر الزجاجة فالنسيم قد انبرى والنجم قد صرف العنان عن السرى
والصبح قد أهدى لنا كافوره لما استرد الليل منا العنبرا

ومن أبياتها بيت قال فيه المراكشي صاحب «المعجب»
انه لم يسمع لم تقدم ولا لمتأخر مثله¹ وهو قوله :

السيف أفصح من زياد خطبة في الحرب ان كانت يمينك منبرا
وله حين فرق المعتضد بينه وبين المعتمد ، وهو مما
تظهر عليه نزعة المتنبي .

علي ، والا ما بكاء الغمام وفي . والا ما نباح الحمائم
وعني أثار الرعد صرخة طالب لثأر وهز البرق صفحة صارم
ومالبست زهر النجوم حدادها لغيري ولا قامت له في مآثم

واذا كان عصر ملوك الطوائف قد انتهى مع هؤلاء الشعراء
فانه قد امتد مع غيرهم كابن اللبانة وابن خفاجة وسواهما
الى عصر المرابطين . . فأما ابن اللبانة فهو أبو بكر محمد بن
عيسى اللخمي من أهل دانية وقد اشتهر بوفائه للمعتمد ورثائه
له بعد موته ، وهو شاعر من أهل الاجادة والاحسان ، وقد
على المعتمد في أواخر أيامه ومدحه . ثم بعد زوال ملكه لحق
بجزيرة ميورقة وبها مبشر العامري فحظي عنده ، وله فيه أمداح

ومنها قصيدة غريبة المنزع جعلها من أولها الى آخرها . صدر البيت غزل وعجزه مدح . وهى :

وضحت وقد فضحت ضياء النير	فكأنما التحفت ببشر مبشر
وتبسمت عن جوهر فحسبته	ما قللته محامدي من جوهر
وتكلمت فكأن طيب حديثها	تمتت منه بطيب مسك أذفر
هزت بنغمة لفظها نفسي كما	هزت بذكره أعالي المنبر
أذنبت واستغفرتها فجرت على	عاداته فى المذنب المستغفر

وأما ابن خفاجة فهو شاعر الطبيعة المبدع في وصف آثارها ومظاهرها، من الرياض والرياحين والماء والغمام والشمس والظل والجبال والاشجار وما إلى ذلك . لم يلتفت الى منصب ولا الى جاه . ملأ جمال الدنيا عينيه فمال بكليته اليه ، يغني ويشرب ، ويشعر ويطرب ، إلى أن توفي بمسقط رأسه من جزيرة شقر . ومن شعره يصف نهرا :

لله نهر سال في بطحاء	أشهى ورودا من لمى الحسناء
متعطف مثل السوار كأنه	والزهر يكنفه ، مجر سماء
قد رق حتى ظن قرصا مفرغا	من فضة في بردة خضراء
وغدت تحف به الغصون كأنها	هدب يحف بمقلة زرقاء
والما أسرع جريه متحدرا	متلويا كالحية الرقطاء
والريح تعبث بالغصون وقد جرى	ذهب الاصيل على لجين الماء

وله في بلاد الاندلس :

يا أهل أندلس لله دركم ماء وظل وأنهار وأشجار
ما جنة الخلد إلا في دياركم ولوتخيرت هذي كنت أختار
لا تخشوا بعدها ان تدخلوا سقرا فليس تدخل بعد الجنة النار

وبعد ملوك الطوائف والمرابطين أظل الاندلس ملك
الموحدين ، وقد بلغت الى أقصى غايات المجد العلمي والرقى
الفكري . ففي عهدهم نبغ الفلاسفة العظام مثل أبناء زهر وابن
طفيل وابن رشد ، وزادت النهضة الادبية اتساعا حتى أصبح
الشعراء يعدون بالعشرات . ولقد جالس لهم المنصور الموحدي
يوما وجأوا يهنئونه بانتصاره في موقعة حربية ، فكانوا من
كثرتهم إنما يلقون البيت الاول من قصائدهم ويضعون الورقة
التي كتبت فيها القصيدة أمامه ، فما انتهى عددهم حتى كانت
الاوراق تحول بينه وبين الناس من كثرتها¹ . ولانستطيع أن نعد
جميع الشعراء الذين نبغوا في هذا العصر ، وإنما نقتصر على
ذكر ثلاثة أفراد منهم نعتقد أنهم يمثلون عصرهم أحسن تمثيل
وهؤلاء هم الرصافي وابن مجبر وصفوان ابن ادريس .

فالرصافي هو محمد بن غالب البلمنسي ، نسب الى رصافة
بلمنسية ، وكان شاعرا مجيدا نزيها عفيفا ، وله في عبد المؤمن

ابن علي القصيدة المشهورة التي أولها:

لو جئت نار الهدى من جانب الطور

قبست ما شئت من علم ومن نور

وفيها يصف جبل طارق - وكان عبد المؤمن يسميه جبل
الفتح - وصفا بليغا ويذكر مجمع البحرين وأسطول الموحدين
الحربي ويمدح المهدي بن تومرت وعبد المؤمن مشبهما لهما
بموسى ويوشع عليهما السلام ، وهاك قوله في وصف الجبل

لله ما جبل الفتحين من جبل	معظم القدر في الاجيال مذكور
من شامخ الانف في سخمائه طلس	له من الغيم جيب غير مزرور
معبرا بذراه عن ذرى ملك	مستطر الكف والاكفاف مطور
تمسي النجوم على اكليل مفرقه	في الجو حائمة مثل الدنانير
وربما مسحته من ذوائبها	بكل فضل على فوديه مجرور
وأرد من ثناياه بما أخذت	منه مقاحم أعواد الدهارير
معنك حلب الايام أشطرها	وساقها سوق حادي العير للعرير

وابن مجبر هو أبو بكر يحيى بن عبد الجليل بن عبد
الرحمن بن مجبر الفهري من أهل بليش ؛ قرية قرب مالقة ،
كان من أشعر اهل زمانه وكان مختصا بالمنصور الموحدي
ملازما له ، وكان المنصور يعظمه ويقدمه على غيره من شعراء
وقته وله فيه امداح كثيرة ، وهو القائل في وصف المقصورة

«الاولتوماتيكية» التي أنشأها المنصور بجامعة بمدينة مراکش
بعد ما عجز الشعراء عن وصفها :

طوراً تكون بمن حوته حيطه فكأنها سور من الاسوار
وتكون حيناً عنهم مغبومة فكأنها سر من الاسرار
وكانها علمت مقادير الورى فتصرفت لهم على مقدار
فإذا أحست بالامير يزورها في قومه قامت إلى الزوار
يبدو فتبدو ثم تخفي بعده كتكون الهالات الاقمار

وأما صفوان بن إدريس فهو أبو بحر التجيبي من أهل
مرسية ، كان شاعراً وكاتباً وله كتاب «زاد المسافر» الذي هو أحد
المجموعات التي تُولف خزانة الادب الاندلسي ، ومن شعره
الهمزية المشهورة بين أدباء المغرب وأولها .

جاد الربي من بانة الجرعاء نوآن من دمعي وغيم سما
فالدمع يقضي عندها حق الهوى والغيم حق البانة الغنا
خلت الصدور من القلوب كما خلت تلك المقاصر من مها وظباء
ولقد أقول لصاحبي وإنما ذكر الصديق لآكد الاشياء
يا صاحبي ولا أقل - اذا أنا ناديت من أن تصغيا لندائي
عوجا نجار الغيث في سقي الحمى حتى يرى كيف انسكاب الماء
ونسن في سقي المنازل سنة نمضي بها حكما على الظرفاء
ويأتي بعد هذا العهد عهد غرناطة وملوك بني الاحمر ،

وحسبنا أن نذكر غرناطة فنذكر الشعر والشعراء والجهالة
الادبية الراقية التي قضتها هذه المدينة في عهد ملوكها
الرافلين في حلل النعيم في قصور الحمراء الزاهية وبين ظلال
جنات العريف الوارفة . ولا حاجة بنا إلى ذكر شعراء هذا
العهد ، فإن واحدا منهم يكفي للتنويه بنهضة الشعر فيه وهو
لسان الدين بن الخطيب الذي ملأ الدنيا شعرا وأدبا ، وعفى
ذكره على السابقين واللاحقين من أدباء الاندلس ، فما من
مجال إلا وله فيها ذيل سحب ، وما من موضوع إلا وقد تناوله
بذراع رحب ، وبقدر ما له في الشعر من الآيات البيّنات ،
فإن له في النثر الفني والكتابة العلمية والتاريخية الآثار
الخالدات . وبالجملّة فقد كان معجزة قطره ومفخرة عصره ،
ولم يبالغ من قال فيه انه شاعر الدنيا ¹ وأديب الاندلس ، اذا
كان يقصد دنيا العروبة في هذا العهد . ولانستطيع أن نقدم
نماذج من شعره تمثل نفسيته وطابعه الادبي ، فإن شعره كثير
ومناحيه الفنية متعددة ، فلنقتصر على قطعة أو قطعتين منه
« وعن البحر اجتزاء بالوشل ، قال يتشوق :

سقى الله نجدا مانضحت بذكرها	على كبدي الا وجدت لها بردا
وآنس قلبي فهو للعهد حافظ	وقل على الايام من يحفظ العهد
صبور وإن لم يبق الا ذبالة	اذا اسقبلت مسرى الصبا اشتعلت وقد
وقد كنت جلدا قبل ان يذهب النوى	ذمائي وان يستأصل العظم والجلدا

(1) ابن الأحمر في نثر الجان

وقال مخاطبا السلطان أبا عنان المريني وكان وفد عليه
من قبل سلطانه الغني بالله في جملة من أعيان مملكة غرناطة
مستنجدا به ، فحين مثل بين يديه أنشده وهو قائم :

خليفة الله ساعد القدر	علاك ما لاح في الدجى قمر
ودافعت عنك كف قدرته	ما ليس بسطيع دفعه البشر
وجهك في النائبات بدر دجى	لنا وفي المحل عفاك المطر
والناس طرا بأرض أندلس	لولاك ما أوطنوا ولا عمروا
ومن بها مذ وصلت حبلمهم	ما جحدوا نعمة ولا كفروا
وجملة الامر أنه وطن	في غير عليك ما له وطر
وقد أهمتهم نفوسهم	فوجهوني إليك وانتظروا

فاهتز السلطان أبو عنان لهذه الابيات وأذن له في
الجلوس وقال له ما ترجع اليهم الا بجميع طلباتهم، قال القاضي
أبو القاسم الشريف شارح مقصورة حازم وهو من مشائخ لسان
الدين وكان معه في هذه الوفادة : « ما سمعنا بسفير قضى
سفارته قبل أن يسلم على السلطان الا هذاء . ولا شك أن ذلك
من براعة لسان الدين الرائعة وبلاغته الفائقة

وهذا الاستعراض على سرعته لا يتم اذا لم نتعرض لنوابغ
النساء الاندلسيات في الشعر ، وما كان لمشاركتهن من بليغ

الآثر في الحياة الشعرية بالاندلس . وقد بدأ نبوغهن مبكرا في أول عهد الدولة الاموية ؛ لما قلنا من أن الشعر الاندلسي نشأ حضريا من أول يوم . ونبوغ النساء في العلوم والفنون هو وليد الحضارة والحياة العقلية المترفة .

وقد كانت لبنى كاتبة الخليفة الحكم المستنصر من الاديبات الشاعرات المتفوقات ، وكانت تعاصرها حسانة التميمية بنت أبي الحسين الشاعر ، والشاعرة الغسانية ، وحفصة بنت حمدون . واشتهرت بعد هؤلاء عائشة القرطبية التي لم يكن في زمنها من حرائر النساء من يعدلها علما وفهما وأدبا وشعرا وفصاحة ، تمدح الملوك وتخطبهم بما يعرض لها من حاجة . وكانت حسنة الخط تكتب المصاحف وماتت عذراء سنة 400¹ ثم اشتهرت في القرن الخامس مريم بنت أبي يعقوب الانصاري الشاعرة الادبية التي كانت تعلم النساء الادب ، وأم العلاء بنت يوسف الحجازية ومولاة ابي المطرف بن غلبون العروضية وولادة بنت المستكفي الشهيرة ، ومهجة القرطبية ، وفزهون الغرناطية ، وحمدونة بنت زياد المؤدب . والعبادية والدة المعتمد ، واعتماد محظيته وبثينة بنته وأم الكرم بنت المعتمد بن صمادح وغاية المنى جاريته . ثم اشتهرت في أوائل القرن السادس الادبية الشلبية ، وأسماء العامرية وحفصة الركونية وغيرهن ممن استوعب

(1) النفع ج 2 ص 492 .

المقري ذكرهن وأتى على كثير من أشعارهن واطائفهن .
ونحن نكتفي بذكر اثنتين من هذا العدد الكثير وهما
ولادة وحمدونة :

فأما ولادة فهي بنت الخليفة المستكفي بالله : كانت
واحدة زمانها في الادب والشعر، حسنة المحاضرة لطيفة المعاشرة
مع الصيانة والعفاف . وكان ابن زيدون يتعشقها وله فيها
القصائد الطنانة والمقطعات البديعة ، وكانت أولا تطارحه شعرا
بشعر وتبادله حبا بحب ، ثم قلبت له ظهر المجن وصارت
تهجوه . وكان لها مجلس يغشاه أدباء قرطبة وظرفاؤها فيمر
فيه من النواذر وانشاد الشعر شي كثير . ومن بديع شعرها ما
كتبته به الى ابن زيدون :

ترقب إذا جن الظلام زيارتي فاني رأيت الليل أكرم للسر
ولى منك مالو كان بالشمس لم تلج وبالبدر لم يطلع وبالنجم لم يسر
وأما حمدونة بنت زياد المؤدب فهي التي يقال لها خنساء

المغرب لقوة شعرها وسمو إبداعها ، ولها المقطوعتان العجبتان
المشهورتان بالمشرق والمغرب واللتان ما زال أهل البلاغة
يجعلونهما مثلا أعلى للنسج على منواله والحذو حذوه وهما :
هذه :

ولما أبى الواشون إلا فراقنا وما لهم عندي وعندك من ثار
وشنوا على أسماءنا كل غارة وقل حماتي عند ذاك وأنصاري

غررتهم من مقتلتيك وأدمعتي ومن نفسي بالسيف والسيل والنار
وهذه :

وقائنا لفحة الرمضاء واد سقاه مضاعف الغيث العميم
حللنا دوحه فحننا علينا حنو المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظمأ زلالا ألد من المدامة للنديم
يصد الشمس أنى واجهتنا فيحجبها ويأذن للنسيم
يروع حصاه حالية العذارى فتلمس جانب العقد النظيم



ولعلنا وقد انتهينا من هذا الاستعراض، قد ظهرنا منه بالرغم
من قصره على تلك الظاهرة التي أسلفنا الكلام عليها، وهي أن
هذا الشعر الاندلسي حضري مترف لا جاهلية له ولا بدواة ،
وأنه منذ نشأ كان كذلك ، لم يحمل من معاني الشعر الجاهلي
والفاظه ما حمله غيره من الشعر العربي في الاقطار الاخرى
غير الاندلس، ولم يمثل غير نفوس أصحابه ومجتمعهم ومحيطهم
على أنه لما ضاق به مجال التعبير ، واحتاج الى التحرر من
القيود اللفظية لم يخرج عن مواضع القوم إلا بمقدار ما تسمح
به طبيعة اللغة العربية المحافظة على إرث الاجداد ، فاخترع
هذا التوشيح الذي هو فن أندلسي محض ، أدخل على الشعر
العربي تحسينا في الصناعة كما جعله ألين مراسا وأسلس قيادا
مما كان عليه قبل ، إذ كانت القافية تتحكم في الشاعر فتركبه

المراكب الصعبة للبلوغ الى مقصده ، ويضطر بذلك الى استعمال الالفاظ المألوفة وغيرها ، ودع عنك سامة النفس ونبو الطبع عن سماع نعمة واحدة لا تبديل فيها ولا تغيير منذ بدء القصيدة الى نهايتها . وربما تكون طويلة جدا ، ولا كذلك هذا النظام البديع الذي يقوم عليه التوشيح من الاسماط والاغصان ؛ فانه أوقع في النفس وأخف على السمع . وبه ظهرت براعة أهل الاندلس فانهم جددوا وحافظوا في آن واحد: جددوا في أسلوب الشعر ونظمه، وحافظوا على اوزان العروض والقافية فلم يقموا فيما وقع فيه بعض أدباء العصر من الدعوة الى نبذ القافية جانبا والتحلل من الاوزان والبحور الشعرية المعروفة ، فلما تناقض عملهم مع طريقة الشعر المعروفة دعوا ذلك بالشعر المنشور ؟

وأشار ابن خلدون الى قريب مما ذكرناه: من ان اختراع التوشيح كان نتيجة لكثرة الشعر وحب التفنن فيه فقال : «أما اهل الاندلس فلما كثر الشعر في قطرهم وتهذبت مناحيه وفنونه وبلغ التنميق فيه الغاية استحدث المتأخرون منهم فنا سموه بالموشح ينظمونه أسماطا أسماطا وأغصانا أغصانا ، يكثرون منها ومن أعاريضها المختلفة ، ويسمون المتعدد منها بيتا واحدا ويلتزمون عدد قوافي تلك الاغصان وأوزانها متتائيا فيما بعد الى آخر القطعة¹ .

وكان المخترع لهذا الفن هو مقدم بن معافى شاعر الامير
عبد الله بن محمد المرواني ، وأخذه عنه ابن عبد ربه صاحب
كتاب «العقد» ، ولكن الذي أحكم صناعته ونهج طريقته هو
عبادة القزاز شاعر المعتصم بن صمادح صاحب المرية . . قال
أبوبكر بن زهر : « كل الوشاحين عيال على عبادة القزاز فيما
اتفق له من قوله :

بدر تم، شمس ضحى . غصن نقي، مسك شم

ما أتم، ما أوضعا . ما أوراقا، ما أنم

لا جرم، من لمحا ، قد عشقا، قد حرم

وكان بعد عبادة ، ابن رافع رأسه شاعر المأمون بن ذي
النون صاحب طليطلة ، ثم الاعمى التطيلي ويحيى بن بقى
وأبوبكر بن باجة الفيلسوف الموسيقار المشهور، ثم محمد بن
أبي الفضل بن شرف وأبوبكر بن زهر الحكيم المشهور وسهل بن
مالك وغيرهم كثير ، واشتهر على الخصوص بين ادباء المغرب
موشح ابن سهل الاسرائلي شاعر اشبيلية واوله :

هل درى ظبي الحمى ان قدحى قلب صب حله عن مكنس

فهو في حر وخفق مثلما لعبت ريح الصبا بالقبس

وقد نسج على منواله لسان الدين بن الخطيب فقال :

جارك الغيث اذا الغيث همى يا زمان الوصل بالاندلس

لم يكن وصلك الا حلما في الكرى او خلسة المختلس

وكان ابن الخطيب من المبرزين في صناعة التوشيح شأنه
 في كل فن من فنون الادب .
 ولا يمتاز الشعر الاندلسي من ناحية الصناعة اللفظية
 فحسب، بل إن له مميزات من الناحية الموضوعية لا تكاد تخفى
 على احد ممن تعمق في دراسة الادب العربي على العموم وقارن
 بين الشعر الاندلسي وغيره من شعر الاقطار العربية الاخرى
 وقد تقدمت الاشارة الى هذه البراعة في الوصف التي تميز بها
 الاندلسيون خاصة في وصف مظاهر الطبيعة وآثارها البديعة
 من الرياض والازهار والرياح والامطار والمياه والانهار وما إلى
 ذلك حتى كان شاعرهم في هذا الباب وهو ابو اسحق بن
 خفاجة فذا في شعراء العربية كلهم لم ينافس احد منهم في
 استحقاق لقب شاعر الطبيعة . . ومع ذلك فإن موضوعا آخر
 لم نر من نبه عليه ، ولم ينتبه إليه الشعراء العرب الا في هذا
 العصر الحديث حين وجدت بواعثه وأسبابه ، فصار عندهم من
 الموضوعات الشعرية الرئيسية ، الا وهو الشعر الوطني ،
 فالاندلسيون بما كانوا فيه من عراك دائم مع القوات الاسبانية
 التي تنتقض بلادهم من اطرافها يوما فيوما وتحاول ان ترمى
 بهم خارج حدود الجزيرة الايبيرية في كل وقت وحين ، لم
 يزالوا كلما خرجوا من بلدة او قرية وفقدوا السلطة على مدينة
 او ناحية . يكون سالف مجدهم وعزهم ويحنون الى معاهد

انفسهم ولهوهم ويتفجعون لما نزل بها من الذل والهوان
ويستثيرون الهمم لانقاذها واسترجاعها من يد الكفر والظفیان
وهكذا تكون موضوع جديد في الشعر العربي وهو الشعر
الوطني الذي يضرب على وتر الوطنية ويستغل الحاسة الدينية
للجهاد والقتال من أجل تحرير البلاد .

وهذه الوطنية لم تكن عند الانداسيين شعورا عابرا ولا
فكرة عارضة . وإنما هي عقيدة ثابتة وإحساس متأصل في
نفوسهم . يدل ذلك على كثير من أقوالهم حتى في غير الشعر
الذي نحن بصده . فمثلا نجد الفتح بن خاقان عند ترجمته
لابن حزم العالم المشهور يفتخر بأنه لم يرحل إلى المشرق وأن
نبوغه فاق من رحل إليه^١ ونجد إسماعيل بن حبيب في مقدمة
كتابه « البديع في وصف الربيع » يباهي بأنه لم يورد فيه شعرا
الا لاهل بلده الاندلس . ويزري بأشعار المشاركة التي ابتذلت
فلم تعد النفوس تميل الى سماعها ، ثم يشير الى سبق الاندلسيين
للمشاركة في أحسن المعاني مجتلى ، وأطيبها مجتنى ، وهو
الباب الذي تضمنه هذا الكتاب (يعني وصف الربيع) فلهم فيه
من الاختراع الفائق والابتداع الرائق وحسن التمثيل والتشبيه
ما لا يقوم أولئك مقامهم فيه .

ونرجع الى ما كنا بسبيله من الشعر الوطني الاندلسي

فنورد منه بعض الامثلة . يقول أبو المطرف بن عميرة في
قطعة بليغة :

زدنا على النائين عن أوطانهم	وان اشتركنا في الصباة والجوى
انما وجدناهم قد استسقوا لها	من بعد ما شطت بهم عنها النوى
ويصدنا عن ذاك في أوطاننا	مع حبها الشرك الذي فيها ثوى
حسناء طاعتها استقامت بعدنا	لعدونا ؛ أفستقيم لها العوى ؟

ويقول ابو عبد الله الفاززى في قطعة اخرى :

الروم تضرب في البلاد وتغنم	والجور يأخذ ما بقي والمفرم
والمال يورد كله قشتالة	والجند بسقط والرعية تسام
وذوو التعين ليس فيهم واحد	الامعين في الفساد مسام
اسفي على تلك البلاد واهلها	الله يلفظ بالجميع ويرحم

فهاتان القطعتان من أشجى الشعر الوطني وأبلغه ، ولا
تقصران عما ينظم منه الان في البلاد العربية التي يتلاعب بها
الاستعمار¹.



ودون هذا وذاك فان هناك فنونا أخرى من النظم برع
فيها الاندلسيون وتفوقوا على غيرهم وان كانت لا تعد من
الشعر في حقيقة الامر ، وهذه مثل الانظام العلمية التي تضم
أشتات العلوم وقواعدها وتتضمن أبوابها وفوائدها . ومن أول

(1) أنظر فصلا خاصا بهذا الموضوع في كتابنا «التعاشيب» .

الموضوعات التي ضبطوها بالنظم وقيدوها الوزن التاريخ، فلابن عبد ربه أرجوزة ذكر فيها غزوات عبد الرحمن الناصر¹ بل قيل ان ليحيى الغزال الذي عاش قبل ذلك بكثير تاريخا للاندلس منظوما . وكذا لابن الخطيب تاريخ منظوم وهو المعروف «برقم الحل في تاريخ الدول، وفي غير التاريخ نرى منظومة لابن عبد ربه أيضا في علم العروض وهي في غاية السلسلة² كما نرى لابن مالك الجبائي «ألفية، النحو المشهورة ولابن عاصم الغرناطي «تحفة الحكام في علم القضاء والاحكام، وغير هذه المنظومات كثير .

على ان البراعة الحقيقية التي امتاز بها الاندلسيون في هذا الصدد هي الانظام العلمية الملعوزة. وتختلف طرق الالغاز فيها عندهم ، فبعضها لانكاد تشعر بأنه نظم علمي ، وانما نقول انه قصيدة شعرية فريدة في حين أنه يتضمن اشارات ورموزا الى قواعد علمية معروفة . وبعضها يكون فيه الرمز واضحا لا خفاء معه وانما فائدته أنه يتضمن المعاني الكثيرة في الالفاظ القليلة بحيث تشتمل القصيدة ذات الابیات المحدودة على قواعد علم كامل بجميع مسائله وأغراضه . فالاول كما في قصيدة

(1) انظرها في ج 2 من العقد

(2) انظرها في الجزء 3 من العقد

«غرامى صحيح، لابن فرح الاشبيلي التى ضمنها اصول علم الحديث ولم يصرح بشئ^١ من غرضه فجاءت كأنها قصيدة غزلية بحيث لو عرضت على عربي خالص لما فهم ملها إلا ما يفهم من قصائد الشوق والوجد وهذا اولها :

غرامى صحيح والرجا فيك معضل ودعني ووجدني مرسل ومسلسل
والثاني كما في قصيدة الشاطبي في علم القراءات، وهي مشهورة بين علماء هذا الفن ، وتعد من امهات الكتب فيه ، وقد بناها على اشارات الحروف الابدجية ، وبذلك توصل الى اختصار هذا العلم الواسع وتضمينه في نظم مهما كثر فانه قليل بالنسبة الى سعة موضوعه^١

... وقد ظهر بهذا العرض السريع وهذه الالمامة العجلى ان الشعر الاندلسي لم يتأثر بشئ^٢ خارجي عنه ، حتى الادب المشرقي كان تأثره به في دائرة عامة ، وأما السمات الخاصة به فانما كانت من وحى البيئة والمحيط . وهذه العناصر الجديدة التى وجدت فيه مع الالام سواء فى اللفظ او المعنى انما كانت ذاتية و تلقائية ، فلا صحة لما يقال من ان الادب الاندلسي تأثر بالادب الاسباني واخذ عنه ، كما اثر هو عن حق في هذا الادب وكما اخذ هذا الادب من غير شك عنه، فليت شعري اين هو هذا

(1) توسعنا في الكلام على هذا الموضوع في فصل ضمنناه كتاب «واحة الفكر» .

الآثر ؟ وما هذا الذي اخذه الادباء الاندلسيون عن الادباء الاسبان
واي فن جديد هذا الذي اضافوه الادب الاندلسي الى فنون
الادب العربي باستثناء الموضوع الذي لمحمنا اليه وهو الشعر
الوطني الذي كان وليد الظروف السياسية الداخلية للبلاد ؟
وما باله لم يطل على دنيا القصص والتمثيل . إن كان حقا
تأثر بالادب الاسباني ، وليس في هذا الاخير ما يؤخذ افضل
من هذين الفنين ، لو كانا موجودين فيه إذ ذاك ؟

اما القول بأن مريثة ابن عبدون الموك بنى الافطس هي
من قبيل الشعر القصصي ، وانها تدل على اقتباس هذا الفن
من الاسبان ، فإنما هو قول من يلقي الكلام على عواهنه ولا
يعني بتحقيق ما يقول .

ولهذه المناسبة نشير قبل أن نختم هذه الكلمة، الى أن
هناك قصيدة أخرى شبيهة بمريثة ابن عبدون ، ولكن قل من
يتلبه لها مع أنها في غرض الرثاء مثلها وتضمنت من عبر الدهر
ما يجعلها مأساة تاريخية كقصيدة ابن عبدون ، وهذه هي قصيدة
الاعشى التطيلي في رثاء أحد فتيان اشبيلية الاجواد وكان
بتمعهده ويحسن اليه ، فأصبح قتيلا ذات يوم . وأولها :

خذا حدثاني عن فل وفلان لعلي أرى باق على الحدان¹

عاميتنا والمعجمية

هذا بحث طالما منيت نفسي بالكتابة فيه والشواغل تصرفني عنه ، وهو بحث يلزم له كثير من الاناة لتنقيح مناطه وزمن غير قليل لجمع شتاته. وأنا الان اقتحم لجه أقل ما كنت استعدادا له ، فكتبي ليست معي، وحالي حال المسافر الذي وإن طالت اقامته في بلد ما لا يكون مطمئنا اطمئنانه وهو مقيم في بلده بين أهله وولده . ولذلك فهو ليس البحث الذي كنت أمني به نفسي من حيث العمق والشمول، وان ألم بأطراف الموضوع ورسم خطوطه الاولى . وكذلك ما لا يمكن كله لا يترك بعضه.

وقبل الدخول في صميم الموضوع ارى انه لا بد من تعريف اللفظين المعنون بهما لان عليهما مدار هذا البحث. فالعامية هي اللغة التي يتكلم بها الجمهور في أي بلد عربي. ويقال لها أيضا الدارجة لان القوم درجوا على التفاهم بها . وبما انه لكل قطر عربي لغة من هذا القبيل فاضافتها في العنوان إلى ضمير المتكلم ومعه غيره ، مشعرة بأن المراد بها هنا العامية المغربية . وأما المعجمية فالمراد بها كون الكلمة فصيحة من مفردات المعاجم اللغوية اعني قاموسية بمجaraة الاصطلاح الذي درج على استعمال كلمة قاموس بمعنى معجم ، وهو خطأ منشأه التوسع في اطلاق

اسم معجم الفيروز ابادي الذي هو لقاموس المحيط على كل معجم آخر، وما هو الا اسم علم، خاص بالكتاب الذي سمي به، لا يتجاوزه الى غيره . وعلى كل حال فالمعجمية منسوبة الى المعجم وهو الكتاب المؤلف في مواد اللغة. وأولى ان تكون في عنواننا مصدرا صناعيا مثل الحرية والوطنية لتكون أثم دلالة على المراد من مقابلة العامة بها وتصحيحها عايتها .

ومما لا خفاء به ان اللغة العربية قد طرأ عليها انحراف كبير عن وضعها الاصلي افرادا وتركيبا ، سواء في ذلك لغة التخاطب ولغة الكتابة. فمنذ بارح الشعب العربي وطنه الاصلي مضطرا الى الاختلاط بالشعوب العجمية الكثيرة التي اعتنقت الاسلام . واللغة العربية في تصادم كبير مع اللغات واللهجات العديدة التي لاقتها في مختلف المواطن الاسلامية الجديدة . وهى وان لم تنهزم قط فى هذا الصراع الطويل ، فقد خلف بها ندوبا اتسعت كثيرا فى لغة التخاطب حتى نشأت عنها هذه اللغات أو اللهجات العامة على الصحيح المستعملة فى كل قطر من الاقطار العربية بما بينها من تقارب او تباعد. وأما لغة الكتابة فقد قبيض لها في كل زمان ومكان من يرد خطأها الى الصواب ويقوم انحرافها حتى تعود الى وضعها الاصلي ، وبذلك بقيت محتفظة بعناصرها الاولى التي تجعلها دائما اللغة الرسمية لشعوب الاسلام كافة بل ابناء العروبة في مختلف أقطارهم .

ولعل سلسلة المؤلفات الموضوعة في هذا الغرض من مرة
الغواص في أوهام الخواص للحريري الى لغة الجرائد لليازجي
وغيرهما ؛ مما لا يخفى امره على القاري الكريم . غير أن
هذه المؤلفات ان كانت ترد خطأ الاستعمال في المفردات
والتراكيب إلى صوابه وتنبه على وجه الانحراف الذي وقع
في ذلك ، فإن غرضنا من هذا البحث هو على العكس محاولة
رد بعض المفردات وربما التراكيب أيضا التي فشا استعمالها
في العامية المغربية وقد يظن أنها خطأ - الى اصلها من الصواب
والتنبيه على وجه ذلك كما يتبين فيما بعد

وبعبارة أوضح تسجيل ما في العامية المغربية من كلمات
صحيحة الاستعمال وبعضها مما لا شك في فصاحته لانه ثابت
في كتب اللغة الا أنه من الغريب الذي لم يعد مستعملا في
لغة الكتابة والبعض الآخر مما تميزت به العامية المغربية ، ولا
نبعد اذا قلنا انها وضعته مطابقا لقواعد الفصحى من الاشتقاق
والنحت وغير ذلك سادة به احدى الحاجات اللغوية الضرورية
فهو لذلك مما لا تتضمنه كتب اللغة وان كان أخرى ان يسلك
فيها مع التنبيه على أصله .

وإذا كان في التعرف إلى النوع الاول من هذه الكلمات
بيان شدة القرب بين العامية المغربية والعربية الفصحى - وذلك
مما يجعلنا نعتقد ان الشعب المغربي في وقت ما ، كان يتكلم

بلغة سليمة ان لم نقل فصيحة - وهو حرى ان يعود سيرته الاولى عند انتشار الثقافة وتعميم التعليم كذى قبل - فان في عرض النوع الثاني منها وتوجيهه عربية، ما يشعر باصالة السليقة العربية عند المغاربة وتمكنهم من قواعد اللغة التمكن التام الذى يظهر فيما يجرى على السنتهم من الكلام مطابقا للقوانين النحوية والمقاييس الصرفية .

وليس هذا القول من المبالغة في شيء : فان هناك من المغاربة من كان لا يتكلم الا بكلام معرب حتى فى الاحوال العادية كالوزير عبد المهيمن الحضرمى (676 - 749) وكان ابو علي اليوسى (1102) يقول لو شئت ان لا اتكلم الا بالشعر لفعلت . وهذه غاية ادناها ان يتكلم الناس بلغة سليمة من العجمة . وقد الف العلامة ابن هانئ السبتي (738) كتابه انشاد الضوال وارشاد السؤل فى لحن العامة ، ومقتضاه ان الخاصة لم تكن تلحن . ولا يعزب عن البال ان العالم العربي لبث زمنا طويلا وهو يدرس قواعد اللغة العربية فى كتب مؤلفين مغاربة ، واشهر هذه الكتب مقدمة ابن ااجروم (672 - 723) التي لا تزال مستعملة فى كثير من معاهده الى الان . فلا جرم ان يكون المغاربة تكلموا العربية على الوجه الصحيح فى العهود السابقة ،



وندخل فى صميم الموضوع فنشرع فى ذكر بعض الكلمات

من النوع الاول ، ثم تتبعها بكلمات من النوع الثانى غير
قاصدين الى الاستيعاب ولا متبعين قاعدة فى الترتيب لان
المراد هو رسم خطة العمل فى هذا البحث والالمام به ولو من
جوانبه .

البخنق

قال فى مختار الصحاح فى مادة بخق : والبخنق خرقه
تقع بها الجارية وتشد طرفيها تحت حنكها لتوقي الخمار من
الدهن او الدهن من الغبار هـ ، وهذا هو البخنق فى كلامنا
ايضا الا ان التوقي به اكثر ما يكون من الريح ويستعمل
منه فعل بخنق ، وعندنا البخينة بصيغة التصغير للقلادة من
الجواهر تشد على العنق شدا بحيث لا تقع على اللبة الا انهم
يكسرون الخاء ويسكنون النون تخفيفا ويقولون لهذه القلادة
ايضا الخناق وتفسيره قريب من البخينة لانه يأخذ بخناق المرأة ،
وهاتان الكلمتان احرى ان تعدا من النوع الثانى .

البابة

بابة الشيء حقه وما يصلح له يقال كان من بابتك ان
تفعل كذا اي من حقك ، وليس ذلك من بابتك اي لا يصلح
لك ، وهو بمعناه هذا مستعمل فى كلامنا . ومن امثال العامة :
(اللي كمل طريجة وبدأ طريجة ، بابتة الذبيحة) والطريجة

في كلام الصانع ما يصنع من جلد ونحوه لانه اذا فرغ منه طرح ارضا فالمثل يعنى ان الصانع الذي يكمل صنع شيء ثم يبدأ بصنع شيء آخر دون ان يستريح قليلا حقه الذبح وهم يستعملون الذبيحة بمعنى المصدر او ان اصلها تصغير ذبيحة ثم كسرت الباء . ويضرب هذا المثل في الامور المعنوية فيقال مثلاً للرجل الذي يتزوج ثانيا بعد ان كان تزوج اولاً وولد له وبلغ المراد من الزواج . والشاهد في قولهم بآبته .

البنيقة

نطلق البنيقة في اللغة على ما يشبه الطوق يقال بنق القميص جعل له بنيقة وهي القطعة من الثوب تزداد في زجره لتوسيعه وكأنها ما يسمو اليوم بالعنق ، وتستعمل هذه الكلمة عندنا في بنيقة الحمام التي تلف بها المرأة شعرها بعد الاغتسال وتكون من ثوب ابيض مطرز بالحريز ، وهي تستكمل تنشيف الشعر ، وتقى ما يغطى به الرأس من البلل . ولا ادري هل لدالاتها هذه اصل في اللغة ام هو توسع في معناها فقط .

بسمين

هذه الكلمة في اللغة معناها سمين وتطلق عندنا بمعنى لذيذ وجميل ولا شك ان هذا استعمال لها في معناها المجازي لان السمين من الحيوان المأكول يستلذ طعمه ، وغير الناس

زمننا على اعتبار السمن من مقومات الجمال فاستعمال بنين في
المعنيين صحيح اذن بل هو من حسن التصرف في معناه . ثم
انهم استعملوا منها البنة ولكن بالمعنى الاول فقط فية ولون مثلا
لهذه الفاكهة بنة يعنون مذاقا خاصا .

التبـان

قال في المختار: والتبان بالضم والتشديد سراويل صغير
مقدار شبر يستر العورة المغلظة وقد يكون للملاحين هـ . اي
والدباغين وهو مستعمل بهذا المعنى عندنا وفي احدى الحكايات
الشعبية التي تروى للأطفال عن البرغوث تقول امه وهي
تخاطب جارتها : ديا جارتى ! يا جارتى ! اعيريني المغرفة ،
اجبذ بها البريغيث سيد الرجال ، طاح في القديرة ، ما بان ،
طاح في الدشيش ، ما يعيش ، مولي الطاقة والعلم ، مولى (التبان)
ما عليه كلام ، والبريغيث تصغير برغوث وهو هنا للتحجب
والتعطف والقديرة تصغير قدر ، وطاح تاه وهاك وما بان ما
ظهر والدشيش طعام يتخذ من جريش البر ومولى بمعنى
صاحب ولا ندري ما ارادت ام البرغوث بالطاقة : الثوب او
القوة ؟ واما العلم فلعلها تريد به الشهرة والشاهد في التبـان
الذي كنا نعرفه ونحن اطفال صغار ونعجب من امر هذا
البريغث المسرول والمستور العورة وهو من صغر الحجم بحيث
لا يكاد يبين .

التبطين

بطانة الثوب ضد طهارته . . وبطن الثوب تبطينا جعل
له بطانة قاله في المختار، وهكذا تستعمل هذه المادة عندنا فعلا
ومصدرا . ومن العجيب ان يتكلم العامة بالفصح في حين أن
بعض المتعلمين يقولون «الفورو» او «الدوبلير» .

تبنيك

تبنيك بالمكان اقام فيه وتبنيك في العلياء تمكن ، وكذلك
نقول تبنيك فلان في المنصب والجاه اذا ثبت واستقر . والعبارة
تورد مورد الاستنكار .

الترياق

دواء السموم معروف . ونقول للدواء والسمن الحار وما
أشبه ذلك : هو مثل الترياق أي كربه المذاق .

تقلق

لمطاوعة قلقه وللنسبة الى القلق مطلقا . يقع في كلامهم
كثيرا . وهو تصرف قياسي لاغبار عليه . ولم نر من نص عليه
من أصحاب المعاجم اشارة الى سبق استعماله ولكننا وجدناه
في رسائل بديع الزمان .

التكفيف

قال في المختار : « وكف الثوب خـاط حاشيته ، وهي الخياطة الثانية بعد الشل ، والشل عنده الخياطة الخفيفة ، وهذا اللفظ مستعمل عندنا أصلا بمعنى خياطة الحاشية لانه كف اها عن النسول ، ويقولون جعل للثوب كفاة اذا كان طويلا فثني من حاشيته ، واما بمعنى الشل فيستعمل قليلا ، على أن الشل نفسه مستعمل عندنا بالمعنى الذي ذكره ولكن بـوزن التفعيل كما استعملنا التكفيف ولم نستعمل الكف .

الجرى

جاء في المختار : والجرى الوكيل والرسول وقد جرى جريا واستجرى ايضا اي وكل وكيلا وارسل رسولا . وفي الحديث قولوا بقولكم ولا يستجرينكم الشيطان . قلت قال الازهري قدم على النبي عليه الصلاة والسلام رهط بني عامر فقالوا انت والدنا وانت سيدنا وانت الجفنة الغراء فقال قولوا بقولكم الحديث ، اي تكلموا بما يحضركم ولا تنتطعوا ولا تنتطقوا كأنما تنطقون عن لسان الشيطان والعربي يدعو السيد المطعام جفنة لملاسته لها والغراء التي فيها وضح السنام . وسمي الوكيل جريا لانه يجري مجرى موكله هـ . وهو مستعمل بهذا المعنى عندنا ولكن ربما خص بالوكيل على قبض الاكرية

وعلى الفلاحة وما اشبه ذلك وخص الوكيل بأمر الدعوى والتجارة
وما إليها من القضايا المهمة وبعض العوام يفهم أنه من الجري
فينطقه ويكتبه الجاري بصيغة اسم الفاعل. على أنه بهذه الصيغة
قد يكون من معنى الجرى بالتشديد .

الجونة

قال فى المختار : والجونة بالضم جونة العطار وربما همز
قلت : قال الازهري : الجونة سليفة مستديرة مغطاة أداما
تكون مع العطارين هـ. ونحن نطلقها على ما عرفها به
الازهري ويستعملونها فى البيوت لحفظ الخبز . ومن كلام
السيدات فى مناعة الاطفال : «هب الفار فى الجونة ، اكل لى
خبزة وزيتونة» واستعمال هب هنا بمعنى نشط وأسرع هو أيضا
مما نحن فيه لانه من معانى هذا الفعل .

الدرد

الدردى فى اللغة بياء مشددة آخره هو ما يبقى من الزيت
وغيره راسبا فى قعر الاناء، ويقال فى المثل «اول الدن دردى»
والدن اداء الحريضرب لمن يفتتح عمله بالشر، ونحن نقوله فى
معناه ولكن بحذف الياء تخفيفا . وربما جاء كذلك فى كتب
اللغة، وقرأت للدكتور احمد زكى وكيل كلية العلوم بالقاهرة

ان اسم حامض الطرطريك Tartaric المعروف في علم الكيمياء مأخوذ عن العربية واصله حامض الدردى وهو مما يتكون من رواسب المائعات .

الزربية

معروفة ، وقد ذكرت في القرآن قال تعالى (وزرابى مبثوثة) ولا اسم لها عندنا الا ذلك ، وفي المشرق يقولون السجاد لان بعض الزرابى الصغيرة تتخذ للصلاة فيسجد عليها، ومن الغريب ان بعض المتفصحين عندنا صاروا يقولون الآن السجاد مثل المشاركة ويعدلون عن اللفظ الفصحى المذكور في القرآن، وما دروا ان العرب لم نقل السجاد الا بالتاء اعني السجادة فاطلاق لفظ السجاد على الزربية عموما فيه مجاز مع خطأ حذف التاء . ونحن نستعمل لفظ السجادة بالتاء فيما استعملته فيه العرب، واليك شرحه عن مختار الصحاح قال : «والسجادة الخمرة قلت الخمرة سجادة صغيرة تعمل من سعف النخل فترمل بالخيوط، وهذه هي السجادة عندنا تماما .

الزربية

حظيرة المواشى في الفصحى وفي العامية المغربية ومن امثالهم «جئت للزربية تبيع اللبن، وهو كقول العرب في جالب التمر الى هجر .

السبئية

في القاموس ان السبئية ثياب منسوبة الى محلة ببغداد يقال لها سبن وفي شرحه قول بانها منسوبة الى موضع بناحية المغرب ثم اضرب قولهم فيها فويل انها ازر سود للنساء وقيل انها ثياب من كتان بيض وقيل انها الثياب القسية وهى ثياب من كتان مخلوط بحرير كانت تجلب من القس او انها منسوبة الى القس وهو الصقيع لنصوع بياضه . وعلى كل حال فالسبئية عندنا خمر من الحرير ملونة ومطرزة تشدها النساء فى رؤوسهن ، وهى عندنا ايضا هذه المناديل الصغيرة من الكتان الساذج والمخلوط بالحرير التى نضعها فى الجيوب للعطاس ونحوه فلم تخرج عن المدلولين اللذين افادهما كلام اللغويين ولعل الموضع الذي تنسب اليه كان ينتج النوعين معا ، فلذلك اختلفا نوعا واتحدا نسبة . ثم ان المنديل لا يستعمل عندنا الا لما يسمح به الوجه والاطراف عند غسلها كالقوطة ، بخلافه فى الشرق فانه يطلق هناك على السبئية التى يظهر انهم لا يستعملون لفظها .

السقطري

قال فى شرح القاموس فى مادة ايدع: «وصف المر يجلب من سقصري جزيرة الصبر ، ومر سقصري مما يجري فى كلامهم

على طريقة التشبيه البليغ المحذوف الاداة .

السهوة

مثل الرف من الخشب يجعل فى البيت لوضع الاشياء عليه
وقد يكون كبيرا بحيث يجلس فيه وينام فيما اذا كان سقف
البيت مرتفعا وارىد استغلال فراغه . وكثيرا ما يجعل ذلك فى
الدكاكين الصغيرة وبيوت المدارس والمقاهي - حتى الاوربية -
فيوجد من الضيق سعة . . هذا ما يراد بالسهوة عندنا وهو
معناها في لسان العرب مع توسع قليل .

شنق

شنق الدابة جذب بشكيمتها حتى يرتفع رأسها ، ونحن
نقوله فى هذا المعنى لكن بصورة المضعف أي بتشديد النون
ونعديه باللام فنقول فى حالة الامر مثلا: شنق لها، وكأنه هروب
من ارادة الشنق بالمعنى الشائع فيكون التضعيف حينئذ مستعملا
في ضد ما هو له من التقوية على خلاف ما اطلقوا عليه من
ان زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى . ولعلمهم لما استشعروا
ضعفه عدوه باللام .

ومما يتعلق بهذه المادة قولهم للطويل الدقيق (الشناق)
وهو كذلك في العربية الفصحى ، ولا يصفون به الا اذا أرادوا

الذم ولعل العرب أيضا كانت تريد ذلك .

واما ما يتعلق بالدابة من الشكيمة والسرج والركاب
والمهماز وما الى ذلك فاكثره على ما هو في العربية الفصحى
ولم نذكره لانا لا نذكر الا الغريب الذي لم يعد مستعملا عند
الكتاب . وهذا ايضا انما نذكر منه امثلة معدودة .

الشطاط

حسن القامة واعتدالها ومن شعر عوف بن محلم الشيباني
المشهور :

ان الثمانين - وبلغتها - قد احوجت سمعي الى ترجمان
وبدلتني بالشطاط انحنا وكنت كالصعدة أو كالسنان
وهو بهذا المعنى مستعمل عندنا . ومن البيوتات المفربة
اولاد الشاط والشاط الموصوف بالشطاط ولا شك أن جدهم
المدعو اولا بذلك كان حسن القوام معتدله . ومنهم ابن الشاط
الاصولي المعروف وهم من الانصار ، ويقولون في امثالهم :
«ابريل الشاط الطويل ، لا يترك لقمة في منديل ، ولا تينة في
برميل ، والفلاحون يستطيّلون شهر أبريل لانه يأتي في أعقاب
السنة الفلاحية قبل ادراك الغل فلذلك عبروا عما يصيبهم من
الخصاصة بهذا التعبير الشعبي البليغ والشاهد في قولهم الشاط
يعنون به الاعتدال مع الطول .

الشیاط

رائحة الاحتراق مطلقا يقال : شاطت القدر احترقت .
فليس هو خاصا برائحة الصوف او القطن المحترق . وكذلك
هو في كلامنا .

الطارمة

قال في المختار : الطارمة بيت من خشب فارسی معرب
هـ . وهو عندنا كذلك الا انه لا بد ان يكون فی داخل بيت
مبنى بمعنى ان الانسان یقتطع من البيت جانبا بحاجز من خشب
يجعل فيه ادواته او يتخذة محلا للزينة فذلك هو الطارمة وهم
یتفننون فی واجهته ویجعلونها ثلاثم أثاث البيت وفراشه ،
اذا كان فی بیت النوم . واما اذا كان فی بیت الاكل مثلا
فانه يتخذ مخزنا للعولة وتكون واجهته عادية .

وقد وقع ذکر الطارمة في كتاب معجم الادباء لياقوت ،
اذ جاء في الجزء الثالث منه (ص 84) هذه العبارة (فخرجوا من
باب الطارمة) فكتب عليها ناشره ومصححه الدكتور فريد
رفاعي قائلا: «لعله باب خاص لاهل المنزل كما يقال باب الحریم»
ولا يخفى ما فيه من القصور فضلا عن كون الكلمة مما يجري
على لسان العامة في المغرب .

العتلة

حديدة يحتفر بها واكثر ما تستعمل بهذا الاسم عند الفلاحين وهم يستعملون أيضا فعلها فيقولون عتل ويعتل وعتل بالتشديد .

العضة

الكذب والسحر ، وهم يقولونه للرجل الشرير الذي لا يطاق .

العيالات

كأنه جمع عيال وهم يطلقونه على النساء خاصة وقد جاء في كلام عمر رضى الله عنه كذلك .

الغرارة

قال في المختار : «والغرارة بالكسر واحدة غرائر التبن واظنه معربا، يعني العدل من الخيش والشعر ونحوهما . وهي فى كلامهم أيضا بمعناها هذا ومن أمثالهم «كسبت الفارة غرارة» يقولونه لمن يباهي بالشيء التافه الذي لا قيمة له .

الغضار

صحن الاكل يكون من الخزف وغيره وصانعه هو الغضار يقع ذكره كثيرا في الكتب، وجرى اصطلاح الكتاب اليوم

على استعمال الطبق في موضعه فيقولون اطباق الطعام . ونحن
نستعمله ولكن بإبدال ضاده طاء ، وفي العامية المغربية
كثير من أمثلة هذا الابدال ومنها البيضة فإنهم يقولونها في
الناحية الجبلية بالطاء .

قفقف

أرعد من شدة البرد حتى أنه ليسمع له صوت وهو كذلك
في كلامنا ، وينشد عليه قول عمر بن أبي ربيعة في امرأة :
ما اكتحلت مقلة برؤيتها فمسها الدهر بعدها رمد
نعم شعار الفتى اذا برد الليل سحيرا وقفقف الصرد

الكباب

قال في القاموس : « والكباب بالفتح اللحم المشروح ،
والتكبيب عمله ، وفي الاساس : « وكبب اللحم من الكباب وهو
اللحم يكب على الجمر يلقي عليه ، والكباب عندنا هو اللحم
الفتي يقطع قطعاً مع قليل من الشحم ويضاف اليه بعض المصلحات
ثم يسلك في قضبان الحديد الدقيقة ويشوى على النار وهو
من معنى ما قالوا فيه ان لم يكن نفسيرا له ، وفعله لا يستعمل
عندنا وانما يستعمل معه فعل سلك لان قطع اللحم والشحم
تنظم في القضييب انتظام الجواهر في السلك . نعم يستعمل
عندنا فعل كبب في الخيط يلف على المغزل ونحوه ، ويظهر من

قول الزمخشري يكسب على الجمر وتفسيره له بيلقى عليه أنهم
لم يكونوا يشوونه في قضيب بل يلقونه في النار إلقاء . وعلى
كل حال فالكباب اسما ومعنى من المعروف جدا لدى المغاربة
وهو من أشهى الأكل عندهم . وكذلك هو عند الأدباء أحد
كافات الشتاء السبعة المعروفة ويذكره الأديب الزموري في
منظومته الطريقة في الشاي فيقول :
وشربه على الشواء والكباب يفتح للصحة منه ألف باب

الموق

مجرى الدمع من العين ، وهو كذلك في كلامنا . إلا أنهم
ينطقونه بدون واو وبعضهم يبدل قافه كافا .

المبدة

بفتح الميم وسكون الباء لغة في المائدة ، وهي كذلك في
كلامنا لا يكاد أحد يستعمل غيرها . وأنشد الجرمي في هذه
اللغة :

وميدة كثيرة الألوان نضع للاخوان والجيران

المضربة

من الفراش ثوب يحشى بالصوف أو الليف أو التبن
فيجلس عليه وينام وقد ورد ذكرها في كتاب الكنايات
للشعالبي وفي غيره ولكن استعمالها في قلم الكتاب قليل .

وهى شائعة عندنا على اللسنة وفى عقود الموثقين ، ويجمعونها على مضربات ومضارب . وربما ابدلوا ضاها طاء على المعهود فى لهجات بعض النواحي .

وهناك نوع من المضربات يدعونه مثلثة ولا فرق بينه وبين المضربة الا انه مما لا يكون على السرير كالمضربة لان شكله لا يكون الا مستطيلا . فالمثلثات توضع على الارض فقط والمضربات توضع على الارض وعلى السرير معا لانها تكون مستطيلة وعريضة وهذه لابد ان يقال فيها مضربة سرير . ولعل لفظ مثلثة أخرى ان يعد فى النوع الثانى من هذه الكلمات . وان كنا لاندري لماذا دعوها مثلثة مع العلم بأنها ليست بحجم المثلث من الاشكال الهندسية قطعاً . ولعلمهم اعتبروا فى هذه التسمية عرضها الذى يكون فى الغالب ثلاثة أشبار او طولها الذى يكون فى الغالب أيضا ثلاثة أذرع . . اما الاعتبار الاول فلمقابلتها بمضربة السرير التى تكون عريضة وأما الاعتبار الثانى فلمقابلتها ايضا بمضربة صدر البيت التى تكون طويلة بقدر طول البيت ويجوز ان تكون سميت بذلك لانها بوضعها بجانب مضربة الصدر تكون معها مثلثا . فهى اذا مثلثة بكسر اللام ومن هنا يعلم ان المثلثات لا تكون الا فى جوانب البيت ولذلك يقولون فى مضربة الصدر صدارية نسبة الى الصدارة كما يقولون فيها ايضا الصدارى والصدر الا انهم ينطقون صاها سينا ، والتعابير

التي نظراً على الالفاظ بعد تداولها بالالسن المختلفة النطق
كثيرة .

نقز

نقز الظبي وثب ، ونقزت الصبي أمه بالتشديد رقصته .
ونحن نستعمل المشدد في التعدي واللزوم كليهما . نعم بما أننا
في النطق ننحو بالنون نحو السكون فقد يكون السلازم في
لفظنا مأخوذاً من مادة قز وانقز بمعنى وثب ايضاً . قال الشاعر:
كان أصوات القطا المنقص بالليل أصوات الحصى المنقز
والشعر من شواهد الاكفاء في العروض ، وإذا صح هذا
التقدير فإن هذا اللفظ يكون من أغرب الغريب الواقع في
كلامنا .

ناض

هذا الفعل كثير الدوران على السنتهم بتعاريفه الثلاثة
ناض وينوض ونض ، يستعملونه بمعنى قام وتحرك من غير
استغناء به عن فعل القيام وهو من الغريب الذي لا يستعمل
في الكتابة حتى كنت اظنه مختزلاً في لفظهم من نهض ولكنه
منصوص في كتب اللغة وبالمعنى الذي يستعملونه فيه .



وامل فيما ذكرناه من كلمات النوع الاول كفاية فلنذكر

بعض الكلمات ايضا من النوع الثانى .

الافريد

هو اسم اخذوه من الفردية واطلقوه على الشخص الذي يكون تام المعرفة بأحوال الزمان وأساليب الحياة ، حولا قلبا ، ينال من الناس ولا ينالون منه ، فهو شبيهه بشخصية ابي زيد السروجي الذى اخترعه الحريري وجعله بطل مقاماته . الا ان الافريد يخالفه في الشحاذة واتخاذها حرفة له كما كان ذلك شأن أبي زيد فهي نقص في حقه وربما كانت لانجام افريديته عند طبقة خاصة من الناس ، وعلى كل حال فإن هذا اللفظ يدور كثيرا على السنة الادباء في المغرب وعلى السنة العلمية من رجال الدولة يوصفون به ويصفون . واذا وصفوا به شخصا فان ذلك دليل على استكماله لادوات النجاح فى معركة الحياة . ولا ندرى من استعماله أولا ولا متى شاع استعماله وان كان بعضهم ألف فيه تأليفا على طريقة الكتب التعليمية المعروفة وعرف الافريد وذكر قوانين الافريدية مما جعل ذلك الكتاب طرفة فنية يتهاهاها ادباء المغرب ، ولعلنا نفرده بكلمة خاصة ان شاء الله .

البوجادي

هو ضد الافريد في المعنى تماما ، لانه لفظ منسوب فيما

يظهر الى ابجد الذي هو أول الكلمات الجامعة لحروف الهجاء والتي تستعمل في حساب الجمل . وزيادة الواو فيه لتوهم انه مركب من أبي وجاد ، وكذلك استعمله الامام الشاطبي رحمه الله في قصيدته المشهورة في علم القراءات حيث قال :
جعلت أبا جاد على كل قاريء دليلا على المنظوم أول أولا
وعلى كل حال فالمراد بالبوجادي الشخص القليل الفهم والتعليم كأنه لا يزال في مرحلة تعلم الحروف الهجائية ولذلك فهم لا يريدون به الزرابة على الشخص بل ربما قصدوا الى الاعتذار به عن قصوره وعدم فهمه .

البراقة

بيت من خشب يتخذ في الفضاء فهو يخالف الطارمة في كونها لانكون الا داخل البيوت المبنية . والبراقة تكون كبيرة وصغيرة ، وتتخذ اخزن ادوات البناء وغيرها في الارض البراح التي يراد احداث بناية فيها ، وتتخذ دكانا لبيع الجرائد والدخان ونحو ذلك في محطات القطر ، وعلى قارعة الطريق مما يسمى عند الشرقيين بالكشك وتتخذ ايضا بشاطيء البحر لتبديل اللباس عند ارادة السباحة وهكذا . كل ذلك تستعمل فيه لفظة البراقة . ولا ندرى مم هي مأخوذة ولعلهم أخذوها من البروك بمعنى الجلوس والاقامة ورأيت استاذنا في معهد ما

ما صحح انشاء لبعض التلاميذ وقد كتب التلميذ : وعليكم السلام
والرحمة والبركة بالالف بعد الراء فكان فى تصحيح الاستاذ
لو شددت الراء لكانت تحية مباركة ! والبركة مذكورة بهذا
المعنى فى نفح الطيب للمقري، وجاءت فى مقال ل احد الكتاب
اللبنانيين بمجلة الاداب ، والاسبان يستعملونها ايضا بالمعنى
المذكور فهل هى مما نقلوه عن العربية ؟

التصبين

اشتقوه من الصابون ، وقالوا أيضا صبن ثيابه ، ويطلقونه
على نفس الثياب المصبنة بالصابون، فيقولون نشرت التصبين
فى الشمس لتجفيفه ، وأعطيت التصبين للصبان او الصبانة
وهكذا . ومن الاسماء المستعملة اخيرا : مصبنة كذا يسمون
به محل التصبين الالى .

وفى الشرق يستعملون الغسل ، والغسيل عندهم الثياب
المغسولة ولا شك ان الغسل لايلزم ان يكون بالصابون فلفظتنا
ادق . ونحن لا نكاد نستعمل الغسل الا فى البدن والاشياء
الاخرى التى تغسل بالماء فقط ، فان استحجم الانسان واستعمل
الصابون فإنه يقول غسلت بالصابون .

تمنجل

فعل يظهر لى أنهم اشتقوه من المنجل للتعبير عن حالة

خاصة من القلب والاضطراب وهي ما إذا كان الانسان يتكلم
بكلام بين الجد والهزل في أمور الجد فيقال له انت تتمنجل
اي تتلوى كتلوى المنجل .

التنبيل

هو خياطة الثوب أولا خياطة موقفة ريثما يوخذ قياسه
ويتم تصميم خياطته النهائية بحيث تكون تلك الخياطة سهلة
النقض والنسكث اذا لم يوافق القياس المطلوب ، ويستعملون
منه فعل نبل ايضا ولعل اصل هذا الاستعمال انهم يستخدمون
في تلك الخياطة الاولى ابرا كعبرة شبيهة بالنبال حتى يكون
ما بين الغرزة والغرزة واسعا والخيط ممتدا فلا يصعب سله بعد.

الجنوي

يطلقونها على نوع من السكاكين لا شك انه كان
يستورد من جنوة، وقد كانت بينها وبين المغرب علاقات تجارية
في اوقات مختلفة، ولاسيما في أيام الدولة السعدية، فهو شبيه
بالمكناسية التي هي شفرة أيضا منسوبة إلى مكناس المدينة
أو مكناسة القبيلة . وعلى كل حال فالمقصود بذكر هذا اللفظ
هو التنبيه على أن بعض الالفاظ يحمل تاريخه أو مصدره في
اسمه وذلك معروف في العربية الفصحى ففيها الهندي والمشرقي
لنوعين من السيوف وغيرهما .

الخديّة

وساده صغيرة نسبت الى الخدّ لوضعه عليه حين النوم
ويقولون أيضا المخدة وهذه منصوصة ولا شك ان الاسبان
نقلوها عن هذا اللفظ الاخير لانهم يقولون : Almohada .

الخلل

لما يسمى عند الشرقيين بالدبوس، وهو شبر الابرة الا أنه
مدبب الرأس . وهم شبهوه بالدبوس الذي يضرب به ، ونحن
أخذناه من مائه التخليل ، لانه تخلل به الثياب والاوراق وغير
ذلك . ويذكرون أن أعرابية سرقت ازارا كان منشورا بسطح
بيت جيرانها ولبسته ، فافتقده اصحابها فوجدوها لابسة له ،
فأنكرت ان تكون سرقة وجعلت تقول : من خلله علي
يامولاي عبد القادر ؟ والاعراب يعتقدون كثيرا في الشيخ
عبد القادر الجيلاني فهي باستغاثتها هذه توهم انها البسته في
عالم الغيب ؛ والشاهد في التخليل .

السلهام

هو البرنس ويكون من خشن الثياب الصوفية ومن
رقيقها مختلف الالوان والاشكال . ولا أدري اشتقاقه من أي
مادة ، والغالب أنه بربري كالبرنس نفسه . ويقولون

ثلاثة من إختراع المغاربة ولو رآها ارسطو لحكم بعقريتهم :
البرنس ، والكسكس ، وموسى الحلاقة . ومن الشعر المقول
في السلهام لابن سوسن المغربي :

وبدر لاح من تحت السلهام يقول لكل قلب قد سلامهم
لئن خشنت ملابسه عليه لقد خشنت على البدر الكمائم
ولئن دل هذا الشعر على خشونة هذه السلهام التي كان
هذا البدر لابسا لها، فلقد دل على رقة طبع هذا الشاعر، وشعره
هذا مما يعرف انه لشاعر مغربي بسبب هذا اللفظ الموجود فيه
وعلى كل حال فالسلهام من اللباس المغربي الجميل ولا سيما
ابيضه المتخذ من الثياب النفيسة وقد صارت بعض السيدات
الفرنسيات المتأذقات تلبسه في محل السترة اعجابا به .

المردية

لفظ يستعملونه بمعنى التخث والعبث في حق الرجال
منسوب الى المرد جمع أمرد وهو الغلام الذی لم يفتح بعد
وهو يوردونه مورد الدم ولذلك يصح ان يعمل منه سجة في
الموضوع فيقال (المردية مردية) فاللفظ الاول هو ما نحن فيه
والثاني اسم فاعل من الردى بمعنى الهلاك .

المشور

اسم للبلاط الملكي ولمقر الحكومة مأخوذ من المشورة لان

الناس ينتظرون فيه صدور الاذن لهم بالمقابلة بعد المشاورة
ولذلك يقول الشخص للمكلف: شاور في شأني، فهو اسم مكان
على القياس المعروف . ويقع كثيرا في كلام الكتاب المغاربة
من الادباء والمؤرخين ، وجاء في قطعة لابن بطوطة نقلها من
رحلته مؤلفو كتاب المطالعة المختارة (ج 4 ص 172) فكتبوا
عليه تعليقا هذه الجملة : « كلمة لم نعثر عليها في كتب اللغة
ويظهر ان معناها الحجرة الكبيرة او الايوان ، وهؤلاء اربعة من
كبار رجال العلم في مصر وفيهم واحد كان عضوا في المجمع
اللغوي هو المرحوم الاستاذ علي الجارم توقفوا في هذه اللفظة
وذلك مما يؤكد ضرورة الحاجة ونظائرها بالمعاجم الجديدة مع
التنبية على أصلها بالطبع .

الكسكس

آلة تبخير الكسكس ، وهي صحن مثقب من أسفله
يجعل على الطنجرة التي يطبخ فيها اللحم والخضرة مما يهيباً
به الكسكس ويوضع فيها الكسكس بعد ذلك فينضج بالبخر ،
ولذلك يعبر عن نضجه بالتبخر . وقد يبخر فيها اللحم فيسمى
شواء وهو غير المشوى على السفود وفي الفرن .. وعلى كل
حال فان هذه القطعة من ماعون البيت جد ضرورية، وكما ان
الكسكس هو طعام مغربي اسما وعينا فان آله هذه كذلك ،

الكومية

نوع من الخناجر ذات الاغمد الفضية المنقوشة الجميلة يتقلد بها رجال الحكومة . ولعل نسبتها لكومية . القبيلة التى منها عبد المومن بن علي مؤسس دولة الموحدين ، فهي تحمل تاريخها فى اسمها . ولكن جريان الالسنه على نطقها بالكاف العاديه دون الكاف المعقوده كما هى فى اسم تلك القبيلة يجعلنا نفترض انها ربما كانت منسوبة الى الكم فهي كمية لا كومية . ودليل ذلك انهم يجعلونها تحت كمهم منحرفين بها قليلا الى الصدر . وعليه فمن ينطقها كومية يكون ابدل سكون الشدة بواو نتيجة لاشباع الضمة .

الوقيعة

اسم لما يسمونه بالثقاب واعواد الكبريت ونظن ان هذا الاسم اولى من غيره لانه فعيل بمعنى مفعول ، فهو من حيث الاشتقاق لا غبار عليه . ويقولون للواحدة منه وقيدة .

ونكتفى من هذا النوع بما ذكرناه ، ولو تتبعنا جميع الالفاظ التى من هذا القبيل والنوع الذي قبله ل طال بنا الكلام . ونحن انما قصدنا ان نهد سبيل هذا البحث لمن يريد ان يتوسع فيه بنفس اطول ونظر اعرق وكل من يفعل ذلك لا بد

ان يخرج منه بالنتيجة التي قدمناها ، وهي اشتمال العامية المغربية على ثروة لفظية هائلة من فصيح الكلام المسموع والموضوع . ولا يخفى ما فى ذلك من اثبات قرب نسبها من العربية الفصحى مادة وشكلا وانه باستطاعة هذا الشعب المغربى ان يعمل على احوال الفصحى محل العامية فيجعلها لغة تخاطب كما هى لغة كتابة وذلك ما نطمح اليه جميع الشعوب العربية التي ليس هو منها ببدع في شيء .

هذا ولا بد من القول ان بعض هذه الكلمات سواء من النوع الاول او الثاني انما يستعمل في بعض النواحي من المغرب او المدن دون بعض ، وفي لسان بعض السكان كالأعراب دون الجبلين والعكس ، فاذا لم يعرف القاريء المغربي احد هذه الالفاظ فلانه مما لا يستعمل في جهته ، كما اننا لا نعرف ما يستعمل منها في البلاد العربية الاخرى - غير المغرب - وما لا على التحقيق ، الا ما جزمنا به من الوقوف على كلامهم فيه ، والباقي على الظن القوي ووجوده فيها لايزيد رابطة العروبة بين أقطارها وبنيتها الا متانة وقوة .

من تاريخ الفدائية في الاسلام*

كثرت الكلام في هذه الايام عن الفدائيين واعمالهم وحرمة الفدائية وموقف الاسلام منها؛ وما نريد ان فرضى فضول الفضوليين فنفيض في الحديث عن هذه الحركة من حيث يريدون، او نتشبه بالقعدة؛ فنقعد بمنجى من الخطر، نملى آراءنا في قوم باعوا أنفسهم بيع السماح، في سبيل مبدل شريف آمنوا به ولم يصددهم عنه وعد ولا وعيد. وانما نريد ان نستعرض من التاريخ الاسلامي بعض مواقف القوم، الشبيهة بمواقف اليوم مستوحين منها العبرة في انتصار الحق وان قل انتصاره، وانتهزام قوات الشر التي تناصر الباطل، وان بلغت ما بلغت من العدة والعدد.

ولعل اول فدائي في الاسلام هو علي بن ابي طالب رضي الله عنه، فكلنا يعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم خلفه لينام في فراشه ليلة الهجرة، تضليلا للمشركين الذين اجتمعوا امرهم على قتل النبي فكانوا ينظرون من خصاص البيت

* نشر هذا المقال بمجلة الانوار، مطلع سنة 1964 وكانت اعمال الفدا* حينئذ على أشدها.

فيرونه مسجى على الفراش، فيطمئنون على وجوده هناك .
 حتى نهض فى الصباح ورأوا انه علي فسقط فى ايديهم .
 وسألوه : اين ذهب؟ فقال: لا ادري؛ ومما لا شك فيه انه رضى
 الله عنه عرض نفسه في تلك اللية لخطر محقق ، فداء للنبي
 صلى الله عليه وسلم ، اذ كان من الجائز ان يكبسوا البيت
 ويغتالوا النائم على الفراش ، بل كان ذلك متوقعا فى كل لحظة،
 ولكن الله عز وجل حماه وهو نائم تحت مضارب سيوفهم كما
 حمى نبيه وهو بمرأى منهم ومسمع فى الغار .

ومن اعمال الفدائية التى وقعت على عهده صلى الله عليه
 وسلم قتل كعب بن الاشرف اليهودي وكان يؤذي النبي
 والمسلمين بهجائه لهم وبتحريض قريش عليهم فقال النبي (ص):
 من لكعب بن الاشرف فانه قد آذى الله ورسوله ؟ فقام محمد
 ابن مسلمة الانصاري فقال: يا رسول الله اتحب ان اقتله ؟ قال:
 نعم ! قال : فاذن لي ان اقول شيئا (يعنى مما يتقرب به الى
 كعب وان كان بحسب الظاهر طعنا في الاسلام) قال النبي :
 قل ما بدا لك، فاناه محمد بن مسلمة هو ونفر من الانصار فيهم
 ابو نائلة اخو كعب من الرضاع فقال : يا كعب ان هذا الرجل
 (يعني النبي ص) قد سألنا صدقة وانه قد عنانا . واني قد أدتيتك
 استسلفك . قال كعب وايضا والله لتملنه ؛ قال محمد بن مسلمة
 انا قد اتبعناه فلا نحب ان ندعه حتى ننظر الى اي شيء يصير

شأنه . وقد أردنا ان تسلفنا وسقا أو وسقين من نمر . قال
كعب : نعم ارهنونني ا فقالوا أي شيء تريد ؟ قال : ارهنوني
نساءكم ا قالوا : كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب ؟
قال : فارهنوني أبناءكم ا قالوا : كيف نرهنك أبناءنا فيسب
أحدهم فيقال : رهن بوسق أو وسقين ، هذا عار علينا . نرهنك
السلاح . فقبل ! وواعده محمد بن مسلمة فجاءه ليلا هو وأصحابه
فدعوه وهو في حصنه فقالت له امرأته: أين تخرج هذه الساعة ؟
فقال : انما هو محمد بن مسلمة وأخي أبو نائلة . وقال ابن
مسلمة لأصحابه: اذا ما جاء فإني آخذ بشعره اشمه، فإذا رأيتموني
استمكنت منه فدونكم فاضربوه فنزل اليهم وهو ينفخ منه
ريح الطيب فقال ابن مسلمة ، ما رأيت كاليوم ريحا طيبا
قال كعب عندي أعطر نساء العرب . قال : اتأذن لي أن أشم
رأسك ؟ قال : نعم فشمه ثم أشم أصحابه وذهب يفعل ثانية فأخذ
برأسه ، وقال : دونكم فاضربوه بأسيا فمهم فقتلوه ا

وأغرب من هذه الواقعة وأشد تمثيلا لأعمال الفدائية، قصة
قتل رافع بن أبي الحقيق اليهودي أيضا وكان صاحب حصن
بأرض الحجاز وكان يؤذي الرسول (ص) ويعين عليه ، فبعث
إليه النبي رجلا من الانصار وجعل عليهم عبد الله بن عتيك .
فانطلقوا حتى دنوا من الحصن ، فقال لهم عبد الله امكثوا

انتم حتى انطلق انا فانظر . قال ، فتلطفنت ان ادخل الحصن
 ففقدوا حمارا لهم ، فخرجوا بقبس يطلبونه ، قال ، فخشيت أن
 اعرف ، فغطيت رأسي ورجلي كأنى أقضي حاجة ، ثم نادى
 صاحب الباب ، من أراد أن يدخل فليدخل قبل أن أغلقه ،
 فدخلت ثم اختبأت فى مربوط حمار عند باب الحصن ، فتعشوا
 عند أبى رافع وتحدثوا حتى ذهبت ساعة من الليل ثم رجعوا
 الى بيوتهم ، فلما هدأت الاصوات ولا أسمع حركة خرجت ،
 قال ؛ ورأيت صاحب الباب حيث وضع مفتاح الحصن فى كوة
 فاخذته ففتحت به باب الحصن ، قلت ان نذربى القوم انطلقت
 على مهل ، ثم عمدت الى ابواب بيوتهم فغلقتها عليهم من ظاهر
 ثم صعدت الى ابى رافع فى سلم فاذا البيت مظلم قد طفىء
 سراجہ ، فلم أدر اين الرجل ، فقلت يا أبا رافع ! قال من هذا؟
 قال فعمدت نحو الصوت فاضربه بالسيف ، وصاح فلم تغن الضربة
 شيئا . قال : ثم جئت كأنى أغيثه فقلت مالك يا أبا رافع ؟
 وغيرت صوتى . فقال : الا اعجبك ؟ لأملك الويل ، دخل على
 رجل فضربنى بالسيف ، قال ، فعمدت له ايضا فاضربه اخرى
 فلم تغن شيئا فصاح وقام اهله فجعلت ارفع السيف عليها ثم
 اذكر نهى النبى (ص) عن قتل النساء فاكف عنها ، قال . ثم
 ضربته فقتلته وخرجت دهشا حتى اتيت السلم اريد ان انزل
 فأسقط منه ، فانخلعت رجلى فعصبتها ، ثم اتيت اصحابي احجل

فقلت انطلقوا فبشروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني
لا ابرح حتى اسمع الناعية ، فلما كان في وجه الصبح ، صعد
الناعية فقال : انعي ابارافع تاجر اهل الحجاز قال ، فقامت امشي
ما بي علة ، فأدركت اصحابي قبل ان ياتوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فبشرته .



فهذا فدائي صميم ، دبر خطة ونفذها من غير ان يحتاج
الى معونة من أصحابه ، وكان ثبت الجنان حاضر البديهة ،
بحيث لاتعيبه الحيل ولايشبه الدهش عن إنفاذ ما مضى له ،
وبه وبأمثاله انتصرت الدعوة الاسلامية على مناوئها مع كثرتهم
وقوتهم ، وقلة أنصارها وضعفهم ،

وبكفي ما ذكرناه من الوقائع لنعلم أن للفدائية أصلا
في الاسلام وانها قديمة الصلة به ، ظهرت بظهوره واقرن
تاريخها بتاريخه ثم نذكر قصة من أغرب ما يسمع في بطولة
الفدائيين وتضحيتهم وهي مما وقع في هذا المغرب العربي
خلال القرن السادس ، وقت ان اشتدت وطأة الصليبيين على
بلاد الاسلام في المغرب والمشرق ، وبدأت موجة الاكتساح
الاوربي ترتمي على الشواطئ المشرقية والمغربية ، وكان ممن
انبسط سلطانه في تلك الاثناء هؤلاء الملوك النورمازيون الذين

انتزعوا جزيرة صقلية من يد المسلمين وامتدت سلطتهم الى بعض بلاد ايطاليا وافريقية ولا سيما فى مدة عميدهم ودايتهم رجار الثانى ، الذي كان يوصف بالدهاء السياسي والتسامح الديني ولما توفى خلفه في ملكه ابنه غليوم (كيوم) وكان سيء السيرة فاسد التدبير فخرج عليه عدة حصون ومدن من صقلية وافريقية وغيرهما وكان اول من أظهر الخلاف عليه عمر بن الحسين الفريانى صاحب مدينة صفاقس بالشاطىء التونسي ؛ وكان رجار قد استعمل عليها لما فتحها اباه ابا الحسن ، وكان - فيما يحدثنا ابن الاثير - من العلماء الصالحين ، فأظهر العجز والضعف وقال : استعمل ولدي فاستعمله ، وأخذ أباه رهينة الى صقلية . قال ابن الاثير : فلما أراد المسير اليها قال لولده عمر اني كبير السن وقد قاربت أجلى ، فمتى امكنتك الفرصة في الخلاف على العدو فافعل ولا تراقبهم ولا تنظر في أنني أقتل وأحسب انني قد مت فلما وجد ابنه الفرصة ، دعا أهل المدينة الى الخلاف وقال تطلع جماعة منكم الى السور وجماعة يقصدون مساكن الفرنج ويقتلونهم ، فقالوا له : ان سيدنا الشيخ والدك يخاف عليه ، فقال : هو أمرني بهذا ، واذا قتل بالشيخ ألوف من الاعداء فما مات ، فلم تطلع الشمس حتى قتلوا الفرنج عن آخرهم وكان ذلك أول سنة إحدى وخمسين وخمسمائة .

ولم يسمع بقية الولاة بحركة عمر الفرياني حتى اتبعوه
فثار ابو يحيى بن مطروح بطرابلس ثم محمد بن رشيد بقابس
وسار عسكر عبد المؤمن بن علي - وكان اول ما بدأ امره
بأفريقية - الى بونة فملكها وخرج جميع افريقية عن ملك
الفرنج ما عدا المهدية وسوسة ، وارسل عمر المذكور الى أهل
زويلة وهي مدينة بينها وبين المهدية ميلان يحرضهم على
الوثوب بمن عندهم من الفرنج ففعلوا وحاصروا المهدية ،
وقطعوا عنها الميرة فاتصل الخبر بغليوم فأحضر أبا الحسن
وعرفه ما عمل ابنه عمر وأمره أن يكتب اليه ينهاه عن ذلك
ويأمره بالعود الى طاعته ويخوفه عاقبة فعله فقال ابو الحسن
من أقدم علي ، هذا لا يرجع بكتاب ! فارسل غليوم الى عمر
رسولا يتهدده ويأمره بترك ما ارتكب ، فلم يمكنه عمر من دخول
البلد يومه ذلك ، ولما كان من الغد خرج أهل البلد جميعهم
ومعهم جنازة والرسول يشاهدهم فدفنوها وعادوا . فارسل عمر
الى الرسول يقول له ، هذا ابى قد دفنته ، وقد جلست للعزاء
فاصنعوا به ما اردتم . فعاد الرسول الى غليوم فأخبره بما صنع
عمر فاخذ أباه وصلبه ، فلم يزل يذكر الله حتى مات .

هذه قصة من أغرب ما يسمع كما قلنا في بطولة الفدائيين
وتضحيتهم من أجل تحرير الوطن والانتقام من الدخلاء المسيطرين

وغرابتها انما جاءت من كون الفدائي فيها وكبش التضحية
أميرا والد أمير، وفي سن متقدمة من عمره ، فلا الامارة اغوته
ولا السن ثبطته. واذا كان لكل قاعدة شذوذ ، فلا شك ان
حال هذا الامير الشهيد هو الشذوذ الذي يرد على قاعدة؛ اذا
شاب ابن آدم شبت فيه خصلتان ، الحرص وطول الامل .
فله در المغرب . هذه الارض المنجاب المخصاب ، ما أغناه
بالبطولة واثراه بالرجولة ..



حول وقعة وادي المخازن*

I

أظن أنه ليس هناك ناحية من نواحي العمل الادبي والخدمة الاجتماعية والاقتصاد والفن لم نولها حظا كبيرا من الاهمال لا نظير له في أمة من الامم قديمة كانت او حديثة وقد نسج العنكبوت خيوطه عندنا على كل باب من أبواب النشاط الفردي والجماعي للامة ، فلا ترى الا غبارا متراكما على كل مرفق من مرافق الحياة لشعب يريد أن يجاري الشعوب الراقية في جميع الشؤون .

وباستثناء العمل السياسي الذي يضطلع به نفر من المجاهدين الابرار داخل البلاد وخارجها، فإننا أصبحنا نمثل مدينة الاموات بحيث تركنا الميدان فارغا لكل صادر ووارد فلا تسمع لنا نأمة ولا نتظاهر بمظهر يدل على أن رمقا يجري في عروقنا فتـؤمل لنا الحياة من جديد .

ولقد كنت ارى اننا في الميدان الثقافي نكاد نكون عالة على التاريخ . اي اننا نعيش في الماضي اكثر من الحاضر؛ فكتابنا وشعراؤنا ومؤلفونا لا يزيدون على ان يجتروا ماقرأوه

* نشر هذا المقال في غشت 1962 بمجلة الانوار .

ولم يهضموه من نصوص ادبية وابحاث علمية وتاريخية ، وكنت أقول أنه لابد في مستهل نهضة الامة من النقل والحكاية والاقتباس حتى إذا تفلحت العقول وتلقحت الافكار سالت الاقلام وجادت القرائح بالطريف والجديد، ولكنني صرت أعتقد الآن أننا لسنا بسبيل من التاريخ ولا من الواقع ، واننا نمر بآيات مجدنا ونحن عنها معرضون . وننفض رؤوسنا لكل داعية يدعونا إلى ما فيه نجاحنا كأننا بالبعث مكذبون .

ولا أذهب بعيدا بالقاري الكريم ، فهذه وقعة وادي المخازن الشهيرة التي كانت من الوقائع الفاصلة في تاريخنا القومي والتي قضت على سياسة التدخل الاجنبي قضا مبرما ، فلم ترفع رأسا بعدها مدى قرون ، هذه الوقعة لانرى اهتماما بها في حياتنا الاجتماعية ولا نسمع لها صدى في انتاجنا الادبي كأنها حادثة عادي يتكرر وقوعه كل يوم ولا يلفت نظر أحد من الناس ، مع أن الحوادث العادية قد تكون موضع اهتمام وتعليق من ذوي النظر الصائب والفكر الخالق! فكيف بحادث هام لم يشتمل التاريخ المغربي المجيد على عدد أصابع اليد الواحدة من ذنائبه .

وبينما نحن ازاءها على هذه الحال، نرى وفود البرتغاليين كل عام تحج الى موقعها بالعشرات بل بالمئات ، ما بين شيب وشباب . ومدنيين وعسكريين ؛ ورجال دين يقيمون الصلوات

ويرفعون الانصاب . ويخطون ويصورون ، ويضعون الدراسات
ويستخلصون العبر ، شأن الامم الحية التي تعنى بماضيها كما
تعنى بحاضرها وتستفيد من نكباتها وعثراتها كما تستفيد من
فتوحاتها وانتصاراتها .

وكأني بمتشدد يقول انهم اذا اهتموا بها هذا الاهتمام
وحجوا لموقعها كل عام فقد كانت وبالا عليهم وسببا لادبار
دولتهم . اما نحن فقد انتصرنا فيها انتصارا عظيما وطهرنا بلادنا
من رجسهم ولا يستوي شعورنا نحوها بشعورهم ، وهذا الجواب
على ما يقتضيه من اهمال لمواطن الفخار في تاريخنا القومي
يلزمنا بالرجوع مثلهم الى تذكر أيامنا السود ومعاركنا المحسورة
كوقعة «إيسلي» التي كانت فضيحة للجيش المغربي فنعكف
على دراستها ، واستخراج المثلثات من حوادثها ولكننا لانفعل
شيئا من ذلك ولا نتذكر ربعا ولا خسارة . وانما نقول لم فائنا
هؤلاء . ولم تأخرنا وتقدم أولئك ؟ ونكتفي بهذا التساؤل ولا
نهتم حتى بالجواب عنه !

على أننا نهمل هذه الواجبات وهي على طرف الثمام منا
في بلادنا ويأتي البرتغاليون للطواف بحرم وادي المخازن من
بلادهم في العدو الاخرى ، فلا نكون مساوين لهم . ولو قمنا
بهذه الواجبات حتى نرحل بدورنا أيضا الى الاندلس ونقف
على مواقع الزلافة والارك والعقاب ونتقصي عن هذه الوقعات

تقصيهم ، وتتقني آثارها تقفيهم وهيئات هيئات !

راجعت الآثار الادبية فلم ار فيها ذكرا لهذه الواقعة الا ما
كان من قبيل الاشارة الخفيفة في شعر عبد العزيز الفشتالي
وهو شاعر المنصور الذهبي الذي جلس على عرش المغرب في
نفس يوم النصر وذلك حين يقول في مدح سلطانه :
عمادي الذي اوطا السما كين اخمصي

وأوفى على السبع الطباق فأدنانني
متوج أملاك الزمان وإن سطا
أحل سيوفنا في معاقد تيجان
وقاري اسود الغاب بالصيد مثلها
إذا اضطرب الخطى من فوق جدران
هزير إذا زار البلاد زئيره
تضائل في آجامها أسد خفان
وإن أطلعت غيم القتام جيوشه
وأرزم في مركومه رعد نيران
صبين على أرض العداة صواعقا
أسلن عليهم بحر خسف ورجفان
كتائب لو يعلون رضوى لصدعت
صفاه الجياد الجرد تعدو بعقبان

عديد الحصار من كل أروع معلم
وكل كمي بالرديني طعان
إذا جن ليل الحرب عنهم طلى العدا
هدتهم الى أوداجها شهب خرسان
من اللاء جرعن العدا غصص الردي
وعفرن في وجه الثرى وجه (بستان)
وفتحن اقطار البلاد فأصبحت
تؤدي الخراج الجزل املاك سودان

وهو يعنى ببستان «سبستيان» ملك البرتغال . فهذه هي
الإشارة الوحيدة التى وقعت فى الشعر المغربى قديمه ومحدثه
فيما نعرف الى هذه الوقعة المعلقة ، واللحن الموسيقى الذى
ما أن بدأ ينسكب فى آذاننا فنضفى له حتى انقطع فجأة وانقطع
معه ذكر الوقعة بتانا فى الآثار الادبية بله الفنية التى ما زالت
من قبيل المحاولات عندنا .

ولا شك أن كل ما منيت به هنا من اجمال قد عوض فى الضفة
الآخرى عند البرتغال ، وان كانوا هم المهزومين ، بما يجب
من ترديد لذكرها فى شعرهم ونثرهم وبحث طويل عريض
فى اسبابها ونتائجها وتخطيط لموقعها وتصوير لوقائعها مما به
يظهر الفرق بين الامم التى تريد ان تحيا والتى تتمنى الحياة .

وعلي ذكر سبستيان فإني لاحظت في تواربخنا المتداولة انها املت حادثا مهما مما يتعلق به . وهو نقل رفاقه بإذن من المنصور لدفنه ببيلاده مع آبائه وأجداده وكان ذلك بعد قدوم وفد من البرتغال على المنصور وتقديم طلب بهذا الصدد اليه وكان هذا الوفد اول الوفود المتلاحقة بعد ذلك، التي تقدم الى بلادنا لغرض يتعلق بمعركة وادي المخازن ، وها هي لاتزال تتلاحق لهذا الغرض الى الآن .

والذي ذكر هذا الوفد هو الفشتالي في تاريخه ، مناهل الصفاء والعجب من اليفرني الذي لم يذكره ، وهو لا يرد في الغالب الا من المناهل وأما صاحب الاستقصا فأكثر اعتياده على اليفرني . فلذلك لم يذكره هو بدوره . ولكن أحد نقوله عن (منويل) تضمن الخبر المتعلق بذلك فلعله اكتفى به .

وهاك ما قاله الفشتالي في مناهله من مخطوطتنا الخاصة؛
«وخرج (المنصور) في غرة شعبان من عام ستة وثمانين وتسعمائة لظهر الزاوية من ساحة فاس حتى استكمل اهبة السفر وفرغ مما عن له ، فوفد عليه بمعسكره رسل سلطان النصارى يرغبونه في الامتنان عليهم بشلو طاغية بستيان الموارى بالقصر فطارحوا عليه يرغبونه متضرعين ولعز الاسلام خاضعين فرأى أيده الله ما في اسلام الشلو لهم والذهاب به الى بلادهم

من مزيد الفخر للاسلام ، وتجدد الاحزان لعبدة الاصنام ،
بمشاهدته وتغيظهم برؤيته ونكايتهم بالوقوف على فريسته ،
فامتن لذلك به عليهم وبغير موص اسلمه اليهم ، بعد ان كانوا
لبذل الاموال العظيمة فيه مدعين . فجعلوه في تابوت وحملوه
وساروا به فرحين ، وبما من عليهم من اسلامه مقتبطين .

ونص ما حكاه الناصري في الاستقصا عن منويل
وهو مما يزيد اهتمام القوم الذي تحدثنا عنه بالواقعة وضوحا
قال :

«وزعم (منويل) ان سبستيان هلك تحته في ذلك اليوم
اربعة افراس ، وكان شابا حدثا ، وقال لاصحابه ان تروني
امامكم وان لم تروني فأنا في وسط العدو أقاتل عنكم . قال
وابدا واعاد في ذلك اليوم الى ان خر قتيلا . وبقي مذكورا
عند البرتغاليون يسمرون باخباره . وذكره شعراء الاوربا في
اشعارهم ولا زالوا يذكرونه الى الآن . وخلفه في ملكه الطاغية
انريكي البرتغالي فهو الذي ولي بعده واقتدى جنازته من
المسلمين ونقلها الى سبتة فبقيت هنالك الى ان هلك الطاغية
انريكي وتولى على البرتغال طاغية الاسبنيول فليب الثاني فصار
ملك الدولتين معا . وهو خال سبستيان اخو امه فنقل جنازته
من سبتة الى لشبونة .

ففي هذا النقل مزيد تفصيل عن الحادثة - على عادة
الاجانب في الاهتمام بالشاذة والفاذة . الا انه لا ذكر فيه للوفد
وفيه مع ذلك درك على (منويل) لزعمه أن تسليم الرفات كان
بالفداء اي بتعويض والذي ذكره الفشتالي انه كان بغير عوض
امتنازا من المنصور عليهم مع استعدادهم لبذل الاموال العظيمة
في ذلك ، والفشتالي أثبت في هذا الامر لمباشرته ومشاهدته
وهمة المنصور وأصول الدبلوماسية تؤيد ذلك .

وبلاحظ أنه لم يكن بين وصول الوفد البرتغالي وتاريخ
المعركة الا شهران فقط ، فإنها كانت منساخت جمادى الاولى سنة
986 والوفد وصل غرة شعبان الموالي . وهذا مما يدل على مزيد
الاهتمام أيضا وشدة العناية ، رزقنا الله شيئا منهما .

II

في يوم 4 غشت 1875 م وقعت معركة وادي المخازن الشهيرة بين الجيش البرتغالي والجيش المغربي الذي انتصر على عدوه انتصارا عظيما .

ويقال لها أيضا معركة الملوك الاربعة وهم ملك البرتغال وملك المغرب الذي استنصر به ، وقد سقطا في الميدان ، والملك عبد الملك المعتصم الذي دبر المعركة ومات أثناءها مريضا والملك أحمد المنصور الذي أعلن نتيجة المعركة وتولى يومها عند وفاة أخيه عبد الملك المعتصم ،

ومن الغريب أننا - كما قلنا في مقال سابق نشر بمجلة الانوار - لم نجد في الادب المغربي صدى لهذه الموقعة باستثناء ما أتى عرضا في قصيدة لعبد العزيز الفشتالي على حين أن الادب البرتغالي يزخر بترداد ذكرها وقد خرج أهلها منعزمين فكيف لو كانوا منتصرين .

وفي هذه الايام وقفنا على هذه القصيدة البليغة التي نظمها في الموضوع صديقنا الشيخ محمد الامام بن الشيخ ماء العينين فناسب ان نثبتها في هذا العدد من لسان الدين* الذي يسجل مرحلة حاسمة من مراحل الكفاح المغربي وهو ايضا عدد غشت الشهر الذي وقعت فيه تلك المعركة الحاسمة .

* هو العدد الصادر في غشت 1956

وها هي هذه :

خليلي مرا بي بوادي المخازن
مواطن كانت للجهاد مشاهدا
به وقعة مازال يسري نسيمها
بأيدي رجال شيدوا الدين وارتدوا
فلم تنهم عن راحة العز راحة
رجال من أبنا الغاربة الالى
فنشخ أنفا ثم نطرق بعدها
اولاك حموا اقصى البلاد وانتم
وما ذاك الا من نتيجة سعيكم
الم يان للنوام ان يتمفظوا
تظنون سورا من حديد امامكم
الاعرق للمجد المؤئل نابض
نجدد رسم الدين بعد اندثاره
فمرعى رياض العز من كل قارة
فان انتم راجعتم نهج دينكم
وأحرزتم من إرثكم كل غابر
وان انتم استحلتم الذل مرتعا
وقلتم مقال العجز في اليأس راحة

نجدد شكرا بين تلك المواطن
بهن مياه العز غير أواسن
على بعد عصر وابتعاد الاماكن
ردا من العليا ضاقي المحاسن
ولا حسو كأس بين شاد وشادن
هم الناس ان عدت كرام المعادن
حياء لفوت بيننا وتباين
مساكين محبون وسط المساكن
ونبذ لدين المصطفى والتهاون
وان يالموا من حر خدش البرائن
وما هو الا من ركام الدواخن
فينهض منا قاطن إثر ظاعن
ونسك من بنيانه المتظامن
ونترك للبيقر مرعى الدواجن
اثرتم دفين العز من كل كامن
وحركتم من مجدكم كل ساكن
وآلفتم شرب المياه الاواجن
فتصلبم آذان وجذع موارن

III

بعد كتابة ما تقدم ونشره بنحو سنة، وقفت عند الاخ الاستاذ محمد المختار السوسي على قصيدة في موضوع معركة وادي المخازن للشيخ داود بن عبد المنعم الدغوعي ، ممن عاش اواخر القرن العاشر وتوفي اول الحادي عشر . اي أنه عاصر الواقعة ، وربما كان ممن حضرها . وهذا ما تؤكده القصيدة التي وصف فيها المعركة وصف شاهد عيان . والغريب ان هذه القصيدة من وزن قصيدة الشيخ محمد الامام وقافيتها ، فمن الجائزان صديقنا أطلع على قصيدة الدغوعي ونسج على منوالهما . والمهم هو أننا وجدنا صدى للموقعة الكبرى في الادب المغربي ، بخلاف ما كنا نظن من خلوه من ذكرها تماما ، وان كانت هذه الصبابة القليلة لاتروى غايلا ، ولاتشفي عليلا ، وربما كان في بطون الدفاتر وخبايا الخزائن ، آثار أخرى لم نطلع عليها ، وربما ضاع من ذلك أكثر مما بقي : وربما ... وربما ...

وعلى كل حال فهذه هي القصيدة الاولى التي عرفناها

في هذا الموضوع :

جنى النصر ما بين الظبا والكنائن	على سابقات المذكيات الصوافن
فبين المعالي والآثير في الدوعي	يجول الذي يبغي اقتحام المدائن

هي السور من يجتزه حل بساحها
ومن لم يخض بحر الحروب فلا يرى
ومن لم يخضها بالثبات فرأيه
وماذا يفيد الجيش ان كان ربه
يقود لها ما يحجب الشمس نغمه
أتى سادرا يختال في غلوائه
يسرب نحو المغربين جنوده
وما قصاه الا انتهاك حريمه
وقود أسارى المسلمين لارضه
ولهو بأبكار الخدور بناتنا
فذا مكره ، والله يكر مكره
فخيم في تلك الجهات وعينه
ولكنه مع حقله بمدافع
تخلف ربط الجأش عنه فرده
تجمع جند الله من كل جهة
من الملك المقدم فالعلماء فا
وتلوهم الاجناد والناس كلهم
فشبت لظى الهيجا ليس وقودها
اذا ارعدت تلك المدافع أبرقت
فلولا البروق الخاطفات من الظبا
قد انقضت الفرسان منا عليهم
وصابر كل قرنه فمجندل الشـ
وهامهم مثل الكرين وقد غدت
وسيبستان كفته مياهه

فحل له منها امتلاك الخزائن
لحوزته حوت العدا خير صائن
يفيل ويمسي حظه جد خائن
كسيبستان عند وادي المخازن
مياسره لا تستقي بميامن
وفي صدره للدين غلي الضغائن
كمثل الدبا عن ماخرات السفائن
ودك صياصيه وبعث الدفائن
يقدمهم للصلب مثل القرائن
فيصبحن من خدامه والسوادن
به ، اذ حداه نحو تلك الاماكن
لمراكش الحمراء لا لتطاون
وبيض وسمر وامتلاء الكنائن
على خزيه صفرا ولو من فراسن
وقد غض من مدينه كل دائن
لشيوخ اولى التقوى وأهل البواطن
تضل بهم أبصار كل معاين
سوى انفس الشجعان وسط الميادين
صقيلات بيض الهند فوق اليمائن
لما ابصرت عين خلال المداخن
انقضاء صقور الجو فوق الوراثن
رى وجريح ساحب للمصارف
سنابك خيل الله مثل المحاجن
هزيما ، وما النهر انقطع كافن

فحين قضى البتار في الكفر ما قضى
رأيت الوفا من رؤوس تجمعت
هنالك نصر المومنين مؤزرا
فذلك يوم مثل بدر وصنوه
لقد ذاق فيه البرد قيز بنا الردى
بفوا فجنوا جنى البغاة فأصبحوا
فللكل ما كان الهزيم لارضه
فنحمد رب العرش اذا كان ديننا

وأشلاؤه نرت بغير مدافن
وياليتها ايضا جدار المآذن
على كل ذي كفر، تهجم، ضاغن
حين بأيدي المومنين الميامن
جزا' مناحيس خزايا ملاعن
سماد الفجائي لاسماد الفدادن
وللصقر من ذاقوا الردى والشواهن
لاهل الوغى والبأس خير المعادن



الكتب المنسوبة لغير مؤلفيها

هناك لائحة كبيرة بالكتب التي تنسب لغير مؤلفيها قصدا او عن غير قصد لسبب من الاسباب . ولعل هذا الموضوع الطريف يحفز بعض الباحثين المطلعين فيخصه بدراسة واسعة يخرج منها بكثير من الفوائد التاريخية والادبية التي تظهرنا على دخائل النفوس واسرار المجتمع . . فإن من المحقق ان كثيرا من الادعياء في العلم؛ انتحلوا كتباً ليست لهم ، وكثيرا من الحسدة طمسوا اسما مؤلفين من محسودهم فضلا عن الجهل الغاضح الذي يجعل بعض القاصرين ينسب كتباً لغير من هي له ؛ وربما ألفت بعد وفاة المنسوب اليه او قبل ولادته بكثير من السنين .

على أن هناك باعنا آخر ، وهو التستر يجعل بعض المؤلفين يذيع كتباً له في الناس بأسماء مستعارة اما لتسيير فيهم وتنتشر أكثر مما لو كانت منسوبة إليه وحاملة لاسمه . وإما لأنها تحتوي على أفكار وآراء ومذاهب في الدين والاجتماع والسياسة يخاف ان يمسه أذى بسببها فيروجها في الناس

باسم غيره ويحصل على ما أراد مع الامن من الضرر .
والجهل باسم المؤلف كان من أهم الاسباب في نسبة
الكتاب لغير صاحبه ، لان بعض الناس يهمل أن يعرف مؤلف
الكتاب فيجعل يفكر ويقدر حتى يفرض أنه ربما كان من
صنيع فلان ، ويأتي بعد من لا يعرف ان هذا انما كان فرضا
وتقديرًا فينسبه لذلك (الفلان) على سبيل القطع والجزم ، بل
ربما نسي صاحب الفرض نفسه او تناسى فرضه فجزم وقطع
وتلقى الناس عنه ذلك بدون ان يرتابوا فيه .

وقد قيل انه في اول ظهور المطبعة بمصر واشتغال بعض
التجار بصناعة طبع الكتب كانوا اذا وجدوا كتابا غير منسوب
وهم يريدون طبعه نحلوه للسيوطي لكثرة ما ألف هذا العالم
في فنون العلم المختلفة من الكتب وربما فعل ذلك أيضا بعض
العلماء الذين لا ممارسة لهم ولا خبرة بفن التأليف حتى اختلط
الحابل بالنابل ونسبت لهذا العالم كتب كثيرة ليست له ولا
تحمل روحه ولا تنسج على منواله .

ومن ذلك كتاب (الكنز المدفون والفلك المشحون)
ليونسي المالكي كما بكشف الظنون وكما يعلم من قصيدة
فيه نفسه لمؤلفه ابتداء كل بيت منها بحرف من حروف اسمه
وهي في صفحة 158 ، وقد طبع منسوبًا للسيوطي .

ومنه كتاب (برد الاكباد عند فقد الاولاد) لابن ناصر الدين الحموي كما بمعجم المطبوعات فانظره ص 1626 ج وقد طبع منسوباً للسيوطي ، نعم ، قد ولّفت في سيرة الحلبي ج 8 ص 229 على نقل منسوب لكتاب تبريد الاكباد للسيوطي وهذا النقل موجود في الكتاب المطبوع باسم برد الاكباد ، فلعلهما كتابان اثنان ائحدا في الموضوع وتقاربا في الاسم .

ومنه كتاب (الرحمة في الطب والحكمة) المشهور وهو للشيخ مهدي بن علي بن ابراهيم الصبري¹ اليمني المهجي المقرئ المتوفى سنة 814 كما بكشف الظنون وقد طبع مرارا منسوباً للسيوطي .

والذي أرى أنه ليس لواحد منهما :

أولاً - لكثرة النقل فيه عن المتأخرين عن الاول والمعاصرين للسيوطي كالسنوسي وزروق .

ثانياً - لانه كاد يكون كتاباً عاماً بأسلوبه ولغته ، وقد يسف في بعض الاحيان حتى يقول مثلاً : علاج لكذا مجرب صحيح، ولعنة الله على من كذب ... في أمثال لهذه الكلمات. ولا يبعد أن يكون مؤلفه مغربياً لكثرة اسماء المغاربة

(1) وانظر مقال المخطوطات العربية بتطوان في هذه المجموعة .

فيه واتسميته للأمراض والعقاقير بأسماء مغربية مما لانجد له مثيلا في غيره من كتب هذا الفن .

نعم ، قد يكون ذلك كله مما أدخل عليه ادخالا والحق به من الطرر والهوامش فيكون الاصل لصاحبه والباقي للمعوم المفتونين بهذا الكتاب .

ومن الكتب المهمة المنسوبة لغير مؤلفيها كتابا (منهاج العابدين) (والنفخ والتسوية) لابي الحسن علي المسفر السبتي وقد نسبنا قديما لابي حامد الغزالي وطبعنا كذلك منسوبين اليه . قال العلامة الشيخ محيي الدين بن العربي الحاتمي في كتابه محاضرات الابرار ص 90 خ ل : « كان هذا الشيخ المسفر جليل القدر حكيما عارفا غامضا في الناس محمود الذكر ، رأيت بسبته . له تصانيف منها منهاج العابدين الذي يعزى لابي حامد الغزالي وليس له وانما هو من مصنفات هذا الشيخ قال وكذلك كتاب النفخ والتسوية الذي يعزى الى ابي حامد ايضا وتسميه الناس المصنون الصغير .

ومنها كتاب (المحاسن والاضداد) المنسوب للجاحظ والمطبوع بهذه النسبة ، حقق الاستاذ حسن السندوبي انه ليس له ويؤخذ ذلك من محتويات الكتاب أنظر أدب الجاحظ للسندوبي ص 155 - 158 وصاحبه ممن زعم أنه نحل كتبنا

كثيرة لغيره بغية ترويحها وسلامته من الطعن كما بمقدمته .
ومنها (شرح ديوان المتنبي) المنسوب لابي البقاء العكبري
مطبوعا كذلك . فانه ليس له كما حققه الاستاذ مصطفى جواد
في مقال له نشر بمجلة «الثقافة» المصرية (عدد 17) واستدل
على ذلك بدلائل منها ان العكبري كان أعمى من صغره
والشارح ليس كذلك كما في الشرح ، من مثل قوله ص 382
في امالي ابن الشجري : «نقلته بخطي» ورجح انه قد يكون
لابي عبد الله الحسين بن ابراهيم الكوراني الاربلي المتوفى ،
سنة 656 بدمشق .

ومنها كتاب (نحلة الاحباب) في الخطط والمزارات لمحمد
ابن احمد الحنفي السخاوي، وقد طبع منسوباً للعلامة السخاوي
فيوهم انه الحافظ السخاوي المشهور وليس به . وقد نسب اليه
وهما في فهرس دار الكتب المصرية نبه عليه بعض فضلاء
الباحثين في مجلة «الرسالة» (عدد 140) .

ومنها كتاب (المقصد الاحمد) للعلامة سيدي عبد السلام
القادري المتوفى سنة 1110 الفه في مناقب شيخه سيدي احمد
ابن عبد الله معن . دفن المخفية من مدينة فاس . فقد أغار
عليه السيد حرازم برادة (من أهل القرن) 18 وسماه جواهر
المعاني من قبض الشيخ سيدي أحمد التجاني وطبع كذلك

وسار في الناس كل سيرة ثم نشر المقصد الاحمد اخيرا
فافتضح ذلك السر وعجب الناس من هذه الجرأة .
والاغارات على الكتب بنقل فوائدها والتصرف في عباراتها
ثم نسبتها الى النفس كثيرة ؛ وقد قيل في كتاب لبعضهم لو
ان مسائله رجعت الى أصولها لما بقي منه شيء ، وهذا الباب
واسع جدا فلنكتف منه بهذه اللوحة الخاطفة الان ، وعسى
الله أن يوفقنا للرجوع اليه فنستوعبه كما ينبغي له .

المعزى بفتح الميم

كنا جماعة من أعضاء المجلس الاعلى للتعليم وبيننا مديرو المعاهد وبعض المدرسين . وقد جلسنا بقاعة الاجتماعات الكبرى بالصدارة العظمى في انتظار انعقاد المجلس ، حين سأل أحدهنا كيف تقولون في اسم كتاب المعزى في مناقب ابي يعزى هل هو بفتح الميم أو ضمها ؟

وقد أجاب غير واحد بالجواب المعهود وهو أن فتح الميم لا يصح لان اسم المفعول من الثلاثي لا يكون على مفعل بل على مفعول فحقه ان يقال فيه معزو ، ولذلك فان الضم هو الواجب باعتبار انه اسم مفعول من الرباعي .

ولوحظ أنه إنما يصار الى الرباعي اذا كان الثلاثي غير متعد ، فلا يصح أيضا أن يقال معزى بالضم ، ثم تطرق الكلام الى الفعل يكون ثلاثيه متعديا ورباعيه لازما وإن كان هذا ليس منه كما وقعت الاشارة الى تاريخ المسألة، وان الناس منذ الف الشيخ ابو العباس الصومعي التادلي كتابه هذا وهم مختلفون في ضبطه وما كان من الحادثة المؤسسة التي وقعت له بسبب ذلك مع الامير زيدان بن المنصور الذهبي ، ثم أقفل الموضوع وبقيت المشكلة كما كانت .

ولزيادة البيان نورد تاريخ هذه المسألة كما ورد في
«الصفوة للأفراني» والاستقصا للناصرى . فقد قال الاول فى
ترجمة هذا الشيخ بعد أن نوه بعلمه وصلاحه كثيرا .

«وذكر صاحب الفوائد ان السلطان نقله لمراكش بسبب
بغضة بينه وبين امير نادلا زيدان بن احمد ، فلم يزل بمراكش
حتى مات هـ . ولعل سبب البغضة المذكورة ما يحكى انه لما
الف كتابه المعزى فى أخبار ابي يعزى عارضه زيدان ابن
السلطان المذكور ، بأنه لا يجوز ان يقال المعزى لانه من
الرباعى وإنما قالت العرب عزا فقياسه المعزو . فصمم صاحب
الترجمة على الانكار الى أن لطمه زيدان بنعله على وجهه
فشكى به الى ابيه المنصور فقال له المنصور لو لطمك وهو
المخطىء لعاقبته اما حيث كان على الصواب فى قوله فانت
جدير بلطم نعله ولما رأى المنصور ما وقع بين الشيخ وولده
نقله لمراكش فكان يحضر مجالس المنصور فى البخارى وغيره ،
وقال فى الاستقصا فى ترجمة زيدان :

« قال اليفرنى كان كثير المراء والجدال كما وقع له مع ابي
العباس الصومعى قلت: الذي وقع له مع الصومعى هو أنه لما ألف
كتابه الموضوع فى مناقب الشيخ أبى يعزى رضى الله عنه وسماه
المعزى بضم الميم وفتح الزاي بصيغة اسم المفعول من الرباعى

عارضه زيدان وهو يومئذ بتادلا واليا عليها من قبل ابيه بأنه
لم يسمع الرباعى من هذه المادة وانما قالت العرب عزاه بعزوه
ثلاثيا فأصر أبو العباس رحمه الله على رأيه الى أن لطمه زيدان
على وجهه بالنعل فشكاه الى المنصور فقال له لو لطمك وهو
المخطيء لعاقبته. اما اذ كان الصواب معه فلا قلت كان زيدان
يومئذ فى عنفوان الشباب فصدر منه ما صدر :

فان يك عامر قد قال جهلا فإن مظنة الجهل الشباب
ومع ذلك فما كان من حقه ان يفعل، وأظن ان انتكاس
رايته سائر أيامه انما هو أثر من آثار تلك اللطمة ، فإن لله
تعالى غيرة على المنتسبين الى جانبه العظيم وإن كانوا مقصرين،.
فهذه المسألة قد شغلت العلماء من لدن عهد المؤلف الى
وقتنا هذا ونراهم كلهم يعطون فيها الحق لزيدان ويعتبرون
الشيخ الصومعي مخطئا في هذه التسمية ، ولعل قول الناصري
وسماه المعزى بضم الميم من الرباعي انما هو شرح وبيان لما فهمه
من انكار زيدان على الصومعي بحسب ما رواه اليفرنى، فنحن
إلى الآن لا نعرف ما دافع به لصومعي وما أراد بهذه الصيغة هل
اسم المفعول أو غيره ؟

وأقول اني بعد انفضاض المجلس المشار اليه في أول
المقال رجعت الى الفندق الذي كنت نازلا فيه وبينما كنت
متمددا على السرير أجول بفكري هذه الجولات الطويلة القصيرة

التي يسافر فيها الفكر الى أقاصي الدنيا وأغوار الماضي البعيد
في أقل من لحظة ، عاد الى ذهني موضوع اسم كتاب المعزى
مصحوبا بخاطر ان الشيخ الصومعي ربما لم يكن يقصد الى
اسم المفعول حين سمى كتابه هذه التسمية بل قصد المصدر
الميمي وهو على مفعل بفتح الميم من الثلاثي المعتل اللام مطلقا
كمرمى ومسعى ومعزى قال ابن مالك في لاميته :

من ذي الثلاثة لا يفعل له ائت بمفعـل لمصدر او ما فيه قد عملا

كذاك معتل لام مطلقا .

وعليه فالمعزى بفتح الميم لاغير ومعناه العزو في مناقب
ابي يعزى وهو أنسب من اسم المفعول فإذا كان الشيخ الصومعي
اراد هذا فالصواب معه . ولحد الان ليس بيدنا ما يؤكده خلافه
والا فلا يجوز في هذا الاسم الا ما ذكرنا .

ومن العجيب اني لما فكرت في كتابة هذه الكلمة
انصافا للشيخ الذي تحومل عليه بغير حق وردا للاعتبار الذي
تجراً زيدان على نزعه منه راجعت في الصباح نص الافراني
والاستقصا . وفي المساء وجدت على المكتب في معهد مولاي
الحسن كتاب المعزى للشيخ الصومعي وقد جسيء به من خزانة
الشريف الهمام السيد اليزيد بن صالح باشا مدينة شفشاون
ولم أكن رأيت قبله . فدهشت واعتبرت ذلك تجاوبا روحيا

بينى وبين الشيخ رحمه الله ثم تصفحته فلم أجد فيه أثرا للاسم المذكور ، فهل هي إشارة الى أن الشيخ لم يقصد شيئا مما نسبوا اليه ؟

وقد ذكر في آخره انه فرغ من تأليفه ضحوة يوم الاحد ناسع شوال عام عشرة مائة ، والنسخة جيدة كتبها أحد أسلاف الباشا في أوائل القرن المنصرم .



المخطوطات العربية

في تطوان*

ليس في تطوان مخطوطات عربية كثيرة ، من هذه المخطوطات التي لها أهمية علمية أو تاريخية أو فنية ، وإن كانت فيما مضى تحتوي على ثروة عظيمة من هذا النوع من التراث العربي الثمين . شأن غيرها من مدن المغرب التي كانت تعتبر مركزا ثقافيا كبيرا او صغيرا . وليس دليلي على ذلك هو التنظير فحسب بينها وبين مثيلاتها من المدن المغربية التي مازالت تحتفظ بكمية نسبية من المخطوطات ، ولكن لي دليلا آخر هو أقوى من كل دليل على ما كان يوجد بتطوان من مخطوطات عربية كثيرة أودت بها يد الحدثان او نقلتها الى مكان آخر حيث لم يعد يستفيد منها أبناء تطوان وان اتاحت الاستفادة منها لغيرهم من الناس . ذلك أنني في زيارتي المختلفة لمدريد عاصمة الدولة الاسبانية ، كنت اتردد على المكتبة الاهلية واتصفح كثيرا من مخطوطاتها العربية المهمة

* كتب هذا المقال لمجلة معهد المخطوطات التابع للجامعة العربية ونشر بها في العدد الثاني من السنة الاولى .

فأجد أن أكثريتها من أصل تطواني ؛ مما نسخ بتطوان اوكان مالعه من أهل تطوان . وإذا علمنا ان تطوان كانت قداحتلت عسكريا من طرف الاسبان وفر منها أهلها ناجين بأنفسهم تاركين املاكهم وأمتعتهم ليد الخراب والنهب وذلك فى حرب (1272 هـ - 1860 م) بين اسبانيا والمغرب لم نستغرب أن تنقل نفائس الكتب فيما نقل حينئذ الى مدريد والى غيرها من الجهات . على أن ما وقع بعد اعلان الحماية سنة 1912 فى المغرب كله من الهزات العنيفة كان سببا أيضا فى تشتت كثير من المكتبات العامة والخاصة وانتقال محتوياتها الى الايدي الاجنبية بطريق الشراء وغيره ، ولابد ان تطوان اصابتها من ذلك شىء ليس بالقليل .

وهذه الملاحظة نظهرنا على شىء آخر ؛ وهو أن غالب ما نشتمل عليه دور الكتب باسبانيا من المخطوطات العربية اصله من المغرب ، فهذه المكتبة الاهلية قد علمنا امرها . وكذلك مكتبة الاسكوريال التى تضم بين جدرانها عددا ضخما من المخطوطات العربية المهمة . فانها انما حصلت على هذه الثروة الفكرية الطائلة من المغرب السىء الحظ ، حيث ان مركبا بحريا كان يحمل ذخائر للسلطان زيدان بن المنصور الذهبى ومن جملةتها 3000 مجلد من كتب التاريخ والادب والفلسفة ،

استولى عليه القراصنة الاسبان في نهاية القرن السادس عشر وأضيفت تلك الكتب الى خزانة الاسكوريال فكونت قسم المخطوطات العربية الذي تزهى به تلك الخزانة ويمكن لزائر الاسكوريال ان يتحقق من هذا الامر ، بقراءته لاسم السلطان زيدان او اسم والده المنصور الذهبي مكتوبا على الصفحة الاولى في كثير من المخطوطات الموجودة هناك فليس الاصل اذن فيما يوجد باسبانيا من مخطوطات عربية . ان الاندلس كانت مهد الحضارة العربية مدة ثمانية قرون وإن اسبانيا احتفظت بما استولت عليه من ذلك التراث عند طرد العرب - كما يظن الكثير من الناس - وإنما الاصل هو ما ذكرنا اما في تلك الايام السود فان الملوك الكاثوليكيين المتعصبين كانوا يحرقون الكتب العربية ويتلفونها استجابة لنصائح القسوس والرهبان زعما منهم انها لا تحتوي على خير ، وأنها مادة سامة لافساد عقائد المومنين .

ولم بتفطن القوم الى ما ضيعوه من ذلك الكنز الثمين الا بعد فوات الفوت ، وحينئذ صاروا يتخطفونه حتى من عرض البحار ! ثم إن مما لاشك فيه أن تطوان كانت تحتوي على مكتبات خاصة عديدة . وان المخطوطات التي اشرنا اليها هي التي كانت تكون هذه المكتبات ، ولا نعرف انه كان فيها مكتبات عامة ، كما

يذكر عن جارتها سبتة^١ في إبان مجدها ، اللهم الا مكتبة المسجد الاعظم وما شابهها مما كان في بعض المساجد وهذه على ما يظهر كانت غنية بالكتب القيمة بدليل ما تبقى منها وسلم من اليد العادية .

ومكتبة المسجد الاعظم توجد في جميع مدن المغرب المهمة ولا سيما عواصم الاقاليم ، كان السلاطين يعنون بانشائها ويحرصون دائما على امدادها بنفائس الكتب تمكيننا للشعب من وسيلة التثقيف العظمى ومادة التغذية العقلية التي هي الكتاب ، ولاندري كيف نجت مكتبة المسجد الاعظم في نطوان من النهب مع وقوع المدينة تحت الاحتلال العسكري الاسباني مدة عامين - الا أنه يمكن القول بأن السلطات أمرت باحترام المسجد الاعظم خاصة . وأن ما نهب من اماكن السكنى وبيوت العبادة الاخرى كان فيه غنية .

وعلى كل حال فإن مكتبة المسجد الاعظم في نطوان هي اقدم مكتبة تحتوي على مخطوطات في هذه المدينة . وان كانت هذه المخطوطات ليست ذات أهمية نوعية ولا عددية بالنسبة الى قدم المكتبة وما كان يشتري لها من مال الوقف او يوقفه عليها أصلا الملوك والرؤساء وغيرهم من أهل الفضل

(١) انظر كتاب اختصار الاخبار عما كان بسبتة من سنى الآثار للضرى .

ومحبي النفع . ونظن أن ما طرأ عليها من التقلبات وما اعتورها من اختلاف ايدي المتصرفين فيها كان له تأثير كبير في فقد اكبر عدد مما كانت تحتوي عليه من الكتب القيمة فقد انتقلت اولا من خزانة المسجد الاعظم الى مدرسة لوقش وذلك عند انشاء المجلس العلمي وتنظيم الدراسة الدينية ثم نقلت اخيرا الى مقر المعهد الدينى العالى وأضيف إليها جملة من كتب الدراسة المطبوعة التى اجتلبت من مصر ولا يعلم احد ماذا يكون مصيرها بعد: خصوصا وهى ما زالت لم تنظم تنظيما عصريا ولم تسجل وتفهرس كما يجب .

وتعداد هذه المخطوطات الآن فى المعهد الدينى العالى يبلغ المائة زيادة على ما هناك من الخروم اي الاوراق المتخرقة التى تتطلب دليلا خريتا ليهتدي الى معرفة ما يوجد بينها من آثار مفيدة ، ولم يلفت نظرنا من هذه المائة مخطوط الا ثمانية رأينا أنها ذات اهمية نسبية . والباقي كله من كتب الدراسة الفقهية او النحوية المتداولة واكثره مطبوع عدة مرات اما هذه الثمانية فهى :

(1) البيان والتحصيل لابن رشد الفقيه ، نسخة فى عشرة مجلدات ينقصها الاول والثانى ، وبقية المجلدات الثمانية فى حجم كبير وخطها مغربى واضح ، تاريخها كما بآخر الجزء العاشر

منها : شوال 1198 . وهذا الكتاب من أمهات كتب الفقه المالكي ومؤلفه ابن رشد يعرف بحافظ المذهب، وما زال لحد الآن لم يطبع .

(2) مختصر ابن عرفة الفقهى المشهور كشهرة مؤلفه عند اتباع المذهب المالكي . ولكن الموجود منه مجلدان اثنان فقط ، الاول والثانى، وهما بخط مغربى عادى، وعليها توقيفات وطرر يسابر بهما كاتبهما مختصر الشيخ خليل بن إسحق المالكي . وليس له تاريخ الا ان عليهما شهادة وقف على جامع الشيخ علي بركة بتطوان مؤرخة بسنة 1271 وهذه الشهادة مما يدل على أنه كان هناك مكاتب أخرى غير مكتبة المسجد الاعظم .

(3) فتح المتعال في مدح النعال للحافظ المقرئ، والكتاب مطبوع بالهند الا أن النسخة يمكن أن يستعان بها فى تحقيقه اذا أعيد طبعه . وهى مغربية وخطها جميل ، وتوجد بها أمثلة للنعل النبوية بأشكال مذهبة ملونة، وهى من تحبيس السلطان على الجامع الاعظم بتطوان عام 1084

(4) شرح ابى على بن رحال على مختصر الشيخ خليل . يوجد منه ستة عشرة مجلدا ضخما بخط مغربى واضح ، انتسخ للسلطان سيدي محمد بن عبد الله ، وهو الذي حبسه على

مكتبة المسجد الاعظم بتطوان فى تاريخ 14 ربيع الثانى 1198
وشهادة التحبىس تذكر ان الكتاب فى 18 مجلدا ، إلا أن
النسخة ينقصها المجلدان الاول والثانى ومع ذلك فالشرح غير
تام اذا انتهى فيه الى فصل المكاتب وأهمية هذا الشرح لانخفى
على المطلعين لان أبا علي بن رحال من حفاظ المذهب المالكى
ومحققه .

(5) كتاب النوادر لابن أبى زيد القيروانى فى الفقه
المالكى، يوجد منه جزآن وهما فى مجلدين ضخمين ويتضمنان
احكام البيوع ، وهو من تحبىس السلطان السابق الذكر على
المسجد الاعظم بتطوان .

(6) كتاب التوشيح فى مشكلات الجامع الصحيح يعنى صحيح
البخارى لجلال الدين السيوطي ، نسخة مغربية صحيحة بخط
العربى بن على بن عمر بن على التطوانى كتبها فى العشرة
الرابعة بعد المائة والالف . وهى من تحبىس السلطان ايضا على
المسجد .

(7) كتاب المنزوع البديع فى تجنىس أساليب البديع للامام
ابى محمد القاسم بن محمد بن عبد العزيز الانصارى، فى مجلد
 بخط مغربى جميل كاتبه إبراهيم بن محمد الغسانى الشهير
بالوزير، ومؤلفه من أهل القرن الثامن فرغ منه فى 21 صفر 704

وهو كتاب قيم فى موضوع التجنيس والبديع والبيان والبلاغة على العموم ، ونفسه عال وتقسيمه مبتكر ، وشواهد من شعر الاقدمين وبلغا المولدين ، وبالجمله فانه حلقة مهمة تنقص الدارسين للبلاغة العربية وتاريخها ، وما احراه بالنشر .

(8) شرح العلامة الكرمانى على صحيح البخاري فى ثلاثة مجلدات ضخام بخط مشرقى دقيق، وتاريخه 20 شوال 851 وهو أيضا من الكتب الموقوفة على مسجد تطوان من طرف السلطان. وقد طبع هذا الشرح الا أن أهمية هذه النسخة تتمثل فى التصحيح والمقابلة عند ارادة طبع الكتاب مرة ثانية طبعا علميا متقنا .

هذه هى الكتب الثمانية من مخطوطات المسجد الاعظم التي لفتت نظرنا لاهميتها فى الجملة. وننتقل الى المكتبة العامة التى هى ثاني مكتبة عمومية فى تطوان تحتوي على مخطوطات عربية فنجد ان هذه المكتبة وقد انشئت من امد قريب ، بها زهاء 900 مخطوط مما اشترى لها بالجملة والتفصيل. وفي الحقيقة انها كلفت الحكومة مبالغ طائلة لانها كثيرا ما كانت تشتري المكتبة التي تحتوي على قليل من المخطوطات وكثير من المطبوعات ، يعرضها للبيع صاحبها او ورثته بعد موته ، بثمان فاحش فلا تماكسه فى ذلك الا قليلا ، وحينما تتم الصفقة تضم المخطوطات الى القسم الخاص بها على حين ان

المطبوعات التي توجد لها نظائر في المكتبة تأخذ طريقها الى مكتبات المعاهد الدراسية وبعض المكتبات العمومية في غير تطوان من مدن المنطقة . ولكن مهما قيل في ارتفاع ثمن هذه الكتب فان الحكومة تكون هي الرابحة في المعنى ، واذا استمرت على تغذية المكتبة العامة بهذه الطريقة فانه لا يمر وقت قريب حتى نصير من اكبر المكتبات التي يفاخر بها المغرب ويقصدها الباحثون من كل الجهات .

والى القاريء ما استرعى انتباهنا من مخطوطات هذه المكتبة ، التي ما زالت هي ايضا لم تسجل وتفهرس كما يجب :

(1) كتاب قصص الانبياء للشيوخ الامام الزاهد ابي الحسن محمد بن عبد الله الكسائي مجلد في 156 ورقة بخط مشرقى واضح تاريخه عام 882 ولا يخفى انه غير كتاب قصص الانبياء المطبوع المعروف بالعرائس للشعلبي .

(2) كتاب التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية للحسن بن محمد بن الحسن الصنعاني في ستة مجلدات ، بخط مشرقى واضح انتهى فاسخه وهو عبد اللطيف محمد من جزئه الاول في شعبان 1288 ومن جزئه الآخر في رجب 1290 وبآخره ان مؤلفه فرغ منه يوم الجمعة وقت فتح باب بيت الله الحرام 10 صفر 695 وهو كتاب قيم في الذيل

على صحاح الجوهري مرتب على الحروف ترتيب الصحاح والنسخة
جيدة وصحيحة .

(3) حاشية العلامة الاديب الشيخ عبد القادر البغدادي على
شرح ابن هشام لقصيدة كعب بن زهير «بانت سعاد، وهي حاشية
حافلة بالفوائد اللغوية والنحوية والادبية في ثلاثة مجلدات
وشهرة صاحبها كافية في التعريف بها . والنسخة حديثة فرغ
منها ناسخها في 21 ربيع الاول 1345 وخطها واضح ولكنه
لا يخلو من تصحيف .

(4) الجمع بين كتابي نزهة الناظر وبهجة الغصن الناضر .
وشوارق الانوار وطوالع الاسرار ؛ كلاهما للشيخ احمد بن عبد القادر
التاستاوتي، ضمنهما عدة ادعية وأذكارا وأسئلة وأجوبة لاشياخه
ومعاصريه من العلماء كالبيوسي والتجموعتي والمجاصي، والاول
خاص بالاذكار . والثاني - ويستغرق جل الكتاب - هو الذي
يتضمن هذه الموضوعات المختلفة مع ما جمعه من منظومات
التاستاوتي الشعرية والملحونة ورسائله الادبية وغير ذلك . ولم
يذكر فيه اسم الجامع بين الكتابين ، وإن كان من تلامذة
المؤلف، والكتاب يقع في مجلدين وخطه مغربي عادي الا
انه واضح وصحيح وتاريخه 1149 . وناسخه أحمد بن محمد العياشي
ملاح . نسخته للشيخ احمد بن عاشر بن عبد الرحمن الحافي

كما بكتابة بآخره ، بخط هذا الشيخ وعليه توقيفات كثيرة بخطه أيضا .

(5) مجموع أوله تأليف في بيع الصفقة للشيخ ميارة ثم تقايد في التوحيد فشرح الخروبي على المشيشية في ورقات ثم نبذة في الاوليات من تأليف الفقيه ابى عبد الله محمد بن علي بن ابى بكر الرباطي المعروف بالحراط، فتايل لابن الخطيب اسمه استنزال اللطف الموجود في أسر الوجود في ورقات ، ثم تقييد في شكل مقامة غريب ، فتقايد مختلفة. فقصيدة لامية طويلة في الحكم والآداب . ثم كتاب عمل من طب لمن حب للامام ابى عبد الله محمد المقرئ الجد وهو نفيس ، فتقييد في الحدود والتعاريف لابى الوليد الباجي ، ثم مختصر نوازل ابن سهل يحتوي على 536 مسألة متتابعة مرقمة . ثم كتيب للحكيم الترمذي في أصول الطريق والسلوك . ثم كتاب ازهار الخائل في اختصار السير والشمال لطيف مفيد، فشرح لعبد الملك بن محمد بن عبد الجبار السجلماسى على رائبة بن ناصر في العبادات في ورقات ، فرسالة في العقائد والعبادات لمحمد بن سعيد بن عبد المنعم ثم تأليف مهم للشيخ ابى علي محمد بن خليل السكوني في الالفاظ الموهمة التي لا يجوز اطلاقها على الله تعالى مما يقتضى الحلول والاتحاد ونحو ذلك في ورقات

ثم كتاب مكنون الجواهر وتحصن المقيم والمسافر في الادعية
والاذكار لطيف مفيد ، فأجوبة ومسائل .

(6) رسالة في بيان الناسخ والمنسوخ الواقع في القرآن لهبة
الله بن سلامة بن نصر بن علي البغدادي البصري من أهل
القرن الخامس ألفها سنة 453 وهي بخط محمد بن محمد العزيمي
الشافعي وتاريخها 14 محرم 1222 جزء صغير .

(7) كتاب الابرار في بري القلم وعمل الاحبار جزء صغير
غير معروف المؤلف بخط مشرقى جميل لا يخلو من تصحيف
وعبارات عامية ويحتوي على عشرة أبواب في هذه الصناعة
تاريخه 9 محرم 987 .

(8) كتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك للسلطان ابي
حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن
ابن زيان ، من ملوك بنى عبد الواد اصحاب تلمسان ، ألفه
لولى عهده. ويشتمل على اربعة ابواب، الباب الاول في الوصايا
والاداب ، الثانى فى قواعد الملك واركائه. الثالث فى الاوصاف
التى هى نظام الملك ، الرابع فى الفراسة. وفى كل باب فصول
ويشتمل على شعر كثير لهذا السلطان وكلام مسجوع له ،
والنسخة مغربية الخط جميلته . بل انها باستثناء الصفحة الاولى
منها . بخط والد كاتب هذا المقال وإن لم يذكر اسمه فيها

ولا ادري كيف صارت لهذه المكتبة فانها بذلك يلزم ان تكون من كتب الخزانة الكنوفية ولكنى لا اعرفها عندنا وقد تعجبت من أمرها كثيرا ، لانى كنت اطلب هذا الكتاب زمانا طويلا ولم اظفر به برغم انه مطبوع فى تونس، فلما وقفت عليه وجدته بخط والدي! وبآخر النسخة قصيدتان فى السياسة وتدبير الملك بخط آخر جميل أيضا .

(9) كتاب المبتدأ لمقاتل بن حيان، جزء وسط بخط اندلسى جميل، وفيه أخبار وروايات عن بدء الخليقة وعجائب الكون ، ومع هذا الكتاب بنفس الخط أجزاء صغيرة تحوم حول الموضوع وجملة في كرامات الشيخ ابي العباس السبتي الخ والكتاب ليست له قيمة من الناحية التاريخية وانما قيمته فيمن نسب اليه ان صحت هذه النسبة .

(10) كتاب في الفلاحة لحمدون الاشبيلي اسمه البستان ونزهة الازهان في سفر يحتوي على 285 صفحة بخط مغربي عادي الا انه واضح وهو على خلاف الكتب المعهودة في هذا الفن ، مفتتح بخطبة تحتوي على الحمد والصلاة على النبي (ص) ومقدمة في الموضوع نشتمل على الآداب الاسلامية المتعلقة به، مما جاء فى الايات القرآنية والاحاديث النبوية اقتسغرق نحو 16 صفحة ثم يدخل الى المقصود بالذات فيبدأ بالكلام على

الفصول الاربعة والشهور وقسمتها الى البروج الى آخره ومادته
خصبة وابحائه متنوعة يدل على ما وصلت اليه الفلاحة العربية
من تقدم وازدهار .

(11) كتاب نعت الاحجار لارسطاطاليس نقله من اليونانية
الى اللسان العربى محمد بن عبد الملك . في جزء صغير بخط
مشرقى واضح وليس له اول ولا تاريخ له في اخره . ومعه
كتاب اخر فى الموضوع نسب في الفهرس الذى وضعه
بائع هذا الكتاب وجملة كتب اخرى معه الى المكتبة ، لابي
الريحان البيرونى ، وهو مفتتح بالبسملة والحمد والصلاة ولم
يذكر فيه اسم مؤلفه لا اولاً ولا آخراً وزاد فى الفهرس
المذكور انه من مخطوطات القرن السابع ولكننا لا نستطيع
تاكيد ذلك .

(12) كتاب الابيات المقصورة على الابيات المقصورة ، وهو
شرح على مقصورة ابن دريد للشيخ عبد القادر بن محمد بن
يحيى بن مكرم الحسينى الطبري الشافعى المتوفى سنة 1033
صاحب كتاب عيون المسائل من اعيان الرسائل كتبه لشريف
مكة الحسن بن ندى بركات ، وشحنه بالفوائد اللغوية والادبية
وبذخيرة قيمة من اشعار الجاهلين والاسلاميين من متقدمين
ومتأخرين وهو يقع في مجلد وخطه مشرقى عادى وتاريخه

حديث جدا (4 ربيع الاول 1345 - 11 اكتوبر 1926) ناسخة عبد العزيز عطيه خطاب حمودة الطالب بالازهر الشريف . ونسب هذا الكتاب في الفهرس المشار اليه الى عبد القادر البغدادي

(13) الفهرست لابن النديم، نسخة حديثة بخط مشرقي جيد ويظهر ان كاتبها وهو مصطفى بن علي كان على جانب من الضبط والاتقان ، فانه ينبه على اماكن البياض التي لم يذكر فيها الاسم المطلوب او التاريخ او المكان مثلا ، فيقول بالهامش لم يذكر الاسم بالاصل الخ ومن الجدير بالملاحظة ان هذه الاماكن هي بنفسها اماكن البياض الموجود في النسخة المطبوعة ولا تفرق هذه المخطوطة عن المطبوعة في شيء الا في بعض العبارات التي لاحظناها في ترتيب مصحف ابن مسعود . فهي فيها على الوجه الصواب وفي المطبوعة مصححة على المقروء الآن . والى القاريء بيانها كما في المخطوطة . . لايلاف قریش انا انزلناه ، والعصر ، لقد خلقنا الانسان لخير . وانه فيه الى آخر الدهر ، الا الذين آمنوا وتواصوا بالتقوى وتواصوا بالصبر اذا جاء نصر الله . انا اعطيناك . قل للذين كفروا لا اعبد ما تعبدون ، ثبت يدا ابي لهب وقد تب ما اغنى عنه ماله وما كسب ، وامراته حمالة الحطب . . وقد وضع الناسخ بهامش هذه المخالفات الثلاث عبارة تامل ثلاث مرات ايضا مما يدل

على تحريره .

وفي ترتيب مصحف ابي بن كعب، وقع ما يلي . . الفتح
محمد (ص) الحديد، الطهار . . فكتب الناسخ بالهامش لعله الظهار
وهي الطلاق . هذا مع العلم بأن اسم هذه السورة في النسخة
المطبوعة وقع مغلوطا هكذا (الطهارة) ولم تثبت في هذه النسخة
صور الاقلام والخطوط القديمة التي أثبتت في المطبوعة بل
بقيت اماكنها بيضا ، ونبه الناسخ في الهامش على انها غير
ثابتة في الاصل ، كما أن تلك الزيادة التي عثر عليها بعض
المستشرقين الالمان ولم تكن في الطبعة الاولى للفهرست توجد
في هذه النسخة .

والحاصل أن هذه المخطوطة يمكن أن يستعان بها في
تصحيح كتاب الفهرست عند إرادة طبعه طبعة علمية محققة
وان كانت على ما يلوح تتوافق هي والنسخة المطبوعة حتى
قد يظن أنها منقولة عنها . الا ان هذه الملاحظات الصغيرة التي
بدت لنا عند تصفحها السريع ، تجعلنا نجزم انها نقلت من أصل
آخر فضلا عن تقدم تاريخها وهو عام 1327 على تاريخ
المطبوعة الذي هو عام 1348 ونحن اذ نتكلم على النسخة المطبوعة
فإنما نعني طبعة مصر . . اما طبعة اوربا فإننا لم نقف عليها وقد
كان طبعها على كل حال قبل تاريخ هذه المخطوطة .

(14) مراصد الاطلاع في أسماء الامكنة والبقاع لصفي الدين الحسيني الحلبي مفتي الحنابلة بالبشرية ، اختصر فيه كتاب معجم البلدان لياقوت نسخة تامة بخط مشرقى جيد ، يرجع تاريخها الى القرن الحادى عشر . وقد طبع الكتاب فى أوربا وبلاد العجم منسوباً لياقوت نفسه ، ولذلك فإن هذه النسخة يمكن الانتفاع بها فى تصحيحه عند إعادة طبعه .

(15) الانيس النفيس المغنى عن المجلس لابي القاسم الزيانى الوزير المغربى المعروف ؛ كتاب فى جزؤ وسط بخط مغربى جميل لا يخلو من تصنيف ويشتمل على عشرين باباً فى الادبيات والاخلاق ، وخاتمة فى الهزليات ، وهو ككتب الزيانى مفيد للتعرف على شخصيته ولما تضمنه من بعض الانباء التاريخية .

(16) مطالع الدقائق فى تحرير الجوامع والفوارق ، وهو كتاب الفروق للعلامة الزركشى . ذكر فى أوله كتباً فى الموضوع لعلماء الشافعية منها كتاب الجمع والفرق لابي محمد الجوينى وكتاب الوسائل فى فروق المسائل لابي الخير بن جماعة المقدسى وكتاب المؤرخات لابن ابي عبد الله القطان وكتاب المسكت للامام ابي عبد الله الزبيرى وكتاب المعاياة لابي العباس الجرجاني واثنى عليها ثم ذكر أنه جمع هذا الكتاب وضمنه مهمات المسائل من هذا القبيل وهو فى جزء وسط ونسخته حديثة وهى بخط مشرقى

جميل وصحيح . ولا نعرف كتابا مطبوعا في هذا الموضوع الا كتاب الفروق للقرافي المشهور .

(17) كتاب تعبير الرؤيا للشيخ أبي طاهر بن ابراهيم بن يحيى بن غنام الحنبلي ، رتبه على حروف المعجم ومهد له بأربع عشرة مقالة ، وهو في مجلد وسط بخط مشرقى واضح والنسخة تلوح عليها امارات القدم وان خلت من التاريخ وعندنا منه نسخة مغربية الا ان اسم جد المؤلف فيها غانم لا غنام وفيها ايضا تسمية الكتاب بالمعلم في تعبير الرؤيا على حروف المعجم .

(18) مجموع به مناسك الشيخ خليل بن اسحاق المالكي في جزء متوسط جعله على سبعة ابواب الباب السابع منها في زيارة بيت المقدس والخليل نسخة عادية بخط مغربي لا بأس به من حيث الصحة تاريخها 1246 ثم وردة الجيوب في الصلاة على الحبيب (المحسوب) للشيخ محمد بن عبد العزيز الجزولي الرسموكي على نهج دلائل الخيرات ولكنه فصله بحسب فضائل الصلوات المذكورة فيه ، نسخة عادية بنفس الخط قبله ، ثم كتاب الرصاع في الموضوع وهو معروف ، ثم كتاب قرة العين في أوصاف الحرمين في جزء متوسط بنفس الخط المذكور قبل وقد أرخ في آخره بعام 1255 ثم منسك الشيخ

التاجوري وتقائيد في الموضوع .

(19) مجموع به شرح بحرق على لامية العجم ، صغير ، ونظم فصيح ، ثعلب لابن المرحل ، معروف ، وكتاب الوافي في نظم القوافي للشيخ الجليل الفقيه القاضي ابي الطيب بن الشيخ الاجل الفقيه ابي الحسن بن الشريف الرندي ، وهو كتاب يحتوي على مختارات ادبية وموضوعات من علم صناعة الشعر وقرضه ويتضمن اشعارا لادباء الاندلس وللمؤلف نفسه ، ويخرج في جزء وسط ، وخطه مغربي واضح ولا تاريخ له ، وبختم المجموع بشرح ابن هشام لبانت سعاد .

(20) مجموع به كتاب في الطب اسمه المنافع البينة وما يصلح بالاربعة الازمنة لابي عبد الله محمد بن علي بن عبدالرحمن الصنهاجي ، رتبته على ثمانية ابواب ، اولها في الازمنة الاربعة وما يصلح فيها لحفظ الصحة وبقيتها في علاج الامراض التي تعترى اعضاء الجسد من الرأس الى القدمين جزء صغير بخط مغربي جميل تاريخه عام 1004 ثم شرح زروق على الاسماء الدميائية بنفس الخط . ثم كتاب التيسير في صناعة التفسير (يعني تجليد الكتب) للشيخ الفقيه بكر بن ابراهيم الاشبيلي . الفه برسم المنصور الموحيدي على ما يظهر وهو يثني عليه وعلى اهل بيته ويقول أنه لما رأى استحسانهم لشغله وحسن موقعه من

انفسهم موافقة لمنازعتهم الشريفة ومذاهبهم المنيضة اراد ان يعرفهم بعلمه بهذه الصنعة بعد معرفتهم بعمله وأن يدل غيرهم على ما وضع في هذا الطريق واخرجه من حال العدم الى الوجود والتحقيق الخ . وأهمية هذا الكتاب (اولا) في طرافة موضوعه فانه يدل على ان العرب ما تركوا بابا من ابواب المعرفة والصنائع والفنون الا طرقوه (وثانيا) في الكلمات الفنية والعبارات الاصطلاحية التي تستعمل في هذه الصناعة المشحون بها الكتاب ثم كتاب في الصحة وأدائها للقاضي ابي العباس احمد بن الحسن ابن عرضون بنفس الخط المنسوخ به الكتاب الاول والثاني في هذا المجموع ، وتاريخه 1009 ثم شرح الاسماء الحسنى لزروق فالنصيحة له فالحزب الكبير للشاذلي فشرح السنوسى لحديث المعدة بيت الداء والحمية رأس الدوا فتفسير الفاتحة له وهذه الكتب كلها معروفة فتقايد في موضوعات مختلفة .

(21) ديوان المتنبي ، نسخة مرقبة على حرف المعجم بمقدمة للاديب ابي جمعة المراكشي الشهير بالماغوسي ، في بيان أهمية شعر المتنبي وما له من الاعتبار عند ملوك السعديين الذين كان الماغوسي من كتابهم الملحوظين ، ولذلك

قام على خدمته بهذا الترتيب وبإضافة ما أهمله غيره إليه . وفي الواقع ان النسخة قيمة جدا وبها زيادات مهمة من شعر المتنبي لا توجد بغيرها ، فضلا عما بهوامشها من التعاليق التي تعتمد تفسير بعض الالفاظ اللغوية او الدلالة على المعنى المراد او الاشارة الى مأخذ المتنبي للمعنى الذي يتضمنه البيت الخ . . وهي في مجلد وخطها مغربي جميل .

(22) كتاب الرحمة في الطب والحكمة للشيخ الفقيه امام الحكماء وشيخ الخطباء جمال الدين محمد المهدي الصنوبري ، وهو غير كتاب الرحمة المطبوع منسوباً للسيوطي فان هذا صغير ومرتب على ابواب خمسة وخال من كثير من التخريف المملوء به ذلك الكتاب المطبوع ، وهو بخط مغربي واضح في 100 صفحة بدون تاريخ ، ومعه في سفره كتاب طب العجم مما سال عنه كسرى من كان في مملكته من الاطباء ، يخرج في جزء صغير وهو بنفس الخط .

(23) كتاب الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالاندلس من شعراء المائة الثامنة للسان الدين بن الخطيب ، نسخة مغربية على جانب من الصحة مع ندرة النسخ الصحيحة من هذا الكتاب وخطها دقيق ولاتاريخ لها وهي تنفع في نشر الكتاب الذي طالما حاوله المعنون فلم يتهياً لهم .

هذا ما استطعنا وصفه مما استرعى انتباهنا من مخطوطات هذه المكتبة . وثم مخطوطات اخرى مذكورة في الفهرست الموقت للمكتبة وهي مما له اهمية بالنسبة الى موضوعاتها وإلى مؤلفيها ولكنها طلبناها فلم تكن موجودة بالمكتبة ، وما بقى من غير هذه وتلك التى وصفناها كله مما هو معروف ولا أهمية له في الجملة فتركنا الاستكثار به .

وقد كان لنا أن نكتفي بمخطوطات هاتين المكتبتين لانهما الوحيدتان اللتان تستحقان الذكر في تطوان ، ولكن الظروف المواتية جعلتنا نتقابل مع مكتبة اخرى تحتوي على مخطوطات مهمة وهي توجد الآن بتطوان مع صاحبها، على انه اذا انتقل عنها فلا بد ان تنتقل معه الى حيث انتقل او الى موطنها الاصلى وتلك هي مكتبة السيد اليزيد بن صالح حاكم تطوان اليوم .

والسيد اليزيد هو من ذرية الولي الصالح سيدي ابراهيم ابن صالح دفين قبيلة متبوة الريف ، واسلافه أهل علم وفضل وقد كونوا هذه المكتبة بطول المدة وتتابع العلماء فيهم ومركزها الاصلى بقرية ازغار من قبيلة بني رزين من ناحية غمارة . ويقول السيد اليزيد ان مخطوطاتها نحو الالف . وما يصحبه هنا في تطوان انما هو بعض نفائسها التي يخاف عليها من الضياع كما حصل له في كتاب الذخيرة لابن بسام الذي سرق منه

وبيع للمستشرق الفرنسي ليفي بروفنصال ، وهى النسخة التى حملها المستشرق المذكور الى مصر وكانت من النسخ التى جرى عليها طبع الكتاب هناك .

وعلى هذا فنحن بإزاء مكتبة ثالثة فى تطوان ، اناحتها لنا فرصة سعيدة وهى تولية السيد اليزيد بن صالح منصب الحاكم بهذه المدينة ، فلنصف ما وقع عليه اختيارنا من مخطوطاتها الموجودة هنا :

(1) ديوان مصباح، وهو شاعر مغربى من أهل القرن الثانى عشر اسمه علي بن أحمد بن قاسم بن موسى مصباح وبآخيه مجموعة من رسائله الادبية وهو بخط الشاعر نفسه وتاريخه سنة 1186 ومعه فى سفره شرح مختصر للامية العرب وشرح ابن مالك على قصيدته فى المقصور والممدود وتقييد لابن هشام اللخمى على ابيات ابن دريد فى المقصور والممدود ونصيحة الهلالى ونظم ابن غازي لنظائر الرسالة .

(2) ديوان الشعراء الستة ، فى مجلد بخط مغربى واضح وصحيح مع تعليقات مفيدة وزيادات مهمة بهوامشه، كاتبه يحيى ابن علي بن عبد الرحمن القيسى وتاريخه 549 والمقصود بالشعراء الستة امرؤ القيس، وعلقمة، والنابعة، وزهير وعنترة وطرفة ولشعر زهير فى الديوان روايتان ؛ الاولى للاصمعى

والثانية لابی عمرو والمفضل ومعلوم أن ديوان الستة كان له مقام ملحوظ فى الدراسة الادبية بالمغرب والاندلس ، ولا شك ان هذه النسخة قد مرت فى أيدي كثير من العلماء المحققين فهى لذلك مما يعتمد فى تحقيق شعر هؤلاء الشعراء وضبطه .

(3) الجزء السابع من كتاب النوادر لابن ابى زيد القيروانى وهو فى مجلد ضخيم بخط مغربى واضح ومبدها الدعوى فى الاموال بالخلطة ومنتهاه كتاب التفليس وقد سبق ذكر هذا الكتاب فى مخطوطات المسجد الاعظم .

(4) شرح مقصورة ابن دريد لناظمها. نسخة عتيقة فى مجلد تاريخها عام 706 وبآخره نظم فصيح ثغلب لمالك بن المرحل ، مطبوع معروف .

(5) كتاب المقتضب من التميز فى بيان اعتزال الزمخشري فى الكتاب العزيز، مجلد بخط مشرقى كان بي ملك الشيخ سليمان الحوات ثم صار للسيد الطيب ابن الطيب بن صالح أحد أسلاف صاحب المكتبة اليوم .

(6) مجموع به رحلة البلوي بخط مغربى دقيق تاريخه 819 ثم ديوان الحماسة مرتبا على حروف المعجم كان فى ملك ابن الونان الشاعر المغربى صاحب قصيدة الشمة مقمية ثم صار الى السيد الطيب المذكور ، ثم طرف من كتاب أنس السميز

قي نوازل الفرزدق وجريز، ذكر في آخره انه مقدمة الكتاب ومؤلفه كما يعلم من سياقه والاشعار المنسوبة فيه الى نفسه هو مصباح الشاعر الذي تقدم ذكر ديوانه ثم حاشية صغيرة على ديوان المتنبي في رد بعض الاعتراضات الموجهة الى شعره لم يذكر مؤلفها .

(7) مجموع به شرح زروق على المباحث الاصلية في التصوف ثم المقصد الشريف في ذكر صلحاء الريف ، كتاب في تراجم العلماء والصالحين بالناحية الريفية من المغرب الشمالى ، ثم كتاب المعزى في مناقب ابي يعزى . وهو احد صلحاء المغرب المشهورين فكتاب في الذكر وآدابه منزوع الورقة الاولى ، وكل هذه الكتب بخط السيد محمد بن الطيب بن صالح .

(8) كتاب الروض الانف للامام السهيلي شرح به سيرة ابن هشام ؛ كتاب مهم معروف طبعه السلطان الاسبق مولاي عبد الحفيظ ، وهذه النسخة عتيقة بخط يوسف بن محمد الزرهوني وتاريخها 974 .

(9) كتاب الاغانى لابي الفرج الاصبهاني ، نسخة أميرية ذكر السيد اليزيد انها تامة ، والذي رأيته منها عدة أجزاء وهي بخط مشرقى جميل وقد محي اسم الامير الذي نسخت له من الورقة الاولى من كل جزء وناسخها اسمه موسى بن هانيء المالكي بتاريخ 978 .

(10) الجزء السابع من كتاب البيان والتحصيل لابن رشد الذي سبق التنويه به ، عند ذكر الاجزاء الموجودة منه في مكتبة المسجد الاعظم وتاريخ هذا الجزء عام 1179 .

(11) كتاب زهر الاكم في الامثال والحكم لابي علي البوسى نسخة مضيوبة في غاية الصحة بخط علي مصباح الشاعر الذي تقدم ذكر ديوانه. نقلها مباشرة من نسخة بخط المؤلف، وأثبت ضبطه للكلمات بممداد أحمر ، وهذا الكتاب هو احدى حلقات السلسلة المؤلفة في شرح الامثال العربية من مثل كتاب الضبي وكتاب الميداني وغيرهما ويزيد بذكر الاشعار المناسبة لموضوع المثل والحكايات الادبية وغير ذلك من الفوائد مع النفس العالى الذي عرف به البوسى . وما أحراه بالطبع . تاريخ النسخة 1122 .

(12) مجموع به كتاب الكنايات والامثال للقاضى ابي العباس احمد بن محمد الجرجاني ، في مجلد بخط مغربى جيد ثم شرح الماغوسى ، الاديب المراكشى الذي تقدم ذكره ، على لامية العرب ، المسمى اتحاف ذوي الارب بمقاصد لامية العرب ثم منظومة من مجزو الرجز في علم المنطق للقاضى الاديب محمد بن الطاهر الهوارى الفاسى .

(13) شرح ابن السيد البطليوسى على ديوان سقط الزند للمعري مرتبا على الحروف في مجلد بخط اندلسى واضح

وصحيح تاريخه 569 مهم بالنسبة لمؤلفه ولكونه الفه لمن طلبه منه وذكر في طلبه انه قرأ ضوء السقط فلم يجده موفيا بالغرض.

14) ديوان ابن الخياط الدمشقي في مجلد وسط ، غير أنه ينقصه بعض الاوراق في أوله ، والنسخة صحيحة خطها مشرقى واضح ، في قالب صغير ولاتاريخ لها .

15) ديوان الشهاب التلعفري . في قالب الرباعي بخط مشرقى جميل وصحيح ، وهو جزء صغير وبه بئر في آخره فلذلك لايعرف تاريخه وبأوله هذه العبارة « الحمد لله هذا الديوان المبارك ؛ وهبه لي احمد بن عمر عرف بكنون الدوناسي الحميدي غفر الله لنا وله وكثر خيره آمين » .

هذا اختيارنا مما أحضره لنا السيد اليزيد من مخطوطات مكتبته الصالحية . وبه ينتهى وصف الكتب المخطوطة المهمة الموجودة الآن بتطوان .

ولا يخفى انه توجد هناك فى مكتبات بعض الافراد بعض المخطوطات التى يمكن ان تكون لها قيمة ولكننا لا يمكن ان نتكهن بها .

ولا ان ننخل جميع مكتبات الخاصة لنعرف ما بها من لباب وقشر ، وان كنا قد اعذرنا الا بسؤال بعض الافراد اصحاب المكتبات الخاصة ممن هم مظنة لان توجد عندهم بعض الاعلاق النفسية من هذا القبيل فنفوا أن يكون لديهم شئ مهم يستظهر

به في هذا الصدد وهذا أقصى ما يمكننا عمله لمعرفة ما في
الزوايا من الخبايا .

ونظن اننا بما قدمناه من وصف لمخطوطات المكتبات
الثلاث في تطوان قد حققنا رغبة معهد المخطوطات العربية
او بعض هذه الرغبة في التعرف الى ما في هذا الركن الصغير
من عالم العروبة، من بقايا ذلك التراث الذي يهتم به ويصونه
ليحيى به مجد العرب وتاريخهم العلمي .



النقد والقومية العربية

إذا كان لي من نظرة بعيدة أو قريبة القىها على هذا الموضوع ، فإنها نظرة مستوحاة من مغزى هذا الجمع الذي ينفي جميع الفوارق الاصطناعية بين أبناء العروبة على اختلاف بلدانهم وتباعد أنحائهم ، كما ينبغي أن ننفي نحن جميع الفوارق الاعتبارية بين آداب أقطارهم العديدة في الماضي والحاضر . ذلك أن الادب العربي وحدة لا تتجزأ في جميع بلادها ، بالمغرب والمشرق ، وفي الاندلس وصقلية المفقودتين . فلا نعود نذكر الادب الاندلسي ولا الادب العراقي ولا أدب غيرهما من الاقطار العربية سواء التي طوتها أحداث التاريخ أو التي بعثتها النهضة الحديثة . فإنما هو أدب واحد تشارك في إنتاجه بلاد متصل بعضها ببعض كانت في وقت ما ، محكومة بحاكم واحد . ولم تزل بعد استقلال بعضها عن بعض تحكم بقانون واحد ثم هي متشابهة في التكوين والخلق والمزاج . واللغة التي تعبر بها عن أفكارها وخواطرها وحاجاتها : واحدة . فكيف لا يكون لها أدب واحد ؟ وليس هذا فقط فالمعاني والافكار بل القوالب والاساليب هي نفسها التي يتداولها الجميع لان الرصيد الادبي

- التي هذا الخطاب في مؤتمر الادباء المنعقد بالقاهرة في دجنبر 1967

واللغوي معا تراث مشاع بين أبناء هذه الاقطار عليهم
ما طرف منه أو تلد ، وما قدم أو حدث ، كله معهود لديهم .
متعالم بينهم ، اليه يرجعون . ومنه ينفقون . فالتجاوب الفكري
بين الادباء في عصرنا ، هو ما كان عليه الحال ، عصر الجاهلية
في الجزيرة العربية : يتوافد الشعراء والخطباء والمقاول من
مختلف قبائل العرب ، الى عكاظ وغير عكاظ ، من الاسواق
والمواسم الادبية يتساجلون ويتبارون بالكلم البليغ الفصيح
تسير به الركبان وتحفظه الرواة ، كما يقع اليوم تماما بالقصيدة
من نظم شاعر مطبوع والمقالة من انشاء كاتب بليغ ، تنقلهما
الصحف السيارة فإذا بهما على كل لسان وبين يدي كل مثقف
من ابناء العروبة في اقطارها المختلفة . وكما كان أيضا فيما
بين عصر الجاهلية والعصر الحديث ينشد المتنبي أبيات ابن
عبد ربه التي يقول فيها :

يا لؤلؤا يسبي العقول أنيقا ورشا بتقطيع القلوب رفيقا
فيقول شاعر العربية الاكبر إيه يا ابن عبد ربه لقد تأتيتك
العراق حبوا .

ويؤلف ابو الفرج الاصفهاني كتابه (الاجاني) فيحمل من
حينه الى خليفة قرطبة ويجيزه عليه بألف دينار . فماذا يعنى هذا
الا ان الامة أمة واحدة وأدبها الذي هو مستمد من واقع حياتها

وتاريخها المشترك ومثلها العليا أدب واحد ليس بينه من خلاف
كالما الذي يخرج من نبع واحد لا يختلف الا فى ذوق المرضى
والمحرفين .

وهكذا رأينا أئمة الادب العربي فيما مضى يدرسون
هذا الادب ويخضعونه للبحث على أنه وحدة شاملة لا تفرقة
بينها ، فالجاحظ وابن قتيبة من المشرق وابن عبد ربه وابن
رشيق من المغرب، كلهم على هذا الرأي .

ومن ميز أدباء الاقطار كالثعالبي في البتيمة والعماد
الاصبهاني في الذخيرة فانما فعل ذلك لتمييز شخصياتهم لتمييز
أدبهم. فلما أخذنا نحن بدعة الوطنية الضيقة ومعها تاريخ الادب
حسب الاقطار والعصور، عن أوربا جعلنا نلتمس العلل والاسباب
لتمييز أدب كل قطر عربى عن أخيه ، ونفرده وان تنادى هو
بكل ما فيه أنه من بقية الآداب الاخرى في الصميم . وربما
كانت تلك الاسباب والعلل أوهى من خيط العنكبوت وربما
لم يتجه موجب الافراد للمفرد نفسه ، ولكن هكذا كتب تاريخ
الادب الفرنسى أو الايطالى أو الاسبانى فليكن تاريخ الادب
العربي كذلك على رغم أنف أبي ذر !

وفى امكان الاديب الحصيف الذي يستقل بالرأي ولا يكون
امعة فى الحكم أن يرجع الى أقوال بعض المفرقين ، والكتاب

فى مبرزات أدب بعض الاقطار العربية التى بها فيما يزعمون
يختلف عن أدب غيرها ، فانه يجدها من التهاافت والبطلان
بحيث لا تثبت لحظة أمام النظر والتحقيق وأنه ليجد بين
أديب وأديب من قطر واحد أكثر مما يجده بين أدب قطر
وقطر آخر من تمايز ولا نقول من خلاف .

وهناك قضية شكلية لها علاقة بالموضوع وهى هذا التقسيم
الى العصورالذي ينبغي ان يعاد فيه النظر كالتقسيم على الاقطار
لانه كذلك تقليد محض لمنهاج البحث فى الادب الاوربى ولعله
تقليد له فى العرض دون الجوهر . والا فليس بلازم ان يكون
لعصر الجاهلية أدب ولعصر صدر الاسلام أدب ولعصر الامويين
أدب ، وهكذا حتى تنتهى العصور . وتكون النتيجة تعصب
قوم لادب وآخرين لغبره مما لا يوحى به الا النزعات الاقليمية
وهى الى مذهب الشعوبية اقرب منها الى القومية العربية .

فالسياسة لا تؤثر هذا التأثير البليغ فى تكييف المذاهب
الادبية وهى بالفعل لم تؤثر فى أدب هذه العصور بما يجعله
يتمايز حتى يستقل عصر عن عصر ، ولقد كان أئمتنا الاولون
ادق نظرا وأقوم ميزانا حين جعلوا هذه العصور الثلاثة عصراً
واحدا ، واعتبروا نتاجها الادبى نتاجا عربيا اصيلا ، لا هجنة
فيه ولا اقراف . وذلك حين قرروا الاستشهاد به على قواعد

والامر وان كان يتعلق بالاحكام اللفظية والقوانين النحوية فانه يشمل المعانى والافكار ايضا لان العربى ، الذي بقي على سليقته ولم يؤثر الاختلاط في نفسه ، لا شك ان تصوره للاشياء والامور وطريقة أدائه لذلك التصور لم يختلف كثيرا في الاسلام عما كان عليه قبله ، اذا استثنينا ما يخص العقيدة الجديدة. ولذلك فنحن لا نجد فارقا كبيرا بين شعر الفرزدق من العصر الاموي وحسان بن ثابت من عصر صدر الاسلام وزهير بن ابى سلمى من عصر الجاهلية مثلا . أفلا يكون ذلك مما يرجح جعل هذه العصور الثلاثة في تاريخ الادب العربى عصراً واحداً يتميز بأنه العصر الذي بقيت فيه اللغة نقية لم تشب بما يكدر صفاءها من ناحية اللفظ ولا بما يكسف سناها من جهة المعنى .

وبعده يأتى العصر العباسى الاول فالثانى فعصر المماليك على ما اصطلح عليه مؤرخو الادب ونرى أن هذه العصور الثلاثة تكون أيضا عصرا واحدا هو عصر ازدهار الادب العربى بما أدخل عليه من معان وأفكار وأمثلة وصور وطرائق وأساليب لم يعرفها من قبل ، نظرا لاتساع دائرة المعارف العربية واستبحار العمران وانتشار الحضارة . واقد سمى النقاد الاولون أدب هذا العصر بالادب المولد، وسموا أدبائه بالادباء

المولدين . وهى تسمية لها حظ من النظر ، فإن توليد المعانى التى لم تكن معروفة عند العرب هو مما تميز به هذا العصر عن العصور التى قبله . والتسمية وإن كان يراد بها التتبع عند أئمة اللغة الذين لا يحتجون بمولد أي غير عربى سليقة ، فهى عند نقدة الادباء مما يشعر بالمدح للمعنى الذي أشرنا إليه وعلى كل حال فالعصر الثانى فى تاريخ الادب العربى هو الذي يبدأ بقيام الدولة العباسية وينتهى بعصر النهضة الحديثة . وليس ثم موجب قوي لتقسيم هذا العصر الى ثلاثة أقسام لان ما طرأ على اللغة فيه أو على الادب من تجدد واتساع لم يختص به القسم الاول دون الثانى . وأما الثالث فقد كان عهد وقوف وهو ذيل لا يعدو أن يكون من تنمة العصر نفسه .

يبقى بعد هذين عصر النهضة الحديثة وهو لا شك عصر نشطت فيه اللغة العربية من عقالها بعد ذلك الجمود الذي لازمها ، مدى قرنين أو ثلاثة من الزمان ، وتحللت الافكار وانتشرت المعارف والفنون ، واطلع أبناء العرب على آداب الامم الاخرى مما لم يتح لهم من قبل ، حتى في العصر العباسى ، فتعرفوا الى دنيا جديدة من سحر الشعراء وخيال الكتاب وفنون من القول لم يكن لهم بها المام كالقصة والمسرحية فلم يبق الامر محصورا في توليد معنى ولعب بلفظ ، ولكنه

صار تحليقاً في سما' الشعور وهيماناً في أودية الخيال . فتلقح
الادب العربي بلمحاح الآداب الحية واستوعب من الاحاسيس
والخلجات النفسية والقلبية ومن الخواطر والالتماعات الفكرية
والذهنية ما لم يسبق ان حام حوله أديب عربى . ولا عبر عنه
معبر بلغة العرب .

ومن العجيب ان هذه اللغة الخالدة التى تتسع اليوم لكل
الافكار الحديثة من فلسفية واجتماعية وعلمية وفنية وتؤديها
بكل وضوح ، هى هى بنفسها لغة عصر السليقة ، ولغة عصر
التوليد ، السابقين . فالاديب العربى فى هذا العصر يتغلغل فى
وصف اسرار النفس البشرية ، ويحلل مشاعرها العميقة ، حتى
يجسمها تجسيميا يوشك أن يلمس باليد ، ويغوص الى اعماق
القلوب يستخلص مكنوناتها الدفينة ، ويجلوها عواطف انسانية
تكاد تنبض بالحياة ، وهو فى ذلك كله لا يستعمل الا الكلمات
المعهودة ، والمفردات المعروفة ، لكل ناطق بالضاد منذ أن
فتق الله بها لسان يعرب بن قحطان . فما أشبه طاقة هذه
اللغة بطاقة الذرة التى كانت مذكورة فيها حتى قيض الله لها
من يكشف سرها فى هذا العصر . وقد اتسع المجال فى الادب
العربى الحديث بفضل اتصاله بالآداب العالمية لاكثر مما ذكر
فتكونت فيه مدارس ونشأت مذاهب وينتظر منه أن يؤدي

رسالة سامية للامة العربية وللانسانية جمعاء ولهذا فهو ما زال لم يستوف أغراضه في هذا العصر بل إن عصره هذا لم يزل في مبادئه .

ورسالة الادب العربي ، رسالة مقدسة يجب ألا تقتصر على الاغراض اللفظية ، ولا على المتعة الذهنية . ولا على المعاني الذاتية التي لا يشعر بها الا الاديب المتكلم نفسه ، انما رسالة! ومفهوم هذا اللفظ مما ينبغي الا يعزب عن البال ، فهو مهمة تقتضي الهدم والبناء والعمل الجماعي المؤدي الى الغاية التي أدت اليها رسالة النبيئين من قبل . غاية فتح الآذان الصم ، والاعين العمى ، والقلوب الغلف ، على دعوة الحق التي تنقذ البشرية من ضلالها الحديث ، كما أنقذتها بالامس من ضلالها القديم . وانها مقدسة : وليس المراد بهذا الوصف معناه الخيالي الذي يبتذله به الحالمون . وإنما المراد به الاكبار من شأن هذه الرسالة ، ذات المسؤولية العظمى ، التي لا يتحملها الا ابطال الكفاح من اجل القيم الانسانية العليا ، فهم المجاهدون الذين يزرى مداد اقلامهم بدم الشهداء .

ان واقع العالم العربي بما يصطخب فيه من التيارات الاجتماعية المتدافعة . وما يتخونه من الانجاهات السياسية المتأناة من مسيرته لتلك التيارات ، هو نفسه أول ما يجعلنا نعتقد أن

رسالة الادب لم تؤد كما يجب الى الجمهور العربي، حتى نجعله لا يستجيب لدعوة غير متفاعلة مع قوميته العربية مهما كان مصدرها . وهذا يحتم علينا أن نأخذ الامر بجذو، ومن الجسد أن نراجع النصوص الادبية في لغة الضاد لنتخير منها المادة الاساسية التي يمكن أن تدخل في بناء صرح الادب العربي وعلينا أن نعني باللب دون القشر، وأن يكون اهتمامنا بالمعاني والمقاصد لا بالالفاظ والقوالب، فإن مما درجنا عليه أن ندرس الادب للمتعة لا للتوجيه . وأن نعجب بالصنع الكلامية ولا نحفل بما تتضمنه من دلالات معنوية ، وقد آن لنا أن نسقط من الادب العربي كل نص لا يؤدي مهمة في تثقيف فكر أو تغذية عاطفة أو بعث روح في شبابنا الطموح ومن ذلك أدب المجون والاستجداء والحيل اللفظية المسماة بالمحسنات البديعية ، ثم نعوضها بالنصوص الهادفة التي أهملنا كثيرا منها حتى بقي أدبنا ضاويا يشكو فقر الدم . . وكما كان تقسيمنا للادب بحسب الاقاليم والعصور جنائية على وحدته، كذلك كان اعتبارنا للادب صناعة لفظية وزخرفة كلامية ، جنائية على رسالته، فأعظم النصوص الادبية في اللغة العربية وهو القرآن لا يعد في مادة الادب عند كثيرين . . والطريقة التي ندرس بها هذا النص هي كما نعرفون جميعا تبين الآثار التي تركها في الادب من حيث التعبير والاسلوب فحسب. وأما دراسته هو دراسة موضوعية

على الأقل كما ندرس ديوان الحماسة أو رسائل البديع مثلاً فهذا ما لايهتم به أحد . وإلا فأين هو هذا الكتاب في أدب العرب الذي يعرض ولو سورة واحدة من القرآن ، ولتكن سورة يوسف مثلاً ، ولو على أنها قصة : في نماذجه الادبية ؟

ومثل هذا يقال في الحديث الشريف ؛ هذا الكنز الثمين الذي لا يكسبنا بلاغة وثروة كلامية فحسب ، وإنما يكسبنا ثقافته فكرية وخلقية ويزيدنا ايماناً بالقومية العربية التي أدت للانسانية رسالة اصلاحية عز لها النظر . . وتأتي بعد ذلك كتب عديدة في الفقه ، والكلام ، والتصوف ، نبعدها عن حظيرة الادب وهي تحتوي على فصول من أقوى ما كتب في الدفاع عن عقيدة ، أو تقرير حكم ، أو تحليل خاطر نفسي ، وان الفصل الواحد منها ليفيد في اثارة العقل وتلقين الحجة أضعاف ما تفيده كثير من الرسائل المتكلفة والقصائد المزبقة . وتأتي كتب التاريخ والرحلات وفيها من العبر والدروس ما لا يصح للمفرد العربي أن يجهله ، لان جهله هو الذي يبقيه على هذه الحالة من الرضا والاستسلام .

والخلاصة أن أدبنا لم تكن له رسالة يعنى بها في الدرجة الاولى الا رسالة اقامة الالسنه وشحذ الاذهان فلذلك لم يعن

بهذه الآثار القيمة ولم يدرسها دراسة المتنخل لها المتعرف
لدخائلها . فنحن اذا اردنا أن نجعل من أدبنا أدبا حيا ذا
رسالة سامية فلا بد لنا من اعادة النظر فى مواده وأصوله
وترتيبها على حسب المقاصد والاعراض مجسمين منها كل
ما له دلالة تطويرية ودعوة تحررية وموضحين للأجيال الناشئة
أهداف الرسالة الانسانية التي يقوم الادب العربي على حفظها
ورعايتها وهداية البشر الى ما فيها من خير وسلام ، ومعرفة
وإيمان .

المغرب فى حلى المغرب

لابن سعيد المغربي

حققه وعلق عليه الدكتور شوقي ضيف

I

هذا الكتاب هو من أمهات كتب الادب والتراجم التي خلفها الاندلسيون وقد تعاقب على تصنيفه في مدة مائة وخمس عشرة سنة ستة أعلام من أهل الاندلس: أبو محمد الحجاري وأبناء سعيد الخمسة : عبد الملك وولداه احمد ومحمد فموسى بن محمد ثم علي بن موسى الذي هو في الحقيقة جامع شتاته وفاظم درره .

وأهمية هذا الكتاب في التعرف إلى أدب المغرب والاندلس لا تخفى على أحد ممن يعاني هذه المباحث بحيث يصح وضعه في مقابل المجموعة الكبيرة من الكتب المؤلفة في هذا الصدد والتي تشمل الحقائق لابن فرج الجياني والبديع لابي الوليد حبيب وقلائد العقيان ومطمح الانفس للفتح بن خافان والذخيرة لابن بسام وزاد المسافر لصفوان بن ادريس وتحفة القادم لابن الابار وغيرها لان هذه المؤلفات انما تتناول أدباء العصور التي ألفت فيها على حين أن المغرب يتضمنها جميعا ويزيد عليها

بمن روى عنهم وعاصروهم إلى أواخر القرن السابع اعني الى وفاة علي بن موسى آخر المؤلفين للكتاب .

وكان المغرب من نفائس الاعلاق التي تدخرها دار الكتب المصرية وتنفرد بها فلم نكن نعرف له وجودا هنا في خزائن المغرب ولا في مكاتب اسبانيا وهي مظنة وجوده والبلاد التي الف في ادبها وتراجم ابنائها . وغايه ما كنا نعرفه منه هذه النقول التي تصادفنا في الكتب التي استمدت منه وخاصة نفح الطيب للمقري .

ولقد اطلعت على نسخة منه مأخوذة بالآلة الكاتبة عن نسخة دار الكتب المصرية منذ نحو سبع سنوات عند الاديب المصري الاستاذ عبد العزيز الاهواني وكنت لقيته بالاسكوريال من اسبانيا فتصفحتها ونقلت منها بعض الفوائد وهناك تمنيت ان لو قبض الله له ادبيا معنا بهذه الاثار القيمة فعمل على نشره وتحقيقه وقلت للاستاذ الاهواني : ومن له غيرك ؟

وحقيقة فان هذا النص الادبي النفيس يجب ان يتوفر ناشره على ثقافة ادبية واسعة وان يكون مطلعا على ادبيات المغرب وتراجم رجاله فضلا عن الثقافة العامة التي يلزم ان يتحقق بها كل ناشر ،

ولحسن الحظ فقد اتبع له ناشر من الطبقة الرفيعة من

ادبا" مصر هو الدكتور شوقي ضيف المعروف بأبحاثه الادبية القيمة وآثاره الطائلة فى عالم التأليف والنشر ولقد سلك فى تحقيقه والتعليق عليه الطريقة العلمية التى هو بها قمن ، فقام اولا بإعداد النص الكامل للكتاب وكان ينقص مخطوطته التى توجد بدار الكتب قطعة مهمة وقع العثور عليها مؤخرا بمكتبة فى احدى القرى المصرية ، وذلك فضلا عن اضطراب اوراق المخطوطة وعدم تنظيمها كما يجب ، فعمل الناشر الفاضل على الحاق القطعة المذكورة بمكانها وترتيب اوراقها الترتيب اللازم . ثم اخذ فى مقابلة النصوص الادبية والتاريخية بالمراجع والمطان العديدة التى ذكرها فى مقدمته واستعان كثيرا فى هذا الصدد بنفح الطيب الذى يعد المغرب من مصادره المهمة وقد صحح بهذه المقابلة كثيرا من الخطأ الذى كان يوجد فى نص المخطوطة وكمل النقص ونسق الكتاب على الترتيب الذى وضعه عليه المؤلف مستدلا فى الترتيب خاصة بالفهارس التى توجد بآخر المخطوطة .

وبعد ذلك جاء دور الضبط والتعليق فضبط الكتاب كله بالشكل التام ، وعلق عليه تعليقات مفيدة جدا ؛ منها ما هو من قبيل اختلاف النسخ بحسب الاصول التى اعتمدها فى المقابلة والنصحیح ، ومنها ما هو شرح لبعض الكلمات اللغوية والمعاني

الخفية في الاشعار او الاسجاع التي يتضمنها الكتاب ، ومنها تراجم للأشخاص المذكورين في الكتاب أو إشارة الى المراجع التي ترجمتهم ؛ تعين الراغب في التوسع واستكمال معلوماته في هذه الناحية ، وهو يذكرها بالجزء والصفحة إن كان الكتاب المرجع مطبوعا وبالورقة إن كان مخطوطا مع ذكر مكان وجوده طبعا .

ولعل هذه الخطة هي أكمل خطة في نشر نص من قبيل كتاب المغرب له أهمية تاريخية وأدبية ، والتعليق التاريخي لاكمال التعريف بالشخص أو الحادث الذي لم يستتم المؤلف الكلام عليه . والتعليق الادبية اما لتصحيح النص أو تفسير بعض الغموض الواقع فيه. من غير توغل في ذلك ولا إكثار، بنقل ما قالته المعاجم اللغوية في اللفظ او قررته كتب القواعد في التركيب، لان ذلك يخرج عن حد التعليق الى الشرح المبسط الذي يكون قرا' هذه الكتب غالبا في غنى عنه .

ولقد صدر الناشر الكتاب بمقدمة ومدخل يقعان في أكثر من 30 صفحة تحدث فيهما عن الكتاب ومؤلفه وفكرة نشره والطريقة التي اتبعها في تحقيقه ، وألم إلماما طيبا بتاريخ الشعر الاندلسي او قل المغربي والكتب المصادر التي يرجع إليها فيه ، وهكذا لم يقدم الكتاب غفلا من التعريف بل لم

يترك شاذة ولا فائدة مما يتعلق بالموضوع الا احاط بها وأشار إليها
واني لا اکتتم شعوري في اعجابي بعمله وتقديرى لجهوده
وقد كنت اعتقد ان هذه الکتب المغربية قلما يتمكن من
خدمتها غير مغربى - والآن يقترب أبناء العروبة بعضهم من
بعض ويعودون كما كانوا اسرة واحدة فلا يجهل المغربى أحوال
اخيه المشرقى ولا يخفى على المشرقى أمر من أمور اخيه المغربى
ولاسيما اذا كان الامر متعلقا بهذا التراث الادبى الضخم الذى يعد
مفخرة للجميع والذى يجب ان تتضافر جهود الجميع على ابرازه
من العدم الى الوجود وتجليته للناس على منصة الفخار .

وبرغم ان تحقيق الکتاب وضبطه قد بلغا الغاية الممكنة
من التحري والاعتناء فان هناك هنوات لا يسلم من مثلها کتاب
وهفوات لا يخلو من نظيرها كاتب وإنى لما انشده من التعاون
على نفى الغبار عن آثار اسلافنا الكرام وعرض انتاجهم الخصب
بالمظهر اللائق به من التحرير والاتقان أحب ان انبه عليها
وأرجو ان تقع من حضرة الدكتور موضعها حتى اذا نشر
(المغرب) في طبعة ثانية قريباً ان شاء الله اخذ بها او بما كان
منها صواباً اذ ما ابري نفسي من الخطأ أيضاً .

فمن ذلك أنه في أول الصفحة 20 من المقدمة وقع اسم
ابن زاکور بالذال المعجمة بدل الزاي وهو خطأ مطبعي في

الغالب لان اسم هذا الاديب قد جاء في أثناء الكتاب¹ على الوجه الصحيح ولكن بما أن القاريء قد يشتبه عليه الامر ولا يدري أيهما الصواب وجب التنبيه عليه هنا .

وكذلك ابن الشر ضبط في ص 47 بفتح الشين وكسر الميم على وزن كتف وفي ص 50 ترك بغير ضبط ولما جاءت ترجمته في ص 124 - 127 ضبط بسكون الميم وقد ذكرر اسمه في الترجمة وضبطه كذلك واظن هذا هو الصواب فيه فكان الاولى ضبطه من اول وهلة بهذا الضبط .

وفي صفحة 58 يقول المؤلف وهو يترجم لبعض الزهاد : (وكان أكثر دهره مفكرا وجهه على ركبته ثم يرفع رأسه فيقول : أي وحله) وقد علق الناشر الفاضل على هذه الكلمة بقوله - هكذا في الاصل - وهي عبارة تقتضي التخطئة او التوقف وأرى أن العبارة منسجمة مع حال الرجل التي وصفها المؤلف فهو يفكر في الحياة والمصير ويطرق ويطبل التفكير وحين يرفع رأسه يقول : اي وحلة : بفتح الهمزة وتشديد الياء يعني اي ورطة هذه التي وقع فيها الانسان أو بكسر الهمزة وسكون الياء بمعنى نعم أي أجل ا هي ورطة ا والمعنى على القسم وان لم يذكر في اللفظ . وعلى كل حال فوحلة اسم للمرة من وحل يحل اذا وقع في الوحل وهو الطين .

ويتوسع فى معناه فيستعار للوقوع فى الورطات التى لاتخلص منها .

وفى صفحة 78 وردت هذه الابيات فى ملبح سرح من حبس :

صفح السرار عن القمر وبدا وقد كان استتر
كتب السرور لناظري لما رآه قد ظهر
هذا امان للجفو ن من المدامع والسهر
وقد شكلت كلها على الوجه الصواب الاكلمة السرور
فانها جاءت منصوبة وحقها الرفع لانها فاعل كتب ويحق وضع
نقطتين بعد لفظ ظهر فى آخر البيت الثانى لان ما بعده هو
المكتوب فيدل على ذلك بالنقطتين المذكورتين على ما اصطلاح
عليه اهل الاملاء الحديث .

وفى ص 81 ثلاثة ابيات اولها :

ولرب حان قد ادرت بديره خمرالصبا مزجت بصفو خموره

وقد علق الناشر الفاضل على لفظة حان بما يلى :
«حان : خمار او الحانة نفسها . وفى الذخيرة : خان بالحاء
ولا معنى لها، ويظهر لنا ان ما فى الذخيرة هو الصواب لان
المراد بالخان النزل والفندق وهو قد يكون له دير فيه رهبان
وفيه خمر فاوى اليه الشاعر على عاداتهم واما الحان فما عهد

ان يكون فيه دير وليس ذلك من شأنه :

وفى صفحة 84 وقع هذا البيت :

كأن هامته والريح يحملها غراب بين على بان النقا نعقا

هكذا جاءت كلمة الريح بالراء والياء والجيم ولا معنى لها.

وظاهر ان البيت فى وصف رأس مقطوع محمول على رمح

والرمح يسمى الزج بضم الزاي وتشديد الجيم فصواب البيت

حينئذ ان يقال : كأن هامته والزج يحملها ..

وفى صفحة 89 فصل فى ذم مؤاخ . وقد جاء فيه : « بيض

الانوق من رفده امكن ، وضبط لفظ الانوق بفتح الهمة وسكون

النون وضم الواو وهو الانوق بضم النون وسكون الواو للعقاب

الطائر المعروف ويضرب به المثل فى العزة فيقال هو اعز من

بيض الانوق لان العقاب تضع بيضها فى شواهد الجبال فلا

يوجد اليه سبيل :

وفى ص 91 جاء هذا البيت :

ددت ريح الصبا لؤلؤه فانبرى يوقد عنه سرجا

وضبط الصبا بالكسر وهو خطأ مطبعى لا شك فيه . لان

الصبا : الريح الشرقية . مفتوحة الصاد .

وفى صفحة 107 شعر فى المجينات منه :

هات النى ان قربت جمرة فهي على الاحشاء كالما

وقربت مبني للمفعول فجمرة ينبغي أن يكون منصوبا
على الحال لامرفوعا كما وقع في الطبع . وقد جاء بعد هذا
البيت :

وكلمنا عض بها لائم تبسمت عن ثغر حسناء
ولا يخفى أن لائم مصحفة عن لائم .
وفي الصفحة نفسها أورد المؤلف بيتين في قضيبي آس
وصل الى الشاعر من محبوه . وثاني البيتين هو هذا :
أتى كاسمه آس لما بى من الجوى
فحل حلول السعد والمال واليمن

وقد كتب الناشر الفاضل على كلمة آس قوله : « هكذا
في الاصل ، فان كان يعنى أن حققها النصب اي أن يقول
الشاعر أتى كاسمه آسيا فذاك . وإلا فلا موجب لهذا التعليق
على أن النصب في الكلمة ليس ضربة لازب إذ لا يمتنع توجيه
رفعه بحسب القواعد . وقد يقال انه باق على نصبه وأجرى
الوصل مجرى الوقف .

وفي ص 116 قطعة شعرية منها هذا البيت :

أو ما ترى أوتارها قصد القنا وحيالهن ذوائب الفرسان
وهو يصف خيام قوم محاربين وقد وقع ضبط كلمة قصد
بفتح فسكون . ويظهر لى أن الصواب كسر القاف مع فتح

الصاد فانه يقال رمح قصد بوزن كتف وقصيد بمعنى متكسر
والرماح بينهم قصد بكسر ففتح وعلى هذا يفسر البيت .

وفي ص 122 فقرة نصها : « زفتها بنت ليلتها عذراء .
وجلوتها عليك كريمة فكرها حسناء » وعلق على فكرها بقوله في
هامش الذخيرة : « فكرتها » وأياً كان فان كريمة مضافة الى ما
بعدها وقد جاءت في الطبع منونة وهو ولا شك خطأ مطبعي .
وفي ص 188 وردت هذه العبارة : « وفي ابن حفص
المتقدم الذكر يقول ، وصوابها : « وفي ابي حفص ، على مانعطيها
الاشارة الى المذكور قبلها .

وفي ص 148 ورد هذا البيت :

ولادة قد صرت ولاده من دون بعل فضح الكانم
وقد ضبطت ولادة في أوله بضمة واحدة وحقها التنوين
محافظة على الوزن وان خولفت قاعدة ندا' المفرد العلم . وقد
ورد مثله منونا في شواهد العربية كما هو معلوم .

وفي صفحة 145 وقعت هذه العبارة في وصف قاض :
« وكان يدخل المسجد وعليه رداء معصفر وحذا' صرار ، وضبط
صرار بكسر الصاد وفتح الراء مع التخفيف وأظن أن صوابها
فتح الصاد وتشديد الراء بصيغة المبالغة .

وفي ص 158 وردت هذه العبارة والكلام على أحد القفاة

«ومدار فتياه على بقي وعبيد الله بن يحيى، وقد ضبط اسم بقي بشدة على الياء وفوقها فتحة ولا يخفى أن الصواب في ضبطه العكسر والتنوين مع التشديد ان كان أصله الصفة والفتح فقط بدون تشديد إن كان أصله الفعل .

وفي ص 159 وهي خاصة بترجمة القاضى أبي الوليد يونس بن عبد الله بن الصغار من بني مغيث ما نصه : واستخلف على القضاء ابنه مغيث بن محمد، ولا يصح هذا وقد علم أن اسم والده يونس فيجب التحقق منه .

وفي ص 162 فى ذكر أحد القضاة: «وهو مقيم على حاله الى وقت املاء هذا الكتاب وقد نيف على الثمانين . حسن البقية» وضبط حسن بضم الحاء وسكون السين وعل الصواب فتح الحاء والسين معا .

وفي ص 168 زجل لابن قزمان منه هذا الشطر : « قد حط فيه السيف خطأ لا يفهم، بالحاء المهملة في الفعل والمصدر ولا يخفى أن المقام للحاء لا للحاء لان المراد تشبيه أثر السيف بالكتابة وهي الخط . وبدون ريب هذا خطأ مطبعي .

وفي الصفحة التي تليها في زجل آخر للمذكور هذا البيت :

والرياض تلبس غلالا من نبات فحل زمرد

وضبط لفظ فعل بفتح الفاء وسكون الحاء ولا معنى للمفعل
هنا وإنما المراد ان النبات (فى حال) الزمرد يشبه به فى حسن
خضرته وجمال نضرته فضبط فعل بسكون الفاء وفتح الحاء
ولا زال هذا اللفظ مستعملاً عندنا فى العامى بهذا المعنى فهو
من قبيل النحت فى الفصح .

وفى ص 170 بيت من زجل له أيضاً هو هذا :

ونجوم السعد تطلع ونوار اليمن تفتح

وضبط تفتح بفتح التاء الثانية مع التخفيف وأرى تشديدها
فيكون بصيغة الماضى لان النوار مذكر فى العامى والفصح
فاذا لم تشدد التاء الثانية وجب رد تفتح الى يفتح .

وفى ص 188 ورد هذا البيت لعبد الله بن الناصر .

أذاك تعبيري ولما يحل منى على أضغاث أحلام

وكان شاعر أهدى اليه ياسميناً أبيض وأصفر مع شعر

يقول فيه :

من ياسمين كالنجوم تبرجت بيضاً وصفراً . والسماح يعبر

فكان تعبيري هذا الامير ان أجاز به بدراهم ودنانير ولم يحل

على أضغاث الاحلام . فيحل حينئذ بضم الياء وكسر الحاء من

أحال الرباعى الذى مصدره الاحالة والاسم منه الحوالة لا من

حال يحول كما ضبطه الناشر الفاضل .

وفى ص 201 لغز فى المبخرة وهو هذا :

وجائمة لها ابن مستطار يفارق جسمه عند افتراق
 ولم أر قبله من ذي نعيم يحرق جسمه والروح باق
 إذا صاحبتة لم يبد شخصا ولا يخفى عليك لدى التلاقي
 ويظهر لي أن صواب عجز البيت الاول : «يفارق جسمه
 عند احتراق». فالفاء واقعة مكان حاء والا فتعبير «يفارق جسمه
 عند افتراق» لا طائل تحته والتصويب وإن كان يؤدي الى هذا
 المعنى أيضا فإن فيه تفننا في اللفظ مع موافقته للصورة التي
 تضمنها البيت الثاني هل أن هذا البيت لا يعدو أن يكون مفسرا
 للاول .

ثم إن يحرق في الكتاب وقع ضبطه بصيغة المبنى للفاعل
 والصواب ضبطه بفتح الراء على المبنى للمفعول. كما أن التلاقي
 كتبت بدون يا والصواب اثباتها .

وفي صفحة 203 هذا البيت :

رجعت على رغم الوفا الى الصبر كما صبر الظمان في البلد القفر
 وقد ضبطت فيه كلمة صبر بكسر الباء والصواب فتحها
 وهو غلط مطبعي لاشك .

وفي ص 221 وقع هذا البيت من قطعة :

هذا هو الليل البهيم بدا على القمر المنير
 هكذا بوضع الميم من كلمة البهيم في حيز الشطر الاول

وبضبطها بالسكون والصواب رفعها وجعلها فى مبدأ الشطر
الثانى ليستقيم البيت .

وفى صفحة 267 موشحة منها هذا السمت :

مثل حالى حقه أن يشتكى كمد اليأس وذال الطمع
وقد وقع شكل يشتكى بفتح الياء وكسر الكاف والصواب
ضم الياء وفتح الكاف لتنسجم العروض مع نظائرها فى السموط
الآخرى . وظننت أولا أنها غلطة مطبعية فإذا بى أرى كمد
وذال فى العجز منصوبتين وحقهما الرفع .

وفى ص 281 زجل منه هذا الشطر :

وانا ذاب نحسوها ليل نهار .

وقد ضبط فيه إنا بكسر الهمزة وتشديد النون وأثبتت
ذا بلسقتها وهى معجمة وب مكسورة بازاء نحسوها ولعل الناشر
الفاضل تصورهما مثل هذه الباء المصرية التى تدخل على الفعل
المضارع فى درج الكلام . والذي يظهر لى أن يضبط انا بفتح
الهمزة والنون مخففا على صورة ضمير المتكلم وحده وداب
كلمة واحدة بدال مهملة وباء مفتوحة أصلها دأبا ثم خففت
بتسهيل الهمزة وحذف الالف وكذلك نستعملها فى اللفظ العامى
والمراد على كل حال معناها اللغوي وهو الاستمرار والعادة
والشأن أى وانا شأنى وعادنى او على الاستمرار نحسوها ليل

نهار . ولا يعكس علينا كون الفعل - نحسوها - مفتوحا بنون المتكلم ومعه غيره لانه كذلك يستعمل في العامي حالة الافراد والجمع فيقال انا نكتب وانا نقرأ وهكذا .

ويصح كسر الباء من كلمة دأبي أي عادتني كما لا يخفى على الاستعمال الفصح فيكون التقدير وأنا دأبي أي عادتني نحسوها ، ولكن عدم همز الالف وحذف الباء التي بعد الباء يرجع ان أصلها كان دأب بفتح الباء كما قلنا أي صيرها مثل

مكة في قصد حبيب الشعراء اليها
وفي ص 288 زجل جاء فيه :

قاضي يعطي عطية الامرا
رد غرناطة مكة الشعرا

وضبط رد بضم الراء وسكون الدال بدون تشديد ومكة بكسر التاء المربوطة والصواب فتح الراء من رد وتشديد الدال على صيغة الماضي وفتح تاء مكة على انه مفعول رد الثاني أو تسكينها جريا على الاصطلاح العامي ، للتخفيف .

وفي ص 300 زجل يقول صاحبه فيه :

حبيب إياك تبعد عن عيني
فاني بعدك يولد حيني

وقد ضبط فعل يولد بضم الباء وفتح اللام وتركبت كلمة بعدك بدون ضبط وهي ان قرأتها بفتح الباء فكانت ظرفا هزل

المعنى وتفه وان قرأتها بضم الباء وهو الواجب كان يولد بضبطه المذكور لارتباط بينه وبينها . والصواب ضبطه بتشديد اللام على صيغة المبني للمفاعل ويكون هو الخبر عن بعدك

وفي صفحة 305 بيتان في تفاحة :

تفاحة بت بها ليلتي أبثها سري والشكوى

أضما معتنقا لاثما اذ ذكرت سرة من أهوى

وعلق الناشر الفاضل على اذ ذكرت بقوله : « في نفح

الطيب اذا وهو تحريف ، ولا تحريف فيه اذا قرئت اذ بسكون

الذال وجعلت الالف من الفعل فعمزت وفتحت وسكن ذال الفعل

وخفت كانه فكان أذ كرت .

وفي ص 818 وقع هذا البيت من قطعة :

تبين فقد وضع المعلم وبان لك الامر لو تفهم

وضبط فيه المعلم بضم الميم والصواب فتحها لان المراد

واحد المعالم وهي المعاهد وأمارات الطريق بخلاف المعلم

المضموم الميم فانه من أعلم الشيء جعل له علما والثوب المعلم

المخطط أو المطرز وذلك هو علمه .

وفي ص 844 : « وألقت بمسقط الرأس جرائها ، وضبط

الناشر الفاضل كلمة مسقط بفتح القاف . والمفعول بالفتح للمكان

من سقط صحيح قياسا ولكنهم لم يذكروا مسقط الرأس الا

بالكسر فلعلهم خصوه بذلك والسماع فى هذا الباب اولى كما هو معروف .

وفى ص 349 : «وكان له فيها مقام محمود» بضم الميم من مقام وأظن ان الاولى فتحها لان المراد بالمقام هنا المنزلة والمكانة لا الاقامة والنزول .

وفى ص 355 : «الى أن انتهوا به منقطع اثره بقرية بلده» وعلق الناشر الفاضل على قوله بقرية بلده فقال : «وفى الذخيرة بتربة . وهو تحريف» . وأظن أن الصواب هو ما فى الذخيرة لان بلده هي القرية فإضافة القرية إليها من إضافة الشيء الى نفسه بخلاف التربة فان فيها مغايرة وقد درجوا على استعمال التربة فى هذا المعنى فلا موجب لانكاره . قال الشاعر :

بلاد بها نيطت على تمائمي وأول أرض مس جلدي ترابها

وفى ص 365 : «وليس يحمد قبل النضج بحران» وقد ضبط يحمد بفتح الياء مبنيًا للفاعل وعلق الناشر الفاضل على بحران بقوله : «البحران الجائع» ولا يخفى ما فيه . وهذا مثل ضربه صالح بن عبد القدوس فى قصيدته النونية المشهورة إذ يقول :

فلا تكن عجلاً فى الامر تطلبه

فليس يحمد قبل النضج بحران

فيحمد بصيغة المبني للنائب والبحران من الاصطلاحات

الصبيّة يراد بها ما يطرأ على البدن دفعة من التهيج حالة المرض . قال الشيخ داود الانطاكي في كتابه التذكرة¹ واحده ما وقع بعد النضج - وقال في كتابه «النزهة»² : والمراد بالنضج اعتدال الخاط فليعرف .

وفي ص 410 عند ذكر تقسيمات مملكة لشبونة وقع ضبط النسرين بفتح النون وكذلك في صفحة 417 والمعروف أنه بالكسر فليُنظر .

وفي ص 413 : وقع هذا البيت :

عيرتنى بسقام وضنى ان هذين لزين العاشقين

بصيغة الخطاب للأنثى أي بسكون الراء وكسر التاء من عيرتنى وهو كذلك لا يتزن فالصواب فتح الراء وسكون التاء وربما كان هذا الخطأ من المطبعة .

وفي صفحة 418 : «ومن نشره في كتاب الذخيرة (ما) يدل على طبقته، وما هذه التى بين المعقفين من زيادة الناشر ما يظهر ولا داعي لها وليقرأ يدل بالبنا للمفعول .
وفي الصفحة التالية لهذه شعر منه :

أما الرياض فانهن عرائس لم يحتجبين حذارعين الكالي

(1) ص 45 ، ج ني ، المطبعة الازهرية بمصر

(2) النزهة المبهجة . بهامش التذكرة ص 46 ، ج ني

جاد الربيع لها بنقد مهورها دفعا ولم يبخل بوزن الكالي

وقد فسر الفاضل الكالي من البيت الاول بالمراقب وأصاب
وفسره في البيت الثاني بقوله: «الكالي هنا من كلا: مقلوب كال،
فأبعد النجمة وانما هو من كلاً الدين اذا تأخر دفعه فهو كالي»
وكان الاصمعي لا يهزمه . وبكثر استعمال هذه الكلمة بين
الموثقين خصوصاً في عقود الزواج فيقولون في الصداق: جملته
ما بين نقد وكاليء: كذا وكذا وذلك لانه يستحب تأخير جزء من
الصداق الى ما بعد الدخول على قول العلماء .

هذه هي جملة الملاحظات التي عنت لنا أثناء مطالعة
الكتاب وأمكننا التنبيه عليها وبقيت ملاحظات آخر
لم تتمكن من تحقيقها لانا بحال هجرة وكتبنا ليست معنا .
وأهم هذه الملاحظات ما كانت له علاقة بالتاريخ وتحقيق
شخصية ما كهذا (الهدورة) بالباء الموحدة المذكور في صفحة
171 فقد وقع في وهمنا أنه ربما تصحف عن الهمزة بـياء
المثناة والهمزة في العامية المغربية اسم لجلد الخروف الذي
يتخذ للجلوس والشخص بما وصف به من شذوذ جنسي ربما
كان لقبه هذا لقوة الشبه بينه وبين جلد الخروف في الاستعمال
ولكننا الان لانجزم بشيء في هذا الاسم لا سيما والاسماء

لا تعمل كما يقولون .

و ثم من الملاحظات ما لم نعره اهتماما كبيرا وهو ما يتعلق بضبط الازجال فان كثيرا من هذا الضبط مخالف للنطق العامي في المغرب الذي يتشابه مع ما كان عليه في الاندلس ولكننا رأينا أن التعلق بذلك من التعمق الذي لافائدة فيه خصوصا والناشر الفاضل اذا عدل عن الوجه العامي في ذلك فانه يقرب من الوجه الفصيح .

وختاماً لقد رأى القاريء العزيز أن هذه الملاحظات منها ما نشأ عن خطأ مطبعي ومنها ما كان سببه السهو فقط ومنها ما يتعلق بنطق جهوي خاص فجميعها ليس فيه غضاضة على الكتاب وتحقيقه . وانا قبلها وبعدها لنبيدي إعجابنا بحضرة الدكتور ضيف الذي استطاع أن يخرج هذا الاثر النفيس بهذه العناية الكاملة التي قل من يضطلع بها من بين الناشرين المحققين وإنا لنهنئه من صميم الفؤاد على توفيقه ونجاحه .

II

كنت قبل هذا بمدة ، كتبت تقریظا نقديا للجزء الاول من هذا الكتاب القيم ، الذي نشره الاستاذ المحقق الدكتور شوقي ضيف . ونوهت بعمله العظيم ، وأشارت الى بعض المآخذ وعلى التحقيق بعض الكلمات التي خالف رأيي رأييه في قراءتها أو هو لم ينتبه الى تصحيحها . من غير أن أغفل مطلقا عن الاعتراف بمجهوده الجبار الذي أخرج به ذلك النص المهم في حلة قشيبة من التحقيق والضبط والتعليق تعجز الكثير من أئمة هذا الشأن .

وغبرت مدة اقتنيت فيها الجزء الثاني . وكنت متشوقا لظهوره . ولكني لم أستطع قراءته متمليا مستفيدا ، لما كنت منهمكا فيه من الاعمال والتبعات . حتى أمكنتني الفرصة الآن وقد تخففت من تلك الاعباء الثقالة ، فكان هو من أول الكتب التي سارعت الى منادمتها والاستمتاع بها . ولا أكذب القاريء أنني زدت إعجابا وتقديرا لعمل الدكتور الفاضل فلا أدري أكان عمله في هذا الجزء أكثر تدقيقا منه في الجزء الاول أم أن تجربة ثلاث سنين¹ وخبرتها هما اللتان جعلتاني أقدر

(1) نشر تقریظ الجزء الاول في ج 4 من مج 29 من مجلة المجمع العلمي العربي الصادر في اكتوبر 1954 ونشر نقد الجزء الثاني في ج ل من مج 33 منها الصادر في يناير 1958 .

أعمال الناس وأزنها بميزانها الحقيقي اكثر من ذي قبل .

وعلى هذا السنن العلمي اللاحب ، اردت ان اتمم ذلك
التقريظ النقدي - ولا خير فى تقريظ لا يكتب بروح نقدية -
بالتنبية على بعض الهنوات ولا اقول الهفوات ، فاننى أوكد
ان بعض الكلمات التى ينتبه اليها القاريء هى فى الغالب
ما يغفل عنه الكاتب . فلا يكون اهمالها من باب الخطأ الذى
يلزم المؤلف . وهى لذلك عندي من الهنوات التى لا مصدر
لها ، لا من الهفوات التى تؤخذ على الكاتب . ومن الطبيعى
ان اغض الطرف عن بعض الشكلات التى تزلزلت عن محلها
او وضعها الطابع غلطا على غير وجهها ، فان من سبق له ان
نشر كتابا او مقالا او قصيدة فيها بعض الشكل لابد ان يكون
قد صدم ببعض هذا التغيير . وبعض القراء يجهلون ذلك فيأخذون
به المؤلف ، ولكنهم احرياء ان يعرفوا من سياق العمل أن
مثل هذا المؤلف أو ذاك ليس ممن يجهل أن الفاعل مرفوع
وأن مضارع الثلاثى غير مضموم الاول الخ ، وهكذا نحن لم
نتبع شيئا من هذا الهوس الذى يتورط فيه بعض الكتاب .

ولا أحتاج أن أقول . . اننى بهذا التنبيه إنما أتعاون مع
حضرة الناشر على خدمة هذا الكتاب ، وأتمم ما بدأت به فى
الجزء الاول من التقريظ والنقد ، عناية بهذا الاثر النفيس الذى

كانت المكتبة العربية في أمس الحاجة اليه . ولذلك أرف
من جديد عرائس التهاني للدكتور شوقي ضيف على توفيقه
وتبريزه في خدمة الادب العربي سواء بالتأليف أو النشر أبقاه
الله وأدام النفع به. وهذه هي تلك العنوات المشار اليها . .

وقع في صفحة 8 ضبط كلمة موسطة بفتح الميم والسين
ونص العبارة التي جاء فيها «وهي في الاقليم الخامس موسطة»
والضمير يرجع الى مدينة طليطلة . وأظن أن هذه الكلمة
وقعت في الجزء الاول بهذا الضبط أيضا ، وكنت توقفت فيها.
ولما كنت بعيدا عن منزلي ومكتبتي لم يمكنني تحقيقها .
وبمقتضى ما ذكره اللغويون من أن فعل وسط هو من باب
وعد يظهر لي ان حقها ان تكون بكسر السين على وزن
مودة وفي الكتاب العزيز «وما كان استغفار ابراهيم لابيه
الا عن مودة وعدا اياه» على أن صاحب القاموس ذكر أن
موسط البيت بوزن مكرم هو ما كان في وسطه خاصة فليحذر.
وجاء في ص 16 عن أبي الخطاب الشاعر: «وكان في صلة
الفضلاء الذين وفدوا على المتوكل بن الافطس، ولعل الصواب
وكان في جملة الفضلاء . .

وفي ص 23 :

أعلل نفسي بالمواعد والمنى وما العيش واللذات إلا محمد

بذاك سبا عقلي وهاج لى الجوى

ولم يسببه حور اوانس نهـد

واظن ان صواب كلمة بذاك . . فذاك بالفاء .

وفى ص 52 : «وكان (ابن همشك) يردى اهل الجنائيات

من حافة عظيمة، وضبط الحافة هنا بتشديد الفاء، والصواب تخفيفها فان الحافة جانب الوادي مخففة . ولعل الضبط خطأ مطبعى .

وفى ص 67 ما نصه : «لا يعدم مال الكريم غارة من

الافضال (تسن)، وعادة من الاحسان تسن، ويجب إعجام السين من (تسن) فى الفقرة الاولى . وهو تطبيع .

وفى ص 103 : «ونعزها الكبير (يعنى غرناطة) يقال له

شنيل، بفتح الشين والنون مع تشديدها . وتكرر هذا الضبط فى شعر ورد فى نفس الصفحة . وعلى ما يظهر لى ، يجب ان يكون كل من الشين والنون فى هذا الامم مكسوراً؛ اما الشين فلاّثم قد يكتبون هذا الامم بزيادة ياء بعده هكذا : شينيل ، ومعلوم ان اشباع الكسرة يولد الياء . وقال ابن زمرك فى إحدى قصائده التى يصف بها بعض مصانع غرناطة كما فى نقح الطيب :

يا قصر شينيل وربعك آهل والروض منك على الجمال قداقتصر

واما النون فلانهم يذكرون في مفاخر غرناطة على سبيل
النكتة الادبية ، ان نهرها شنييل يعدل بألف من ذيل مصر
لان عدد الشين في حساب الجمل ألف فاذا قلنا شنييل فكأنما
قلنا ألف ذيل . ومقتضى هذا كسر النون كما لا يخفى . ويسمى
الاسبان نهر شنييل Genil على عادتهم من قلب الشين العربية خاء في
بعض الاسماء . وعلى كل حال فهم قد كسروا الخاء المنقلبة
عن الشين والنون معا .

وفي ص 104 من موشح :

ورسولي قد تعرف منه بما أدري فحرف
ولاقامة الوزن يجب حذف الباء من قوله بما .

وفي صفحة 117 ،

لاتلمني بأن طربت لشدو يبعث الانس فالكريم طروب
ليس شق الجيوب حق علينا إنما الحق أن تشق القلوب
وقد ضبط اللام في لاتلمني بالفتح ، ولا شك أنه خطأ
مطبعي وأن حقه الضم أما صدر البيت الثاني فيظهر أن صوابه
أن يكون هكذا ؛ ليس شق الجيوب حقا علينا . ولا يحسن
نصب شق ورفع حق لان الاول هو المحكوم عليه . وبعد كتابة
ما ذكر رأيته كما ذكرت في نفح الطيب .

وفي ص 119 في التعليق : وذكر ابن ذكور في شرحه

على القلائد، والصواب ابن زاكور بالزاي . وأظنني نبتت على
هذا في الجزء الاول .
وفي ص 144 :

أنت الهوى لكن سلوان الهوى

قصد ابن معن والحديث شجون

وأظن أنه (قصر ابن معن) بالراء كما يدل عليه ما بعده
والبيت السادس بالخصوص .

وفي ص 156 :

عليك لنا فضل ومن وأنعم ونحن علينا كل مدح محبر
وأعرف أنها يحبر، وقافية الشعر مضمومة فهو الذي يناسبها
بغير تكلف .

وفي صفحة 225 : «ولهم فيه غلل عظيمة، بضم الغين ،
والصواب كسرهما . وفيها عن الكاتب ابن طاهر : «أخبرني
والدي أنه لم يزل مع الملك المذكور عثمان بن عبد المؤمن
في عز ونعمة، إلى ان وقع له على رسالة بعثها الى اخيه ابي جعفر بن
عبد المؤمن ملك اشبيلية فغاروسمه فمات، الخ. وقد ضبط فعل وقع
بالتشديد من التوقيع، وأظن ان سياق القصة يعطي انه بالتخفيف
من الوقوع بمعنى العثور، اي انه عثر له على هذه الرسالة التي
يخاطب بها اخ مخدومه ، يريد ان يلتحق به . فغار مخدومه
وقتلته .

وفى ص 231 :

وان احمد فى الدنيا وان عظمت

لواحد مفرد فى عالم امم

بفتح همزة امم واظن ان الصواب ضمها ، ولعله تطبيع .

وفى ص 253 :

اربأ بنفسك ان تكون متابعا ما الحر إلا ان يؤم فيتبع

ببناء يؤم للمفعول فهو بمعنى يقصد ، وظهر لى انه ربما كان

يؤم على صيغة المبنى للفاعل من الامامة وتأنى كلمة يتبع

بعده اكثر تمكنا واقرّب مناسبة .

وفى صفحة 255 :

الزر بز القفا وخلعته فاخرج علينا من ذلك البز

وقد ضبطت كلمة بز بالفتح على انها فعل ماض. والصواب

رفعها على انها اسم بدليل عطف وخلعته عليها . ولا معنى لفعل

بز هنا ، وربما (ورب للتكثير) كان ذلك الضبط تطبيعا .

وفيهما ضبطت كلمة (وتنت) بضم التاء وهى من تاه يتيه

فحقها الكسر ، ولا يبعد ان يكون ذلك خطأ من الطبع .

وفى صفحة 267 :

ثمانى خصال فى الفقيه وعرسه

وثنتان والتحقيق فى ال(مرشيق)

وهذا من شعر اليكى الشاعر الهجاء المشهور . ووضع
الناشر الفاضل للحروف الاخيرة في البيت بين عقفتين بدل
على انها لم تثبت بالاصل وانه هو الذي تم البيت بها . وقد
جاء البيت تاما بما يقرب من عمل الناشر عند صفوان بن
ادريس في زاد المسافر ونصه :

ثمانى خصال في الفقيه وعمره
وثنتان والتحقيق بالمرء البق

ومن ابيات القطعة في المغرب :
ويكذب احيانا ويحلف حائثا

ويكفر تقليدا ويرشى و(يحمق)
هكذا بتميم الناشر ، والبيت في زاد المسافر هكذا :
ويكذب احيانا ويحلف حائثا

ويكفر تقليدا ويزني ويسرق
وفي الصفحة بعض اللحن في بعض الابيات الاخرى ، ونظن
انه من خطأ الطبع .

وفي صفحة 269 :

وصارم ابصرت ذي فلة فقلت يا صارم من فلكا
فقال لى لحظ غلام رنا ونهد عذراء كما فلكا
وقد ضبطت فلكا الثانية بالبناء للمجهول والصواب بناؤها

للفاعل ، يقال فلك تُدِي الجارية وتفلك . وما نظن الشاعر اتى
بالبيت الاول الا لاصطياد هذا الجنس الكامل ، فلا يصرف
عن قصده

وفى ص 277 : ذكر ابن سعيد فى ترجمة أبى الحسن
جعفر بن الحاج أنه هو والد أبى محمد عبد الحق الذى ارتفاه
أهل لورقة للقيام بأرضهم ، فلم يرض . . وفى الصفحة قبلها
ذكر فى ترجمة أبى محمد هذا أن اسمه عبد الله . . ولم يحقق
الناشر الفاضل فى ذلك ، مع انه أحال على مصادر كثيرة لترجمة
أبى الحسن بن الحاج هذا ما بين خطبة ومطبوعة . وبما ان
الخطبة التى أحال عليها ليست بيدنا فإننا أيضا لم نستطع ان
نقول كلمة فاصلة فى الموضوع ، لاسيما والضبي فى البغية
وابن البار فى المعجم يسميان هذا الولد اسما ثالثا هو
عبد الرحمن .

وفى ص 279 ورد هذا البيت :

رويدا فلي قلب على الخطب جامد

ولكن على عتب الاحبة دائب

بالدال المهملة فى ذائب ، ولا يخفى أن الصواب إعجام
هذه الدال ، فكلمة ذائب هنا واقعة فى مقابلة جامد من عروض
البيت . ولا معنى للدؤوب على معاناة الاحباب بل المقصود

ذوبان القلب من سماع عتابهم . وهذا كله إنما سببته نقطة
سقطت من يد المنضد فيما نعتقد ، ولكنها نقطة هي مركز
الدائرة في معنى هذا البيت .

وفي صفحة 287 جاء هذا البيت :

وما هو فير ان أدعي وحسبي

حيا الاخوان أو موت الاعادي

بضم التاء من موت ، ولا شك أنه معطوف على حيا فحقه
النصب . والشاعر يتأسف على عدم إدراك مراده قبل الموت
كما في البيت قبل هذا ، وما مراده الا ما ذكر . وفيها أيضا
هذا البيت :

انكرت ان راع الزمان أدبي وهل رأيت ذا نهى مؤمنا

بنصب الزمان . والصواب رفعه لانه هو الفاعل الرائع .

وفي ص 798 هذا البيت :

بلادي التي ريشت قويديمتى بها

فريخا وآوتنسى قرارتها وكرا

وفيه تصغير قادمة على قويديمة بزيادة الياء ، ولا تصح

هذه الزيادة نحو ولا عروضاً .

وفي ص 802 وقع هذا البيت من قصيدة :

وأصدرت الرايات حمرا كأنها صدور حسان مسهن عبير

و قد نونت فيه صدور وحسان على انها وصف للصدور، وأملح
من ذلك ان تضاف صدور الى حسان لتفيد ان هذه الصدور
لغوان حسان لا مطلق صدور حسان قد تكون على حسنها
لرجال خشان .

وفى ص 306 جاءت هذه العبارة : «إنه ما اختلف الليل
والنهار الا بنقص وإمرار، هكذا بالصاد فى نقص واظنه بالصاد
وفى ص 310 ابیات فى النوار المعروف بالخيري ويقول
له العامة عندنا الخيلى . منها :

لك الخير اتحفني بخيري روضة
لأنفاسه عند الهجوع هبوب
ليس اديب النور يجعل ليله
نهارا فيذكو نحتة ويطيب
والمقصود قوله اديب النور ، فانه بالنصب خبر ليس ،
لا بالرفع كما ضبط فى الكتاب، والشاعر يشير بذلك الى قولهم
الليل نهار الاريب .

وفى صفحة 311 من قصيدة فى وصف بحيرة بلنسية :
اذا الناس حنوا للربيع وجدتنا

بها فى ربيع كل حسن من الزهر
هكذا ثبت هذا البيت باضافة ربيع الى كل حسن، وبيان

ذلك بقوله من الزهر ، ويظهر لي ان صواب هذا البيت هو
كما يلي :

اذا الناس حنوا للربيع وجدتنا

بها في ربيع كل حين من الدهر

والضيق في بها يعود للمبيرة ، فهي . كما قال المؤلف
وردد ذلك الشاعر في ابيات أخرى. تكسب بلنسية جمالا طبيعيا
وخضرة ونضرة بحيث تجعلها كأنها دائما في فصل الربيع .
وبعد هذا البيت يقول الشاعر :

تهب نعامها فيفغم أنفنا بأنفاسنا الملوذدة البرد في الحر
وقد ضبط فعل يفغم بالبناء للمجهول وأنفنا مرفوع على
أنه نائبه . ثم ضبط البرد بعلامة الرفع ايضا . ولا شك انه بعد
أخذ الفعل فاعله لم يبق إلا جر البرد بالاضافة الى ما قبله إضافة
لفظية . فإن اردنا ان نرفعه فعلى ان نبني فعل يفغم للمعلوم
وننصب انفنا على انه مفعول له ويكون البرد حينئذ فاعلا
مرفوعا

وفي ص 312 يقول الشاعر في صفة مذائب ماء، من ابيات :

كالنصل إلا انه لا يتقى كالظل إلا انه لا يرهب

ولا شك ان الظل هنا محرقة عن الصل بالصاد وهو الحية
الحبيثة بدليل قوله لا يرهب، وتشبيه الماء الجاري بالصل معهود عندهم.

وفى ص 314 حكاية عن ابن عائشة الشاعر انه كان يوما مع ابن خفاجة وجماعة من الادباء تحت خوخة منشورة فهبت ريح صرصر، اسقطت عليهم زهرها . الخ . ، وظاهر انها خوخة منشورة لا منشورة .

وفى ص 316 وردت ترجمة الحافظ أبي الربيع الكلاعي، وهو منسوب الى ذى الكلاع بفتح الكاف من اذواء اليمن ، فضم الكاف كما فى الكتاب خطأ . واثبت له المؤلف ابيانا فى مشط فضة ، منها هذا البيت :

مشط الحسان بعظم ظلم لعمرى عظيم
وقد ضبط لفظ مشط بضم الميم ، وهو الآلة كما لا يخفى .
والمراد هنا الفعل بدليل قوله بعظم ، فحق الكلمة إذن فتح أولها .

وفى ص 319 هذا البيت :

فبت لا حاله كحالى ضجيع بدر صريع سكر
برفع اللام من حاله ، وصوابه لا حالة .

وفى ص 339 هذان البيتان من قصيدة :

يا يوسفأ أرى بحسن الذي آمن فى الجب وقوع الهلك
قطعت ايدي نساء له فكم قلوب قطع الناس لك
ويظهر لي ان آمن صوابها آمن ، وان البيت الثانى سقط

من اوله حرف الشرط والتقدير ان قطعت ، وذلك ليتزن
ولتكون الفاء من فكم واقعة موقعها من الجواب .

وفي ص 341 بيت من موشحة لابن حريق يقول فيه :

محمد اللنق يا غزالي يا صاحب العينين الكبار

وقد ضبط اللنق بالشدة المفتوحة على اللام ثم بتسكين
النون والقاف معاً ، واظن ان الصواب تشديد اللام مع الضم
وتسكين النون ورفع القاف ، اولاً - لانه بتسكين القاف يختل
وزن البيت . وثانياً - لان اللنق لقب هذا الموصوف وبه
يعرف ، فحقه ان يكون تابعا في الاعراب لمحمد . وإنما قلنا إن
اللىق لقب ، لان هناك من أعلام الاندلسيين من يعرف
باللونكو¹ ، فالغالب أن اللنق الذي نحن بصدده هو تعريب له
وانظر هل تكون هذه الكلمة (اللونكو) مأخوذة من Long
الفرنسية بالمعنى الطويل ؟

وفي ص 368 ورد هذا البيت ضمن قطعة :

والشمس تجنح للغروب مريضة

والبرق يرقى والغمامة تنفث

(1) جاء في صلة الصلة لابن الزبير ما يلي : «على بن عبد الرحمن
الانصاري الخزرجي من ولد عبادة بن الصامت يكنى ابا الحسن ويعرف
بابن اللونقة وتفسيره الطويل» وكذلك هو في الصلة لابن بشكوال ،
ولكن غير مفسر بالطويل .

وضبط فعل يرقى بفتح القاف من الرقي وهو بالكسر
من الرقية كما لا يخفى بدليل ما بعده .

وفي ص 374 هذا البيت من قطعة :

فلا رحلت الا بقلبي طعمينة ولا حملت الا خلوعي هودجا
والطعمينة المرأة المسافرة في الهودج فهي الراحلة بقلبه
وهي الفاعل برحلت ، فحقها الرفع لا النصب كما ثبت في
الطبع .

وفي ص 376 جاءت هذه العبارة من كلام الفتح في القلائد
«وكانت عنده (مناهل) تزف فيها للمنى أبكار نواهد، وقد
توقفنا في مناهل هذه ، لا لاختلال السجع ولكن لعدم وضوح
المعنى أيضا معها . ورجعنا الى القلائد فاذا بها : مشاهد .

وفي ص 386 في ترجمة ابن مغاور الشاعر أن بعض
الاعيان وهب له نصيبه من السقيا في يوم ما ، فسقى جنته ، وجاء
في ذلك اليوم ضيف فكتب اليه يستسقيه خمرًا هذين البيتين:
سقيت أرضي بفيض ماء فاسق ضلوعي بفيض راح
وانرك جفائي يذهب جفاء واخفض جناحا على جناحي

وقد علق الناشر الفاضل على صدر البيت الثاني بقوله
«هكذا الشطر في الاصل، وأظن ان هذا الشطر واضح لا غبار
عليه . فان الشاعر احس بقلّة الذوق في كثرة السؤال فاعتبر

ذلك جفاً وعدم بر ، فقال لمخاطبه المسؤول : « واترك جفاي
يذهب جفاء ، أي غثاً كغشاء السيل مما لا يعتد به ، قال تعالى :
« فأما الزبد فيذهب جفاء ، فجفاي بفتح الجيم وجفاء بضمها ،
وهما كذلك عند الناشر الفاضل ، إلا أن همزة جفاء جاءت في
الكتاب مضمومة ، وهو خطأ مطبعي لا شك فيه . فظهر أن
الشر صحيح المعنى واللفظ لا توقف فيه . نعم في قوله جفاي
زحاف يمكن تجنبه بجعله جفائي ، وربما كان كذلك عند
الشاعر .

وفى ص 429 هذا البيت من قطعة :

سروا كاعتداء الطير لا الصبر بعدهم

جميل ولا طول الندامة ينفع

ولم أفهم لاعتداء الطير بالقاف معنى . فرجعت الى (فلائد
العقيان) التي أحال الناشر الفاضل عليها في تحقيق بعض ألفاظ
القطعة ، فوجدتها كذلك ذكرت هذه الكلمة ، وقد وقع في
وهي أنها ربما تكون معرفة من اعتداء بالغين . والمعنى
أنهم سروا بكراً كما تبكر الطير في نهوضها . وفي الحديث :
« لو توكلتم على الله حق توكله لرزقتم كما ترزق الطير ،
تغدو خماصاً وتروح بطاناً » فهذا هو اعتداء الطير . وفي
شواهد البلاغة :

إذا أنكرتني بلدة ونكرتها خرجت مع البازي ، على سواد
445 ثبت هذا البيت :

وحقك ما تركت الشعر حتى رأيت البخل قد أركى شهابه
بالبازي في أركى ، فقلت ياليت المنضد أبدل ذال زاكور
بزاي أركى ، والذال المعجمة كثيرا ما ترد في مطبوعات الشرق
زايًا ، لأن بعض إخواننا الشرقيين ينطقونها شبيهة بالزاي تماما
وفي ص 450 ورد هذا البيت :

ثمرات الانس ترداد عندي وهى من روضك تجنى وتجبنى
بكسر همزة الانس وحققها الضم وبفتح تاء ترداد وحققها
الضم أيضا . وفي الصفحة التى بعدها هذان البيتان :

أخطأت في بر الذي لم ترعه وغدا يلاحظنى بمقلة ساخر
إن التواضع للذي يعتده ضعة لجهل ما له من عاذر
وترعه لا شك انه تصحيف صوابه يرعه ليبقى الكلام كله
على الغيبة فى غاية الانسجام .

وفي ص 462 وقع هذا البيت :

يقولون لا يبعد ولله دره وقد حيل بين العير والنزوان
وقد ضبط يبعد فيه بضم العين وصوابه الفتح لانه من البعد
بفتحيتين بمعنى الهلاك ، لا من البعد بالضم ضد القرب ، وبعض
اللغويين يسوي بينهما ، والتحقيق التفرقة .

وفي ص 454 ورد هذا المقطع من موشح :

بى جوى مضر ليت جهدي وقفه
كلما يذعى فـفـؤادي أفقه
ذلك المنظر لا يداوي عشقه

وصواب يذكي كما لا يخفى يذكر وهو خطأ مطبعي
وذكر المحقق الفاضل ان هذه اللفظة وقعت فى رواية دار
الطراز يظهر ويا ما أحسنها هنا . .

وفي صفحة 462 من قطعة فى عدم الاعتداد بالاحساب
والانساب اذا لم يكن صاحبها ذا مال :

فحرام المجد والعلم اذا لم يكن عندك شي من ذهب

وعلق الناشر الفاضل على كلمة فحرام أنها فى الاصل حرام
ولا شك أن الفاء التى زادها الناشر قصد بها إقامة الوزن .
ولكن صواب الكلمة هو ما كان فى الاصل ، على أن تقرأ :
حر أم المجد والعلم . بكسر الحاء وضم الراء من حر مع اضافتها
للفظ ام ، وغير خفى ما يقصد بذلك من الفحش والازراء .

وفي ص 470 من بيتين فى وصف الخيل :

هى البحور ولكن فى كوائبها عند الكريهة منجاة من الفرق

والمراد بكوائبها اعاليها لا اسافلها كما فسر فى التعليق
على ان المراد بذلك ارجلها . . وفى الحديث بضعون رماحهم

علي كواذب خيلهم . قالوا هي من الفرس مجمع كتفيه قدام
السرj . وبرشح هذا المعنى ان الشاعر جعلها منجاة من الفرق .
شأن من يجتنب الفرق ان يطلب العلو لا السفل .

وهنا تنتهي من هذه الملاحظات التي نرجو ان لا نكون
اوغلنا فيها حتى اسفغنا وسفلنا، على اننا قد تركنا بعض الكلمات
لم يخامرنا شك في ان خطأها من باب التطبيع . . واما قبل
وبعد فان قصدنا هو خدمة هذا الكتاب القيم ، ولو بجزء من
الف ، من العناية التي حظي بها من حضرة ناشره الفاضل .
فليقبل منا جنابه هذا التطفل على عمله العظيم مع اصدق
التحيات واخلص التقدير ،

هل الشعر في تراجع؟

كانت امسية رائعة حين زارتني هذه الاديبة التي تشرف على مجلة «المعتمد» للشعر والنثر، الأئسة «طرينة»، وبصحبتها، رفيقتها الأئسة انطونييتا. وحضر الشاعر عبد القادر المقدم وعبق الجو بحديث الشعر والنثر تتخلله نكات ادبية لطيفة، يزيد في لطفها، ضحكات العذارى وامحات الجمال المذهب: فلا مجال لانشاد قول المتنبي:

حسن الحضارة مجلوب بتطرية

وفي البداوة حسن غير مجلوب

الا للازراء عليه بمثل قول الاعزازي:

خطرات النسيم تجرح خديه ولمس الحرير يدمي بنانه
وكانت الأئسة انطونييتا، تميل الى ان الشعر يتراجع،
وانه لم يبق في العصر الحاضر من يميل اليه. وانه لم ينبغ
منذ مدة مديدة شاعر يفري فري الشعراء الكبار. سواء في
اسبانيا وفرنسا وايطاليا من العالم اللاتيني او غيرها من العالم
السكسوني او الجرمانى، وتسألني: «أليس كذلك في العالم العربى؟»،
في حين أن الأئسة «طرينة»، مؤمنة بالشعر ورسالاته متحمسة
له، ترى انه قائم بدوره في التخفيف من غلواء المادية المسيطرة

على مشاعر الناس ، وایناس هذه الوحشة التي يشعر بها
المسجونون في فضاء الحياة الآلية الضيق، وتسرد اسماء كثير
من نبغاء الشعر المعاصرين الذين لا يقلون شأنًا عن اسلافهم،
ونحجها بانها ايضا من الشاعرات اللاتي لهن شأن .

ولا تمالك «انطونييتا» الا ان تستسلم استسلاما انثويا
امام هذا الاطرا . وتنتصر «اعتماد» صاحبة «المعتمد» ...
وقد عادت الآنسة «طرينة» في هذه الايام ، تسألني عن
عدم اهتمام الشباب المغربي بالشعر ، والبرود الذي يقابل به
مجلة «المعتمد» ؛ فهل هي ايضا عدلت من رأيها في الشعر ،
او هذا رأي لها خاص بالشعر العربي ؟

ومهما يكن ، فان هذه دعوى طالما ردها الكتاب
والادباء من عهد الجاهلية الى الآن فطورا ، تقدم في صيغة
الازراء على الشعراء المعاصرين وانهم لم يبق لهم (من متردم)،
وطورا ، تعاد في صورة ان العصر عصر علم وصناعة . وان هذه
«حقيقة» لا مجال «للتخيل الشعري» فيها .
والواقع اني ارى ان الشعر سائر في طريقه آخذ بحظه
من التقدم الذي يقتضيه العصر .

ففيما قبل بقليل . كان عندنا شوقي . وهو شاعر لم نظفر
العربية بنظيره في العصور المتقدمة . ولا يزال عندنا امثال :

العقاد ، وعلي محمود طه ، وانور العطار ، وعمر ابو ريشة. واحمد ابو شادى ، وغيرهم ممن يعرضون في شعرهم ، فنا جديدا ومعاني ابكارا لم يسبق للعربية عهد بامثالها .

اما ان الشعر قليل ، فانه ما فتى قليلا منذ كان ، وقيوده هي التي تجعله قليلا مع موضوعه الذي هو احساس بالجمال ، وتعبير جميل عن هذا الاحساس ، فانه ليس باستطاعة كل من يأخذ بيده قلما . ان يعبر هذا التعبير ، وان احس بما يحس به الشاعر ، بل ان هذا الاحساس حظ مشترك بين الناس . ومن ثم ، كانت حاجتهم الى من يعبر لهم عنه عامة ، فلم يغنوا عن الشاعر

ومع ذلك ، فان الشعر بالقياس الى اي فن من الفنون ليس بقليل .

نعم انه قليل بالنسبة الى الفنون جملة ، ويقل ايضا بمقارنته بالانتاج الفكرى ... الحر المطلق .

ولكن من يصح الحكم بهذه المقارنة ؟

اما عدم اهتمام الشباب المغربى بالشعر ، فانما جاء من ان الشباب اليوم في ازمة فكرية من هذه الصعوبات التي تلاقه في طريق تثقيفه واعداد نفسه لمعركة الحياة ؛ وكلما استقر مستقبل الشباب كثر اقباله على مائدة الفن والادب وتنقل بالشعر الذي لا يطيب الانس الا عليه .

جائزة الشعر المملغة

احتفلت الدوائر الثقافية * بعيد الكتاب يوم 28 ابريل على جاري العادة : واعطيت جائزة النثر لمن استحقها . واعلن ان جائزة الشعر قد الغيت هذه السنة . لان القصائد التي قدمت للمباراة الادبية لم تبلغ المستوى الشعري المطلوب .

ونحن مع اسفنا لهذه النتيجة نرى ان هذا الحكم كان ضربة لازب لتقويم أود الشعر في هذه البلاد وتوجيهه الوجهة الصالحة التي ينبغي ان يسير في طريقها حتى يبلغ كماله فقد كثر الشعر كثرة لامزيد عليها ، ولكنها كثرة الغناء الذي لا غناء فيه . ولذلك فان البلاد على كثرة ما فيها من الشعراء لا تزال تشكو فقر الشاعرية ، ولا يوجد فيها شاعر واحد يرفع رأسه بالشعر ويقال في حقه انظروا ها هو ذا شاعر من المغرب.

وقد كان جلالة الملك سيدي محمد الخامس أذنأ ثلاث جوائز للشعر في عيد العرش ، فمنحت الجائزة الاولى جزافا مرتين او ثلاثا . ثم شعرت لجنة التحكيم بما في عملها ذلك من مجازفة ، فلم تعد تمنح الا الجائزتين الثانية والثالثة .

ولقد وجد ذات مرة في قصيدة لاحد الشعراء الذين منحوا

- كان ذلك في تطوان عاصمة المنطقة الخليفية يومئذ .

الجائزة الاولى ، تفعة كاملة زائدة في بيت من أبيات القصيدة ومن الغريب أن هذه القصيدة تناولها النقاد بالتظر والتمحيص ولم يعثروا فيها على هذه الزيادة المباركة ، مما يدل على أنه كما يكون النقاد يكون الشعراء ! وهذه الجزئية تميط اللثام عن مبالغ تمكن الشعراء من صناعة الشعر واستظهارهم على اجادته بوسائله التي هي ثقافة خاصة لامعدى عنها لمن اراد ان يكون شاعرا حقا . كما أنها تظهرنا على أننا لم نجاوز بعد النظر في عرض الشعر الى جوهره ، وان غيرنا ان كان يتطلب من الشعراء سموا في التفكير وتجديدا في التعبير ، فاننا مازلنا نتطلب منهم اتقان القوالب وتصحيح الاساليب .

ولعلنا بهذه اللوحة قد وضعنا اليد على ممكن العلة في الشعر المغربي ، أعني الشعر الحديث الذي يراد منه أن يجاري النهضة العصرية ويكون تعبيرا صادقا عن آلام وآمال هذا الشعب المكافح من اجل تبوء المكان اللائق به في الحياة ، فهو شعر ضعيف مادة وروحاً ولنتترك الروح الى المادة التي تسبق في بناء الاثر الفني ، فنجد ضعفها متأثرا من عدة عوامل . منها قلة الحصيلة اللغوية عند الشعراء ومنها عدم التمكن من قواعد النحو والصرف والبيان والعروض ، ومنها اختلال الذوق الادبي ومنها سوء الاسوة التي اوقعتهم في كثير من هذه النقائص .

فالشاعر الذي يتخرج على شعر المجلات والصحف وعلى شعر الدواوين الحديثة المملوء بالاغلاط وان ارتقى به الحال نظر قليلا في ديوان ابن زيدون ، هذا الشاعر لا بد أن يأتي مسخا من الشعراء ، فلا يكون عنده ثروة لفظية تجعله يعبر عما شاء كيف شاء . ولا تسلم له حتى التعابير الصحيحة الفصيحة فكيف بالصور البيانية المعجبة ؟

ولذلك فلا جرم أن نلقى شعره مليئا باللحن ومخالفة القياس الصرفي ، وفي العروض ان سلم له الميزان فهو غالبا لا يسلم من عيوب القافية .

والمؤسف هو ان نجد بعض الشعراء يعتقدون ان اللحن في الشعر جائز ، وان مخالفة القياس والقواعد على العموم ضرورة شعرية لاجح في ارتكابها . وهذا الاعتقاد ان دل على شيء فعلى الاستهانة بلغة الضاد وانتهاك حرمتها وجعلها بدعا من اللغات الحية . فصاحبه احرى ان يعد عدوا من اعداء العربية يعمل على اماتها لا شاعرا من شعرائها الذين تزدهر على أيديهم .

ولما أخرج الكاتب اللبناني الموهوب جبران خليل جبران منظومته « الكواكب والمواكب » كتب عنها الاستاذ الكبير عباس محمود العقاد كلمة تعرض فيها لما

يقع في اسلوب جبران من تساهل في اتباع احكام النحو والصرف وأسف على ذلك قائلا انه لا يوجد في لغة من اللغات الحية أديب مرموق يجهل قواعد لغته وهي كلمة صادقة الى أبعد حد ، ونحن نزيد عليها أنه اذا كان هذا الاديب موجودا في اي لغة من اللغات فهو لن يكون من عوامل حياتها. وكيف تحيا اللغة اذا تنكر لها الادباء من كتاب وشعراء .

على أن هذا الضعف المادي له نتيجة حتمية وهي ضعف الروح الشعرية . روح الخيال والتفنن والتصوير ضرورة ان الالفاظ قوالب المعاني فاذا كانت القوالب مهشمة . فان ما يصب فيها لا يجيء الا مهشما مثلها . وكما يقال ان العقل السليم في الجسم السليم فكذلك المعنى الجميل في اللفظ الجميل .

وإذن فعلى شعرائنا اذا ارادوا ان يتمكنوا من خاصية الشعر ان يقدفوا بانفسهم في ميادين الرحبة وينصرفوا اليه بكليتهم ، ولا يحسبوه هواية يتلها بها في اوقات الفراغ فهو كما قال الراجز او اكثر مما قال :

الشعر صعب وطويل سلمه

اذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه

زلت به الى الحضيض قدمه

يريد ان يعربه فيعجمه

وأول ما يبدأون به مادة اللغة الواسعة فيتزودون منها
بالزاد الكافى ولا يألون جهدا فى أن تكون ذخيرتهم منها
اعظم الذخائر ثم يتقنون نحوها وصرفها وبيانها وعروضها مقبلين
اثناء ذلك فى نهم شديد على حفظ اشعار العرب العرباء ، من
فحول شعراء الجاهلية و صدر الاسلام ثم شعراء العصر الاموي
والعصر العباسى وأخص من هؤلاء كلهم اصحاب المعلقات وكعب
ابن زهير وحسان بن ثابت وعمر بن ابي ربيعة وجريرا
والفرزدق وبشار بن برد وأبا نواس وحبيبا الطائى والمتنبى
والبحتري وأبا العلاء ثم ينظرون بعد فى شعر الاندلسيين ثم
بعد ذاك فى شعر المعاصرين. ولا يعكسون ابدا لان البدء بهؤلاء
يضعف ملكتهم بخلاف اولئك فان ممارستهم تقوي الملكة
وتربي الذوق الادبي - العربي - فى حين ان الشعر الحديث
لايستطيع ذلك لان اسلوبه العربي ضعيف ، ومعانيه فى الغالب
غير عربية فيختل الذوق الادبي معه. وبالجملة فان ذلك التراث
الادبي القديم هو للعربية بمثابة اللاتينية للغات الفرنسية
والايطالية والاسبانية مثلا. لا يكون الاديب ولا سيما الشاعر
ضليعا فى مادته حتى يلم به ويتعمقه والافسبقي مثل الفراش
الذي يحوم حول السراج يلمس النور ولا ينال منه الا الوهج
الذي يحرقه ويكفنه فى سواده .

ولعلنا رأينا كيف وقع هذا لكثير من الشعراء
الذين تردد اسمهم في بعض الاوقات ثم خبوا خبو الشهاب
المنقض ، وكذلك سيقع لكثيرين من الشعراء الحاضرين
ان لم يأخذوا الكتاب بقوة .



ايهما يكون الآخر المجلة ام القراء . . . ؟

كثير من المجلات التي صدرت في العالم العربي . ومنه
المغرب ، لم تدم الا قليلا ثم احتجبت فما هو السبب في ذلك ؟

أين هي مجلة الزهراء ؟

أين هي مجلة المعرفة ؟

أين هي مجلة الامالي ؟

أين هي مجلة الشرق الادنى ؟

دع عنك المجلات التي احتجبت لموت أصحابها او مقاومة
السلطة لها كالمنار ولغة العرب والشهاب والسلام فهل ان حياة
المجلة مرهونة بظروفها او ظروف قرائها بمعنى أنه اذا كانت
المجلة قوية تثبت لحوادث الدهر فانها تعمر وتدوم ولو لم يكن
هناك قراء ، ولو لم يكن هناك مشجعون او انه لابد من المساعدين
والمؤيدين والا اختضرت المجلة في عنفوان شبابها واختزمت
ولو كانت غاية في الطرافة والابداع ؟

اعرف بعض المجلات التي تصدرها بعض الهيآت ، وهي
في حد ذاتها من خيرة المجلات مباحث وتحريراً ونشراً ؛

ولكن لولا أن الهيئة التي تصدرها تروج لها بين التجار والملاك والممولين من أنصارها ومعاونيها فيشتركون فيها ولو لم يفهموا منها حرفا واحدا اما استطاعت أن تستمر في الصدور ولو سنة واحدة .

ولما أنشأ صديقنا الاستاذ أحمد مدينة مجلة « الانوار » وجعلها خاصة بالسينما والمسرح قال الكثير منا إنها مجلة لم يحن بعد وقت وجودها ، وظن الناس أنها سوف لا تكون كما يجب أن تكون . . الا أن الواقع كذبهم فكانت مجلة راقية مهذبة الحواشى متقنة الصنع ومع ذلك فإن صاحبها ما أصدر منها بضعة أعداد حتى اضطر إلى إيقافها لأنها لم تصادف إقبالا يكافىء المجهود المبذول فى اخراجها .

وبالامس توصلت بالعدد 51 من مجلة «المختار» اعنى عدد نوفمبر 1947 ومعه رسالة تنبئنى بأنه آخر عدد يصدر من هذه المجلة التى يعلم القراء انها من أغنى المجلات مادة وأعلاها تحريرا . وذلك ؛ قطعا ؛ للعجز الذى أصاب ميزانيتها والذى لا تغطيه مداخلها التافهة الناشئة من قلة اقبال القراء عليها .

وهذه مجلة لا يمكن ان يعيها احد من أية ناحية ، فموضوعاتها بقدر ما هي متنوعة شائقة ، لا تستعصى على ذهن

القاريء العادي كما انها لاتتطامن اما فصر أي قاريء مثقف ،
وتحريرها في الدرجة القصوى من البلاغة والبيان ، وطبعها
مضرب الامثال في جمال الشكل ودقة الصنع، ناهيك بان رئيس
تحريرها هو الاستاذ فؤاد صروف رئيس تحرير «المقتطف»
المجلة العربية الاولى التي جعلت للعلم قيمة في البلاد العربية
وقد نخلى عن تحرير «المقتطف» مجلته ومجلة ابيه الى تحرير
«المختار» لما لمس في ذلك من الفائدة العامة للاقطار العربية
من حيث انتشار الثقافة وتعميم المعرفة بوسيلة لايقدر عليها الا
من يشرفون على إخراج «المختار» في أكثر لغات المدنية
الحديثة انتشارا في العالم .

فهل بعد هذه المجلة يقال ان المجلات في العالم العربي
تحيا أو تموت بسبب قوتها أو ضعفها ، كمالها أو نقصها ،
طرافتها أو ابتذالها ؟

الحقيقة أن العالم العربي لا يوجد فيه قراء ، والكتب
والمجلات التي تنتشر من مصر في البلاد العربية قليلة جدا
بالنسبة الى عدد العرب ولو كان في العرب قراء كما لدى
الشعوب الاخرى لما كفى عدد تلك الكتب والمجلات قراء مصر
وحدهم، واذا كان هذا هو الحال في مصر التي تصدر مطبوعاتها
الى الاقطار العربية كلها فماذا سيكون الحال في البلاد العربية

الآخري المختلفة عن مصر في الثقافة وقوة الانتاج وفن الطباعة
ولا سيما بلاد المغرب ؟

لا اشك أن من يستطيع الانتاج الادبي في بلاد كهذه
ويستطيع الاستمرار في ذلك الانتاج يكون موفقا جدا لانه
يكون قد خلق لنفسه قرا في وسط هو الذي يخلق الكتاب .



بعد احتجاب المجلات المصرية

كتبت في «لسان الدين» الكلمة الآتية : توقفت عن الصدور كل من مجلة الرسالة والثقافة والمقتطف المعروفات بمصر والعالم العربي : والسبب في ذلك العجز المالي الذي يعزى الى قلة الاقبال على هذا النوع من المجلات الثقافية الراقية . وقد قامت في مصر ضجة بين الادباء بسبب هذا الاحتجاب ، واغتنم الفرصة أدعياء الكتابة وانصار الادب المائع فقالوا ان مثل هذا المجلات لم يبق الذوق العام يستسيغها لرجعيتها . وقال المخلصون ان على الحكومة ان تعين هذه المجلات لانها لا تستطيع ان تؤدي مهمتها بدون اعانة . والحقيقة ان هذه المجلات دخل ادارتها ضعف كبير ولم يكن لها طريقة منظمة للتوزيع ، والا فرسالتها اعظم من ان نحتاج الى اسناد وهي بالاحرى اعظم من ان تتفقر امام زقزقة العصافير من على منبر صحافة الاعانات ،

هذه الكلمة الصغيرة التي كتبتها في هذا الموضوع الذي اثار عشرات الاقلام المثقفة وفي مقدمتها يراعي الدكتور طه حسين والاستاذ الكبير عباس محمود العقاد لم تكن لتشفى غليلي ، وان جمعت زبدة الرأي في الموضوع ، وشعرت من

نفسى بالحاح متزايد لبيان ما ابهتت وتفصيل ما اجملت .
فاخترت ان تكون هذه الكلمة في «الانوار» متممة لسابقتها
في «لسان الدين» .

والواقع الان ان هذه المجالات قد احتجبت ، ولسنا نحاول
بعثها من جديد ، ولكن لئلا تصير المجالات الاخرى من طرازها
الى هذا المصير يجب ان نفكر في الامر بطريقة عملية كي
نضمن الاستمرار لكل مجلة تؤدي مهمتها الثقافية في نشاط
واخلاص . ولعل اول نقطة ينبغي البدء بها فى التنبيه على
اسباب هذا العجز هي ان هذه المجالات، من حيث كونها ذات
مهمة سامية ، تتخير كتابها من الطبقة الراقية من حملة الاقلام
وتدفع لقاء ما يكتبون مكافآت مالية عالية فى بعض الاحيان
وخاصة لبعض مشاهير الكتاب . وهذا هو التقليد السائد فى
الغرب اليوم ، تحفظ به المجالات المحترمة مستواها الراقى
وتحقق به المنافسة المرغوبة فى هذا الصدد ؛ ولكن المجالات
العربية لها قراء يعدون بعشرات الالوف وهي تطبع على قدر
الطلب وليست المجالات العربية كذلك فهي تنوء بعبء كبير
من النفقات ولا تجد من اين تستخلص ذلك .

وهذه اولى المفارقات بينها وبين هذه المجالات التافهة
التي انما تعنى بسفاسف الامور وبالعرض دون الجوهر فهي

قلما نستكتب احدا من المشاهير واذا استكتبته فانما يكون ذلك فى موضوع سطحى لا اثر له فى الفكر ولا فى التوجيه ؛ والغالب انها انما تريد ان تستعمل اسمه للدعاية والتفجير فاذا حصلت على واحد من هذه الطبقة فليس بعده الا اعمال المترجمين وكتابات الناشئين التى لا تكلفها درهما واحدا بل يكون لها الفضل والمنة فى نشرها والتنويه باصحابها. ولتغطية هذه التفاهة فانها تعنى بتجويد الطبع والاخراج والاكثر من الصور المغرية والنكت التى قد تضحك احيانا ولكنها لا تزيد ابداً فى علم ولا معرفة .

وهكذا ببضع مئات من الدراهم تزداد على ثمن الطبع الاصلي تخرج المجلة فى صورة ضاحكة ، (ولكنه ضحك كالبكاء) كما قال ابو الطيب المتنبي فى حين ان المجلات المفيدة تصرف بسخا على اختيار المادة وتقتصد فى العرض فيكون مظهرها القاتم اول المنفرين منها ، اصحابها يقولون ان غزارة المادة وقوة الروح تكفلان لها الانتشار وتغزوان كل الاوساط ولكن الواقع ان الناس مأخوذون بالمظاهر عمون عن اكتناه بواطن الاشياء ، فهم يقعون على هذه الحوامض والحللات وقوع الذباب وبزهدون فى الغذاء الصحى الدسم الذى به يقومون نفوسهم وعقولهم . ومن هنا جاء الخطأ فظن صمالك الصحافة

ان تلك المجلات الثقافية القوية لم يبق لها مجال وان الذوق العام لم يعد يستسيغها وان نقيب الضفادع وزقزقة العصافير من مستكـتبيها هو الادب الحى والانتاج الجديد الذي يقبل عليه جمهرة القراء وتتخطفه أيدي الناشئة الحديثة وساء ما يظنون .

انهم في الحقيقة ينومون عقول الناشئة ويفسدون أخلاقها ويعملون على انحطاط المستوى الفكري والاجتماعي في البلاد العربية من حيث يشعرون او لا يشعرون ، ولو كان في هذه البلاد مصلحة واعية للثقافة والتوجيه اضربت الحجر منذ زمن على هذا النوع من الصحافة الذي اثمه اكبر من نفعه والذي أصبح يدعي انه الصحافة المجددة الجديدة بالبقاء .

ثم انه ان كان فى اهمال المظهر وتواضع الاخراج فى الصحافة الثقافية الراقية ما ينفر منها ويقلل الاقبال عليها فان ضعف الادارة وعدم تنظيم التوزيع هو من أكبر الاسباب فى العجز المالى الذي يلحقها والاحتجاب الذي تمنى به حتما فى الاخير ولئن قلنا إن المجلات العربية لها عشرات الالوف من القراء فان لها أيضا ألوف المتعهدين والموزعين والباءة ومن يضعونها بين يديك فى كل حين وفى كل محل . ولا يتعلل أحد هنا بارتفاع نسبة المتعلمين فى البلاد العربية فان اي بلد من البلاد العربية لا يفوق فى تعداده البلاد العربية جملة الا بنسبة

يسيرة، والمهم هو تنظيم الصلات بين سائر أجزاء القطر العربى حتى يكون ما يصدر فى اى ركن من أركانه من المطبوعات الثقافية يتداول فى بقية الاركان كما يقع فى فرنسا مثلا او فى انكلترا : ولتنخفض نسبة العدد فى هذه المطبوعات ما انخفضت فانها لا تقل عن عشرين الف نسخة فى أسوء الاحتمالات .

وعلى كل حال فانا اعرف أن كثيرا من الادباء والمثقفين وطوائف من القراء المختلفة الحثيات كانت تطلب مجلة الرسالة، مثلا فلا تجدها وتشتبك فيها فلا تصلها بانتظام ؛ وقد لا يكون الذنب ذنب الادارة ولكنها لا تصل والسلام ؛ كما انه قد يكون بعض الباعة والمتعهدين ممن لا ذمة لهم ولكن يجب البحث عن آخرين .. وهذه اقطار افريقية الشالية يمكن أن يوزع فيها من المجلة المذكورة أربع آلاف نسخة على الاقل بنسبة ألف نسخة لكل قطر منها مع التسامح فى عدد ما يستحقه كل قطر ، فهل كان يوزع فيها جميعا ولو ألف نسخة واحد ؟

لماذا لا تؤلف شركات للنشر والتوزيع فى هذه السوق العظيمة التى هي من أنفق الاسواق وأكثرها رواجاً لهذه البضاعة التى ليس لها منافس لا من الداخل ولا من الخارج وإذا لم يمكن تأليف هذه الشركات الان . فلماذا لا يقع الاتصال

بشركات النشر والتوزيع الاجنبية التي لها فروع كثيرة في مصر مع أخذ الضمانات الكافية لاعتمادها في هذا العمل سواء من الناحية المادية او الادبية ؟

إن الدول التي تهتم ببسط نفوذها المعنوي او بتصرف انتاجها الاقتصادي لتشهر الحروب الدامية من أجل إيجاد الاسواق التي تنفق فيها سلعتها والمحافظة على الاوساط التي تتقبل دعوتها ؛ فما بالنا نحن العرب نقبل الغزو ولا نغزو ، ونبذل ما بأيدينا وإن كنا لا نأخذ عوضه شيئا ؟

ان سوق افريقيا الشمالية لا : يفرط فيها الا من لا حاضر له ولا يرجى له مستقبل ، وانها لمصر بما يحتمل ان يكون لها فيها من نفوذ ادبي فضلا عن المنفعة الاقتصادية انفع من امريكا اللاتينية لاسبانيا ؛ فليت شعري لماذا لا تستغل الاستغلال اللازم في هذا الباب ؟

ولعل ما يعتذر به الكتاب والناشرون ويقوم عائقا بينهم وبين الاستفادة من هذه السوق هو اللوائح والقوانين التي يعلمون حق العلم اننا لا يد لنا في وضعها ولا نرضى بها ابدا^١ ولكن اللوائح والقوانين من هذا الشكل لا تقوم الا في وجه العاجزين ؛ فعلى الكتاب والناشرين ان يجمعوا شتاتهم

١ - كان هذا فيما قبل الاستقلال

وينظروا فى حقوقهم الضائعة فيطالبوا بها .

ان اعانة الحكومة او حمايتها للادب والادباء - كما طلب
الاستاذ الزيات صاحب مجلة «الرسالة» فى مقاله الذى ودع به
مجلته ينبغى ان تتوجه لهذه الناحية الايجابية من الاعانة او
الحماية ، ينبغى ان تكون معاملة بالمثل لمن يقف فى وجه
انتشار الكتب والمجلات والصحافة العربية التى لا تنتشر فى
فرنسا ولا فى انكلترا ، بل فى الاوطان العربية بافريقيا
الشمالية وغيرها . واليوم الذى نعتنى فيه الحكومة المصرية
مثلا ، بالاحصاء الدقيق لما يدخل بلدها من المنشورات الاجنبية
وتقاضى الشركات الموردة او حكوماتها على اساس اصدار
مثل ما تورده لها هذه الشركات الى البلاد الخاضعة لحكوماتها ؛
هو اليوم الذى ستكون مصر اعانت فيه الادب والادباء وحمتها
الحماية المطلوبة ؛ وليس ذلك ببذل مبلغ من المال لتسديد
العجز المادي الواقع فى ميزانية احدى المجلات او اعفاء بعض
الصحف من ضريبة الدخل كما اقترح الدكتور طه حسين .
نعم وذلك هو اليوم الذى نشعر فيه مصر بكرامة الاستقلال
ونشعر معها بهيبة الحكومة المصرية ؛ ومن لم يؤمن بنفسه لم
يؤمن به الناس .

نعي وفاة؟

ما ظننت ان الخطأ يصح يوما ما، ويحتاج اليه كما احتجت الى هذا الخطأ اليوم .

فكل من يتتبع صحافة تطوان يلفت نظره في بعض الاحيان ، هذا العنوان الناشر وهو (نعي وفاة) للاخبار بموت بعض الفضلاء . وهو تعبير متناقض ، لان النعي هو الاخبار بالموت فلا حاجة لزيادة كلمة وفاة قال الحماسي :

الا بكر الناعي بأوس بن خالد

أخي الشتوة الغبراء والزمن المحل
فالقائل نعي وفاة مكانه يخبر بوفاة الوفاة ، ولا يخفى بطلانه مع انه لا يريد هذا المعنى ولا يقصد اليه .

انما نحن قد احتجنا اليه اليوم ، لاننا بكتابة كلمة نعي ربما افزعنا بعض القراء فتوهمه خبرا بوفاة شخصية مهمة تستحق النعي . فبادرنا لتصحيحه بذلك الخطأ ، وانه نعي وفاة! ومرادنا ان نتكلم على ما اشيع عن صديقنا الدكتور محمد تقي الدين الهلالي منذ نحو ثلاثة شهور من انه توفى . ولا ندري مصدر هذه الاشاعة هل هي من عدو كاشح يتمنى موت عالم من علماء الاسلام واديب من ادباء العربية الممتازين

بغيا وحسداً من عند نفسه ، او من صديق يشفق من هذا الحادث الجلل .

وعلى كل حال فقد طارت الاشاعة كل مطار ولا ترى الا سائلا عن نصيبها من الصحة . وانا شخصيا قد سألني بالمشاهدة والمكاتبة غير واحد من الناس . وبالطبع فاني كنت انعيها لهم واؤكد لهم ان حضرة الدكتور ما زال بحمد الله حيا يتمتع بصحة جيدة وفي نعمة شاملة .

وفي احدى رسائلي اليه لمحت الى هذه الاشاعات تلميحا ولم اصرح له بها ، ففهم بزركانته المراد واجابني عن خصوص هذه النقطة بهذه العبارة :

«لا ادري من هم اولئك الاعداء» ، وماذا اشاعوا عني ، فان كان الذي اشاعوه الموت ، فما اجهلهم ! فكل نفس ذائقة الموت :

تمنوا لى الموت الذي يشعب التى

وكل امريء والموت يلتقيان،

وأذكر بهذه المناسبة اني قبل نحو العشر سنين او تزيد كتبت رسالة الى صديقي الاديب التونسي سعيد ابوبكر صاحب ديوان «السعيديات» وديوان «الزهرات» بعد انقطاع مني ومنه عن المراسلة فأجابني أنه فرح برسالتي فرحا عظيما لانه كان

يعدني في حساب الاموات .

وذلك ان بعض المشايخ المشهورين من فاس كان زار تونس فسأله الصديق عني فقال له لقد مات منذ مدة ونعته الصحف ! ولا احتاج ان أقول اني وصديقي المذكور ضحكنا من رقاعة هذا «الحي» الذي ظن أنه سوف لا يموت كما أنني اذكر اني أنشدت في جوابي للصديق سعيد ابى بكر بيت المتنبي :

يا من نعت على كره بمجلسه

كل بما زعم الناعون مرتهن ا

وان كان هنا ما نأسف عليه من هذه الامور، فهو أولاً: سقوط هم هؤلاء الناس الذين لم يروا شفاً ما بأنفسهم من غل وموجدة الا في موت اخصامهم وفقدهم للحياة ، كأنهم مخلصون بعدهم، وكأن في الموت شمانة .

وثانياً : وفاة ذلك الاديب الصديق منذ نحو عامين ، حيث

رثيناه في «الانوار» (ع : 7 ص : 18 و 19) وعرضنا بعض النماذج الحلوة من ادبه الرقيق ، ولعل في هذا ما يذكر هؤلاء الفضوليين بالحقيقة التي يغفلون عنها وهي ان الموت لا يتصرف وحسب الاهواء فقد مات المنعى اليه . ولم يموت المنعى وقد يموت الناعي ويبقى المنعى . ورحم الله من مات ! وهدي

من بقي .

ولا بأس ان نختتم هذه الكلمة ببيتين في الموضوع .
نظمنها فيمن كان من قبيل هؤلاء المرضى بقلوبهم :
اذا حشرجت نفسي وفاضت حشاشتي
وأسبل سجف فوق وجهي نخين
هنالك فأنعوني الى كل شاذي
لعل رضاه في مماتي يكون



بيت جليل

مما لا جدال فيه ان ليس فى المغرب اليوم شخصيات من ذوى الكفايات النادرة فى العلم والادب والسياسة ، ولا فنيون من ذوى التخصص فى فروع المعرفة التي تتقوم بها الشعوب فحملة الشهادات العليا عندنا يعدون على أصابع اليد ومع ذلك فأكثرهم مقبل على شأنه ولم تظهر لحد الان عبقرية خارقة للمعادة في ناحية من نواحي التفكير الانساني او الفن او الاجتماع . واذا نظرنا الى غالب من يشرفون على تسيير المؤسسات العلمية والهيآت السياسية والحركات الاقتصادية في البلاد نجدهم من ذوى الدرجات المتوسطة في الثقافة وممن اقتصروا على المراحل الاولى في التعليم العالي بحيث ربما يكون في أنباعهم او في المتبعدين عن الاعمال العامة من حصل على درجة أعلى منهم فى الثقافة والتعليم .

ولقد تتحول هذه الاعمال شيئا فشيئا بعد زمن قريب الى ايدي أناس من ذوى الكفاءة والمقدرة ، وكلما كثر عدد المتخرجين والمنتهين فى الدراسات الفنية العليا سيطروا على اجهزة العمل السياسى والاقتصادي والوطنى بوجه عام، وحينئذ تكون الحياة السياسية قد استقرت او كادت . والمجتمع

المغربى قد تطور تطورا عظيما . واقتصاديات البلاد قد دخلت فى عهدھا الزاهر فلا جرم ان يجنى هؤلاء المشرفون على مقدرات الوطن ثمار أتعابهم ويمرحوا فى بحبوحة النعيم حيث لا يشاركهم من لم يكن من طبقتهم وحين ينسون من مهد لهم السبيل الى عيشة الرفه هذه تمهيدا . .

بلى إنهم سيزرون على الطبقة المتوسطة ويقولون لها ان عهدھا قد باد ؛ وسيتعجبون من سيطرتها اليوم على مرافق الحياة كيف كانت وكيف كان يتأنى لها تسيير دفة الاعمال التى تولتها وهي بالمكان المتواضع من الثقافة التى تؤهل لذلك ، وأخيرا سيكون نظريهم اليها نظير الارستقراطيين الى الشعب فى المجتمع المبنى على اعتبار الطبقات .

واذا حق هذا غدا فإنه لا يحق اليوم ؛ اذا حق فى زمن الكسل العلمى والجمود الارادى ان يسيطر المختصون ويسود المفتنون فيقبع كل واحد فى ناحية يعمل عمل اليوم فى أشهر ويتقاضى جزاء اتعابه الالوف المؤلفة فإنه لا يحق اليوم وقد طفئ نشاط العاملين على علمهم ورجحت ارادتهم بمقدرتهم ، فلم يبق مرفق من مرافق الحياة لم يشاركوا فيه ولا باب من أبواب الخدمة الاجتماعية لم يدخلوا منه .

ان الاعمال هي التى تظهرنا على قيم الرجال ، والاثار هي

التي تدلنا على اقدار العاملين . وأما العلم ، وأما الشهادات العليا ، اذا كانت زينة لاصحابها وحلية يتميزون بها فقط فلا ينزلون الى الميدان ولا ينفعون بقدر ما انتفعوا ، فهي والعدم سواء . والذي نريد ان نقوله هو ان التقويم الحقيقي للرجل هو ما يحسن ان يعمل ؛ وفي هذه الفترة العصيبة من تاريخ الامة ، فترة الانبعاث لا يحسن ان يعمل الا أصحاب النفوس الكبيرة والارادات القوية ولو كانوا من متوسطي الحال في العلم والمعرفة .

وهل يحسن ذلك الفني المحدود الآفاق ، المسجون في مختبره ان يكون زعيما سياسيا للامة ومديراً لمدرسة او عدة مدارس تشرف على اعداد رجال الغد ، ورئيساً لجمعية او جمعيات لنشاط الشبيبة ، ومستشاراً وموجهاً للأفراد والجماعات المختلفة في الاعمال الاقتصادية والاجتماعية وفي الشرع والقانون ، وكاتباً صحافياً وخطيباً في المحافل وربما اقتضى منه ان يكون واعظاً دينياً ايضا ؟

هل يحسن ذلك الفني هذا كله واكثر من هذا كله ؟ واذا كان الجواب بالنفي - وهو ما لا محيد عنه - فليعرف اذن الجيل الطالع قدر الجيل الراهن وليعلم انها ليست المعارف فقط التي تعلي درجة الانسان ولكنه العمل والعمل الضخم

الذي تنوء به العصبة أو او القوة .

هذا العمل الذي يقوم به اليوم فلان وفلان ممن نعرفهم
ونقدرهم قدرهم والذي لا يستطيع ان يقوم به غدا كل فني
محدود الآفاق مسجون في مختبره هو ان لم يزد في قيمته
عن اعمال الفنيين لا يقصر عنها بحال ، لان العبرة دائما بأثر
العمل في الشعب وينفعه المتعدى الى الغير وقد ضرب هذا
العمل الرقم القياسي في هذا الباب وامتاز بشيء لم نقله بعد
وهو أنه عمل عار عن المنافع الشخصية لصاحبه وانه اذا انتفع
منه بشيء فلا تكون نسبته الى انتفاع العامل المستقبل عشرة
في المائة .

فليذكر الناس اليوم وغدا هذا المجهود الطائل الذي
يبدله افراد لم يؤنوا من سعة المعارف ما يقنع الجيل الطالع
ولكنهم أونوا من قوة الارادة اوفى قسط مكنهم من ان
ينتفعوا بمواهبهم الى أبعد حد .

مؤتمر ادباء العرب

حضرت مؤتمر ادباء العرب الذي انعقد بالقاهرة في دورته الثالثة ، تحت شعار القومية العربية من يوم 9 دجبر 1957 الى يوم 15 منه ، وحضرته وفود البلاد العربية جميعا ، الا المملكة السعودية والاردن ، ولقد كانت حفاوة مصر بضيوفها الادباء حفاوة بالغة ، وكان النزول في فندق سيميراميس الفخم . أما المؤتمر فكان ينعقد يوميا مساءً في قاعة المتحف الزراعي ، على حين يخصص الصباح لزيارة الآثار والمتاحف ودور الكتب والمعامل ومراكز النشاط الاجتماعي وحضور الحفلات الشائقة كحفلة افتتاح عيد العلم الذي وافق انعقاد مؤتمر الادباء وكحفلة اقتبال المجمع اللغوي عضوه الجديد الاستاذ شفيق غربال وغيرهما . هذا الى السهرات السينمائية والتمثيلية او الادبية التي كانت تختتم اليوم المليء ، بالانس والسرور والبهجة ...

ولقد كان اليوم الذي وصلنا فيه ، انا وبقية الرفاق اعضاء الوفد المغربي ، يوم اتصال وتعارف ، اذ كانت أبهاء الفندق تعج بالشخصيات الادبية . من اعضاء الوفود المختلفة . ومن ادباء مصر الذين جاءوا لتحية اصدقائهم وضيوفهم ادباء الاقطار

الشقيقة . وكان الوفد السوري اكبر الوفود على الاطلاق ، اذ
يعد اكثر من عشرين عضوا ، وكان يضم مع ذلك شخصيات
فذة من مثل الاستاذ فؤاد الشائب والدكتور سامى الدهان
والسيدة وداد سكاكيني الكاتبة الادبية المعروفة ، والدكتور
جودة الركابى والدكتور اسعد طلس وسواهم . وكنا منذ
وصولنا قد ارتبطنا بمواعيد مع مندوبى الاذاعة المصرية وصوت
العرب وبعض الصحف والمجلات كجريدة المساء التى كان لها
اهتمام كبير بالمؤتمر وتسجيل وقائمه على اكمل وجه ، ولذلك
فاننا لم نأخذ قسطا من الراحة حتى انغمرنا في هذا الجو
الادبى الرائع . وصرنا ننتقل من ندوة الى ندوة ، ومن حلبة
الى حلبة . تتبادل فيها الآراء وتبارى الملكات . وكان هذا
اللقاء بين ادباء العالم العربى ، وتعرف بعضهم الى بعض ،
شخصيا بعد التعارف الروحى ، من اعظم فوائد هذا المؤتمر ،
ان لم يكن اعظمها على الاطلاق ، كما كان يصرح بذلك من
سبق لهم ان حضروا دورتيه الاوليين من الاعضاء .

وانعقدت الجلسة الاولى للمؤتمر برئاسة السيد كمال الدين
حسين وزير التربية والتعليم نائبا عن الرئيس جمال عبدالناصر .
وقد القى كلمة رحب فيها بوفود الادباء العرب ، باسم مصر التى هي
جزء من العالم العربى ، وتلاه مندوب الجامعة العربية الاستاذ سعيد

فهم فتحدث عن النشاط الادبي للجامعة الذي يتم عملها في الميدان السياسى وما اليه. وتكلم الدكتور طه حسين عن وفد ادباء مصر الذي لوحظ انه لم يشتمل على الاستاذ العقاد ولا على توفيق الحكيم ، فدعا الادباء الى تقدير مسؤولياتهم فيها يكتبون وما ينتجون. ثم تتابع رؤساء الوفود بعد ذلك في لقاء كلماتهم مرتين باعتبار اسماء بلدانهم ، على حروف المعجم . فابتدىء بمندوب الاردن وختم بمندوب اليمن. ولم يكن الاردن ممثلا رسميا ، وانما مثله احد ادبائه المعارضين للنظام القائم فيه . وانتهت جلسة الافتتاح بالعلامة التى القاها الاستاذ يوسف السباعى عن المكتب الدائم للمؤتمر . وقد بذل هذا المكتب مجهودا كبيرا في تنظيم المؤتمر والعمل على نجاحه، وكان من انشط اعضائه الاستاذ محمود العالم والدكتور شكرى فيصل. اما كلمات رؤساء الوفود فكانت كلها تقريبا تدور في فلك واحد هو تحية مصر ورئيسها العظيم ، وتمجيد القومية العربية ، وضرورة تجنيد الادب لخدمة المطامح العليا للعرب وامتازت كلمتا رئيس الوفدين السوري واللبناني ؛ الاستاذ فؤاد الشائب والدكتور سليم حيدر ببلاغة الاعداد وحسن الالتقاء .

وقد ظهر من أول وهلة أن المؤتمر تهزه حمى السياسة أكثر مما تستهويه اريحية الادب، فوفود البلاد الممتحنة كالجزائر

وفلسطين تحظى بمنتهى الرعاية ، وتقابل بالتصفقات الحادة، والتهامس حول المملكة السعودية والاردن بسبب عدم مشاركتهما في المؤتمر ، يرتفع الى ان يصير نقدا للاوضاع السياسية في البلدين ، والموضوع الحساس الذي اختير ليكون محور المداولات في المؤتمر، وهو القومية العربية، كاف وحده لان يجعل من المؤتمر مظهرة سياسية ناجحة، وأشياء أخرى تلاحظ ولا تقال، كل ذلك مما جعل صبغة المؤتمر سياسية اكثر منها أدبية، وهل كان في الامكان غير ذلك؟ ان الشرق العربي يعيش في واقعه السياسي على فوهة بركان ، وكل عمل لا يتجاوب وهذا الواقع مقضى عليه بالفشل . وهل نجح المؤتمر الا بقراراته السياسية؟ اذا فليس هناك توجيه، وإنما هو تعبير، وتعبير بليغ عن إرادة الامة العربية ورغبتها في الحياة الكريمة حياة المجد والعز والشرف وهؤلاء الذين لا يزالون يحملون «ببرجوازية» الفكر «وبرجعاجية» الفن قد فاتتهم القافلة وأصبح ما بينهم وبين واقع الحياة والقومية الواعية في بلادهم خرابا يبابا ! ..

وابتدأت المحاضرات في اليوم الثاني وكان موضوعها الشعر والقومية العربية، فتكلم اولا الدكتور طه حسين باسم الوفد المصري في الموضوع وكان مما قاله : «ان الشعر هو المنشي للقومية العربية أولا . . وهو الذي شارك في تكوينها وتقويتها بعد أن

كونها القرآن . ثم عاد يقول : « والقومية العربية إذا أردنا
 أن نعرف متى تكونت بالمعنى الدقيق لكلمة القومية . فينبغي
 أن نردها الى ظهور الاسلام ، فالمكون الحقيقي للوحدة العربية
 بجميع أنواعها وفروعها؛ الوحدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية
 واللغوية أيضا إنما هو النبي (ص) . هو الذي جاء بالقرآن ودعا
 الى الحق واجتمع حوله الاقلون من اصحابه ، وجعل الأتباع
 يكثرون شيئا فشيئا حتى كانت الهجرة وحتى أسست أول
 مدينة إسلامية وبعبارة ادق أول مدينة عربية منظمة عرفها التاريخ
 ولا أذكر اليمن القديمة لأنني لا أكاد أعرف من حضارتها
 ونظمها شيئا ، الخ . وزاد عميد الادب العربي فقال : « ومن
 غريب الظواهر الادبية التي تلاحظونها في حياة هذه القومية
 الجديدة التي أنشأها الاسلام ، والتي ألغى فيها الفروق بين
 الاجناس ، وألغى فيها أن يكون لعربي على أعجمي فضل إلا
 بالتقوى ، من أغرب الظواهر التي ترونها ان الشعراء الذين
 استأثروا بالشعر وامتازوا فيه وأصبحوا هم السنة الامة العربية
 بمعناها الجديد لم يكن منهم شاعر عربي خالص ، كان بعضهم
 فارسيا وبعضهم قبطيا وبعضهم يونانيا ، الخ . وبعد الدكتور طه
 حسين نكلم الاستاذ ابراهيم العريض من البحرين عن الشعر
 العربي الحديث فقال : « إن لوحته - كما أرى - لطخات من

الاوان تفيض على غير هدى تندمج كلها لتكون رمزاً موحداً
 لا يستطيع القاريء - ولا أقول السامع لاسباب ظاهرة - ادراك
 ما يرمز اليه من تشخيص الذاتية المزدوجة الا باستيعاب اللوحة
 في نظرة كلية شاملة يفترض منه القاؤها من مسافة بعيدة
 لا تتحمل التدقيق والتجزئة وبعده تكلم عن السودان الاستاذ
 عبد الله البنا فألقى بحثاً وضعه بالاشتراك مع الدكتور محيي
 الدين صابر والاستاذ محمد محمد علي من الوفد السوداني . ومما
 جاء فيه « ان الاسلام لم يخلق القومية العربية . ولكنه هذبها
 فحارب العنصرية المتعجرفة ولم يجعل للدم العربي فضلاً على
 دماء الشعوب الاخرى . وساعد على اندماج القبائل في وحدة
 قومية بأسرع مما كان يحدث لو ظلت امداً أطول في جاهليتها ،
 وكانت الكلمة الختمية لمدوب اليمن الاستاذ أحمد الحزان الذي
 تحدث عن الادب العربي في اليمن ومساندته للقومية العربية .
 وفتحت باب المناقشة فتعرض حديث الدكتور طه
 حسين لمواخذات عديدة . منها أن تكون القومية العربية
 لا شيء قبل الاسلام ؛ وان الاسلام هو الذي كونها ، فمن قائل
 ان الاسلام انما كان له فضل تقويتها وتهذيبها اذ كانت موجودة
 قبله ، ومن قائل ان لا أثر للاسلام في ايجاد القومية العربية
 ولا في تقويتها وتهذيبها . وانها كانت موجودة ومتكاملة قبل

ظهور الاسلام ، وبعثة النبي عليه السلام ، «وعليه السلام، هذه من عندي لان الفريق المتحدث بهذه الفكرة كان ممن يندرج في المقطع الثاني من القولة المشهورة لصاحب دلائل الخيرات «عدد من صلى عليه ، وعدد من لم يصل عليه، !

والواقع أن القومية العربية كانت حقيقة ثابتة قبل ظهور الاسلام، وان الشعر كان هو منشئها الاول - كما قال الدكتور اولاً - وان الشاعر الجاهلي لما قال :

قومي هم قتلوا اميم اخي فإذا رميت اصابني سهمي
فلئن عفوت لاعفون جلالاً ولئن بطشت لاوهنن عظمى

انما عبر عن شعور اصيل بهذه القومية وبمفاهيمها الذاتية. وما كان يوم ذى قمار، مهما بولغ في التقليل من اهميته ، الا اعلاناً للخارج عن حقيقة القومية العربية وخصائصها الثابتة. والاعتراض على ذلك بالنزاع الذى كان قائماً بين العرب والحرب القبلية التى لم تخب نارها في وقت من الاوقات ، مردود بما كان للعرب من دول وحكومات منظمة في الجنوب والشمال ، وحديث مملكة سبأ مما سارت بذكره الركبان . على ان الفتن والحروب الداخلية ما انعدمت قط من مجتمع ولو كان بالغاً في الرقي ابعد الغايات ، وحروب اسبارطة واثينا من اول من يحضر في الذهن دليلاً على ذلك.

اما الاسلام فهو دعوة انسانية عامة لا شأن لها بالقومية العربية
 ولا بغيرها من القوميات حتى تكون هي التي كملتها وقوتها
 فأحرى ان لا تكون هي التي كوئنتها وانشأتها . ولعل الذين
 قالوا ان الاسلام هذب القومية العربية فنفي عنها العنصرية
 والاعتزاز بالجنس كانوا اقرب الى الصواب ، على ان يعمموا
 حكمهم هذا بالنسبة الى الاسلام على القوميات كلها عربية ،
 وغير عربية ، فقد كان من خصائص نبي الاسلام انه كما قال
 بعث الى الناس عامة ، وكان النبي يبعث الى قومه خاصة .
 ومن اقواله المأثورة : لا فضل لعربي على عجمي ولا لاحمر
 على اسود الا بالتقوى . وفي القرآن الذي هو دستور الرسالة
 المحمدية «يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم
 شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم ، نعم فقد
 هذب الاسلام القومية العربية ونحابها نحو روح الدعوة السامية
 التي اتى بها ليتسنى للعرب ان يكونوا رسل سلام وهدى
 ورحمة للبشرية جمعاء . وقد استطاعوا ان يقوموا بهذا الدور
 العظيم مدة حياته (ص) وايام الخلفاء الراشدين (ض) لما كانت
 الفوارق الجنسية معدومة ، وكان بلال وصهيب وامثالهما ،
 يتقدمون عند عمر على امثال أبي سفيان وعمر بن وهيل
 ابن الحرث بن هشام من تلك الرؤوس . فلما اراد بنو أمية ان

يبعثوها بدعة وان يرجعوا بالقوم على حافة الجاهلية انتقض امرهم واصطدموا بالقوميات العديدة التي كانت قد انضوت تحت لواء الاسلام ، فكانت هي القاضية عليهم . فمن هذا نعرف ان الاسلام لم يات لاسناد قومية ما ، وانه بوثقة تنصهر فيها القوميات الضيقة لتصير دعوة انسانية عامة تسوق البشر لما هو خير لهم بالذات .

ومما تعرض للمواخذة من حديث الدكتور طه حسين قوله عن اليمن القديمة انه لا يكاد يعرف من حضارتها ونظمها شيئاً ، فقد انكر الوفد اليمنى قوله هذا ، و اشار الى ان الكتب مشحونة بالحديث عن اليمن وحضارتها القديمة ، وانها هي العربية السعيدة التي تحدث عنها كثير من المؤرخين الاجانب . قدماء ومحدثين ، وحسبنا ما ذكره القرآن العظيم عنها وما نوه به من امرها فكيف يتجاهلها عميد الادب العربى هذا التجاهل ؟ . ومما أخذ على الدكتور طه حسين ايضا قوله ان الشعراء الذين اصبحوا لسان الامة العربية بعد قيام دولتها لم يكن منهم عربى خالص ، فكيف نسى الدكتور شعراء دولة بنى امية واكثرهم ان لم نقل كلهم عرب خالص ؟ ولا يختلف الامر عن ذلك كثيراً فى شعراء دولة بنى العباس . بل اننا اذا دققنا النظر نجد ان من اشار اليهم الدكتور لم يكونوا ألسنة الامة العربية ولا شعراءها الناطقين باسمها ، وانما كانوا من

الشعوبية والخارجين على العروبة والقومية العربية . والخلاصة ان المناقشة حول حديث الدكتور كانت حادة وانها كادت تستأثر بالجلسة كلها .

وفي اليوم الثالث كان موضوع الحديث النشر والقومية العربية ، فالقى الاستاذ يعقوب عويس ممثل الاردن كلمة اهاب فيها بالادباء العرب ان يتحملوا مسؤولياتهم امام الاخطار التي تهدد الشعوب العربية وان يجدوا في التعبير عن رغبات هذه الشعوب ومطامحها العليا . وبعده تكلم الاستاذ كامل السوافيري من فلسطين فقال : نريد بالقومية العربية ذلك الشعور الذي يجمع الامة العربية الواحدة، التي تسكن الوطن العربي الواحد . والتي تربط بين ابنائها الى جانب اللغة العربية روابط التاريخ والبيئة والجغرافية والمصالح المشتركة والدين، ثم تكلم الاستاذ محمود تيمور من مصر، فاشار الى الصراع الذي قام بين دعاة القومية العربية والمناهضين لها في اوائل هذا القرن، ونوه بكل من الاديب الحر والاديب القومي من حيث انهما معا يلتقيان في النهاية على صعيد العمل لمجد الامة وعز الوطن . وفتحت المناقشة بعد ذلك فكانت معركة حامية، من جانب واحد ، حول اعتبار الدين مقوما من مقومات القومية العربية . وذلك بسبب ورود كلمة الدين 'فقط' في حديث الاستاذ السوافيري . وكان مما قاله احد المندوبين اللبنانيين : اننا

لا نقيم بناء القومية العربية على اساس دينى . لان واقع التاريخ لا يمكنه ان يتجاهل جهود الشعوب العربية غير المسلمة فى حقل القومية العربية واستعرض اسماء بعض الادباء المسيحيين الذين ساهموا فى حركة البعث العربى . ولا نذكرى كيف استقام له اعتبار الدين من مقومات القومية العربية متناقبا مع واقع التاريخ ؟ فهل إن العرب ، مسلمين ومسيحيين ، غير متدينين فى حياتهم الواقعية . ولماذا كان ذلك تجاهلا لجهود الشعوب العربية غير المسلمة ولم يكن تجاهلا ايضا لجهود الشعوب العربية المسلمة ، ولم يقل احد بأن المراد بالدين هنا هو الاسلام خاصة ؟ كان الاولى فى التعليل ان يقال : اننا لا نريد ان نبني قوميتنا على اساس دينى ، لان الدين انما هو خرافة قديمة او هو افئون الشعوب كما يقول الماركسيون اما التحكك بالمسيحيين وهم لا يقلون ندينا عن المسلمين فليس بعلة مقبولة . . . وقال مندوب لبنانى آخر : اننا لا نقبل أن نقيم القومية العربية على أساس من الدين ، لا للأسباب المذكورة ولكن لان الدين ، أساسا لم يعد يصلح مقوما علميا لقوميتنا ، ولم يكن ينقص هذه الدعوى العريضة الا شيء قليل من التعميم فيقول حضرته ان الدين أساسا لم يعد مقوما علميا للقوميات مطلقا ، لتسلم من المعارضة لان ما لا يصلح للقومية العربية لا

يصلح غيرها، إذ أنها ليست بدعا من القوميات السائدة في العالم
 وأسهم الدكتور طه حسين في المناقشة ليناصر الذين
 يقولون بإبعاد الدين عن حظيرة القومية العربية، بعد أن كان
 قال في حديثه السابق أن الإسلام هو الذي كون هذه القومية
 وقال في هذا الصدد بالخصوص: «إننا نذكر على الغرب إقامته
 دولة إسرائيل، في بلاد العرب، على أساس ديني، كأن الغرب
 لو أقام دولة إسرائيل، في بلاد العرب على غير أساس الدين
 لما كنا نذكر ذلك عليه... وهنا نتساءل هل نسي الذين
 لا يقبلون إقامة القومية العربية على أساس من الدين، أن هذه
 القومية الاسرائيلية التي ليس لها أساس إلا الدين هي التي
 أرغمت معاطس سبع دول عربية وطامنت من غلوا هؤلاء الأدباء
 العرب الذين كانوا يملأون الدنيا حماسة وتعاليا، فصاروا
 يملأونها شكوى وتباكيا؟ بل من الذي جر أولئك الأدباء
 الإنسانيين، المتنسكين في الأبراج العاجية إلى الاهتمام بشعور
 قومهم والاحساس بكرامتهم المهانة، حتى انبعثوا للمشاركة في
 هذا المؤتمر الذي عقد تحت شعار القومية العربية، غير أولئك
 الأوباش الأفاقين الذين لارابطة تجمعهم إلا رابطة الدين، وبها
 هزوا العالم العربي هذه الهزة العنيفة التي أفاق معها كل حالم
 وصحا كل سكران...

لقد وجدت في عصرنا هذا دولة من أعظم دول الشرق وهي الباكستان ، ولم يكن السبب في وجودها الا الدين فهل قلل ذلك من أهميتها في الميدان الدولي او كان سببا في ضعف كيائها الداخلي . . ان فرنسا ما انهزمت في الحرب العالمية الثانية فلك الهزيمة الشنعاء برغم قوتها المادية العظيمة الا لانها لم تكن تنطوي على عقيدة دينية متينة . وبذلك ضعفت معنوياتها وانعدمت منها روح المقاومة ، فوشكان ما وقعت تحت سنانك خيل الاعداء . . وذلك ما جعلها تستفيق من غشيتها على اثر صيحات المفكرين والمصلحين الاجتماعيين فتتدارك الامر بالدعوة الى الرجوع للكنيسة وتمتين روابط الاسرة واقامة بناء المجتمع على اساس الاخلاق الفاضلة والمثل العليا . ان العرب المسيحيين يجب ان يفهموا ان العرب المسلمين كثرة لاحاجة ندعوهم الى التبشير بالاسلام ليزيد عددهم واحدا الى سبعين ، والفئة التي تملقهم من المسلمين كالفئة المتعصبة منهم ، ليست هي التي تبنى مستقبل العرب وذخري مجدهم الدائر لانها قلة من الجانبين . على ان مشكلة العرب . مسيحيين كانوا او مسلمين ، ليست مشكلة عدد بل نوع ، وكيف لاكم . فليكفوا عن هذا الهراء الذي يصرفون فيه اعمارهم بدون طائل ، ولينصرفوا الى العمل الجدي الذي

يعلي من شأنهم وشأن وطنهم ، وفي القدر المشترك ، والقاسم
الاعظم من تعاليم المسيحية والاسلام ما يكفي ليجعلهم دائما
اخوانا متحابين ، ذوي عقيدة ثابتة وإيمان صحيح ، فضلا عن
المقومات الاخرى لقوميتهم التي تتغلغل في مجاهل التاريخ
الى ماض سحيق .

كانت الاحاديث في هذا اليوم ثلاثة فقط ، وكانت
قصيرة في الجملة . فطالت مدة المناقشة على حساب قصر مدة
الحديث ، وكان الجمهور يفاجأ بمثل ما ذكرته من تلك
الحملات الصاخبة ، والغريب أن أبطالها كلهم كانوا من
المسلمين ، ولم يستطع احد أن ينبري للرد عليهم الا بالتورية
والتلميح كما فعل الدكتور شكري فيصل والاستاذ
سعيد العريان . ان الجو كانت تسيطر عليه السياسة الداخلية
للبلاد العربية ، فلذلك لم يستطع احد أن يفتحها . وكثر الجدل
حول مفهوم القومية العربية حتى قام بعض الاساتذة وطلب من
المؤتمر ان يدعو الاستاذ ساطعا الحصري لالقاء محاضرة في
القومية العربية على المؤتمرين ، وكان الاستاذ الحصري حاضرا
وكانت نكتة فيها سخرية لاذعة !

وفي اليوم الرابع كان موضوع الحديث «النقد
والقومية العربية» فتكلم الدكتور عبد الستار الجواري

مندوب العراق عن الادب العربي وغزو الشعوبية له قديما وحديثا بغية النفوذ منه الى النيل من القومية العربية . ثم تكلم الاستاذ رؤيف الخوري من لبنان في الموضوع فقال «ان القومية العربية التي نعيشها هي ظاهرة حديثة جدا . انها جديدة تحررية تطورية، وتسال بعد ذلك «ما عسى أن يكون بالضبط هذا النقد الادبي الجديد المتحرر الذي يخدم قوميتنا العربية التحررية الجديدة . . ثم قال «ان ذلك لن يكون ممكنا كل الامكان الا ان تتجاوز القومية العربية التحررية في انفسنا طور الشعارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية لتصبح وجهة نظر شاملة تنظر بها الى الوجود . وفلسفة حياة نعيشها بمثلها في كل نبضة من نبضات وجداننا ، وفي كل موقف نقفه من الاشياء والاحداث . وفي كل عمل نعمله ، . وتكلمت بعده الدكتور سهير القلماوي من مصر، فتحدثت عن مفهوم القومية العربية ، وتعبير الادب عن هذا المفهوم الذي وقف النقاد منه مواقف غامضة غير محدودة ، وأخيرا تكلم كاتب هذه السطور عن المغرب، فالقى خطابا تناول فيه بالنقد النظرية الاقليمية في الادب من حيث منافاتها للقومية العربية وأشار إلى أن رسالة الادب العربي يجب أن تكون جادة وهادفة. ونوقشت الابحاث بعد ذلك مناقشة مقاربة ، لانها لم تتناول منها الا العرض ، وأما

الجوهر فيظهر انه لم يكن ثمة خلاف حوله . بل صرح بعض المتكلمين ان المؤتمر منذ يومه هذا صار جادا . يهدف للغاية التي اجتمع من أجلها .

وكان اليوم الخامس يوم جمعة وقد استغرقت كلة الرحلة التي قام بها المؤتمر الى مديرية التحرير ، فلم ينعقد المؤتمر .

وفي اليوم السادس كانت الجلسة الخامسة للمؤتمر ، وكان موضوع الحديث «حماية الاديب والقومية العربية» ، فألقى الاستاذ محمود المسعدي من تونس بحثا دعا فيه الى حرية الاديب المطلقة ، في ميدان الفكر ، اطلاقا لاتقييد فيه ولا تضيق قال «فلا نحاول حصره في «ايدولوجية» معينة ، فنحمله على الماركسية مثلا او على ما يقابلها من مذاهب فكرية غربية او شرقية ولا نرى ربط شعوره بقومية معينة قد تفيض عنها نفسه الكبيرة ، ولا حبسه في ثقافة دون غيرها» ثم تكلم بعده الدكتور جودة الركابي من سوريا ، فقال «ان حماية الاديب يجب ان تاتي على انها عون ومساعدة وتشجيع واحكام ، وتقدير وتفتيح آفاق لا على انها الزام واحراه . فعلى الاديب ان توجه اليه الحماية ليخدم لا يشعر بالتبعية» ، وبعده القي بحث الاستاذ الشيخ محمد البشير الابراهيمى من الجزائر ، القاه بالنيابة عنه

الاستاذ ابو محمد صالح . وقد اشاد بما كان للاديب العربى من مكانة في الماضى عند الخلفاء والملوك وقال بوجوب حمايته فى العصر الحاضر من كل ما يعوق شخصيته عن الظهور، وحماية انتاجه . وكانت كلمة الختام للاستاذ احمد العدواني من الكويت ، فدعا الى ضمان الحرية للاديب العربى وضمان مستقبله وشيخوخته، واقترح سن قانون موحد للملكية الادبية، ورفع القيود المفروضة على تنقل الكتاب العربى، وانشاء اتحاد عام للادباء العرب ، وتلا ذلك مناقشة الكلمات ، فتعرضت كلمة الاستاذ المسعدى لحملة شعواء من كثير من النقاد اذ اعتبرت خارجة عن النطاق الذى انعقد فيه المؤتمر ، ومناهضة لادب الالتزام وفكرة القومية العربية العامة . وبالف بعض الادباء ففاه بكلمات ذابية لم يكن هناك مبرر مطلقا لتفوهه بها ، لا سيما وان حرية الاديب ، وعدم قسره على الالتزام والادب الهادف ، مما جاء في كلمات كثير من المتحدثين في المؤتمر ، ودافع عنه كثير من الذين شاركوا في المناقشات العامة مدة انعقاده . فالامر يتعلق بحملة ، اكثر من شارك فيها انما اندفع اليها بغير شعور .

وفي اليوم السابع كان اجتماع رؤساء الوفود في المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب ، وذلك لتحرير التوصيات

والقرارات العامة للمؤتمر ، وقد استغرق العمل سحابة اليوم ،
ومن ثم كان الانصراف الى الجلسة الختامية في المتحف
الزراعى لعرضها على الجمهور . وكانت جلسة حافلة ترأسها
الاستاذ يوسف السباعى في حين ان الجلسات السابقة كان
يتراسها شخصيات من اعضاء الوفود المختلفة . ونليت النصوص
فلم تستهدف لمناقشة جوهرية ، بل سرعان ما اقرت صيغتها
النهائية التى كانت تقابل بالتصفيات الحادة . وتكهرب الجو ،
خاصة ، بالبيان الذي اصدره المؤتمر عن الجزائر نايبدا
لكفاحها المقدس من اجل حريتها واستقلالها واستنكاراً لحرب
الابادة التى يشنها عليها الاستعمار الفرنسى الغاشم ، ثم بالبرقية
الموجهة من المؤتمر الى سكرتير الامم المتحدة فى الموضوع .
وقد كنا عملنا نحن مندوبى اقطار المغرب العربى الثلاثة ،
داخل جلسة التوصيات والقرارات العامة . على فصل قضية
الجزائر عن بقية القضايا العربية واعطائها حق الاولوية من
بين تلك القضايا لكونها مشكلة الساعة فى العالم العربى ،
وكان الاخوان الفلسطينيون يعارضون فى ذلك واخيرا اقتنعوا
بصواب الفكرة وان توجيه الجهود الى معالجة مأساة الجزائر
لا يعنى نسيان القضية الفلسطينية ولا غيرها من قضايا البلاد
العربية الاخرى التى ستضمن جميعها فى البيان العام الذى

يصدره المؤتمر موجهاً الى ادباء العالم . وهكذا صدر البيان الخاص بالجزائر والبرقية الموجهة الى الامم المتحدة . ثم البيان العام الى ادباء العالم وهو يتضمن ايضا قضية الجزائر . بالاضافة الى قضية فلسطين وعمان واليمن . وما تلاقيه هذه البلاد العربية من طغيان الاستعمار الغربى واعتدائه على أهلها المسالمين ، ودعوة هؤلاء الادباء الى التضامن مع الامة العربية واستنكار ما يقوم به المستعمرون من اعتداء سافر على حريتها وحقها فى الحياة الكريمة وحماية كيائها وتقرير مصيرها . وكان هذا الموقف الصريح الذي وقفه المؤتمر من سياسة الغرب الاستعمارية فى البلاد العربية اقتصارا عظيما لدعاة القومية العربية ونجاحا باهرا أحرز عليه المؤتمر فى الاوساط الوطنية للبلاد العربية جميعا . يضاف الى ذلك التوصيات العامة التي صدرت عن المؤتمر ، وكلها تسجل تطورا قوميا واعيا فى السياسة العربية وجميع نواحي النشاط الفكرى والثقافى للشعب العربى . فالقومية العربية «اعراب عن عزم نضالى من أجل حرية الامة، العربية ووحدةها . لتستطيع ان تسهم اسهاما فعالا فى بناء عالم متحرر من آفات الاستعمار ومآثم العدوان . . . وهى مشروع انساني نحو تحقيق مثل خلقية رفيعة فى المدى القومى والمجال الانسانى ، مبرئة نفسها من كل لوثة عصبية سواء أكانت

طائفية أم عنصرية أم اقليمية . والاديب العربي عليه أن يذكر أن واجبه نحو قوميته «يركز واجباته نحو نفسه ونحو انسانيته ويوجهها في هذه الحقبة حول الغايات النبيلة التي يتجه اليها العرب في الوحدة والتحرر . والقيم المثلى التي يهدفون اليها في الانعتاق من ربقة الجهل والضلالة ، والاندفاع في طرق العيش الكريمة واغناء الحياة الانسانية بكل قواهم الذكية المعطلة . واستعادة المنزلة الكريمة التي كانت لهم في اطوار حياتهم الماضية ،

ولحماية الاديب العربي ، أوصى المؤتمر الكتاب العرب «الا يتعاونوا مع دور النشر التي تسيء الى رسالة الادب والحرية والقومية العربية بنشر كتب الدعاية الاستعمارية والتفرقة والتعصب، والتوصية تلمح ، ولا شك ، إلى مؤسسة فرنكولين الامريكية والمكتبات والادباء الذين يتعاونون معها في العالم العربي وقد تجاوزت انحاء قاعة المؤتمر بالتصفيق تأييدا لهذه التوصية . وخجل ناس ممن كانت التوصية تعنيهم . وشجب المؤتمر اللهجات العامية ودعاتها الذين يقوضون اهم اركان القومية العربية فأوصى بإشاعة التدريس باللغة العربية الفصيحة في جميع مراحل الدراسة ، وهذه التوصية تعني بعض الاساتذة المصريين الذين يفضلون القاء دروسهم في الكليات والمدارس

العلما بالعامة المصرية، والذين ارتفعت الشكاية منهم فى بعض جلسات المؤتمر. ومن الغريب ان بعض الاساتذة من هؤلاء اراد المشاركة فى احدى المناقشات بالمؤتمر وطلب السماح له بالتكلم بالمصرى، فمنعه رئيس الجلسة. وكان هو الدكتور سامى الدهان، فالح هذا الاستاذ فى الطلب، وأصر الرئيس على المنع، فلم يسع «الاستاذ» الا الانسحاب بدون كلام. وهذا التمسك بالعامة من بعض المصريين لا يشابهه الا التمسك بالفرنسية من بعض المغاربة؛ هدى الله الجانبين؛

وتوصيات المؤتمر كثيرة يطول بنا تتبعها، وآخرها توصية بإنشاء اتحاد عام للادباء العرب ومجلة ادبية تكون لسانا لهذا الاتحاد. وهكذا ختم مؤتمر ادباء العرب دورته الثالثة التى كانت مظهرة ثقافية ناجحة بل انتفاضة قومية عظيمة، لها ما بعدها.

وبنتهى الكلام عن المؤتمر ولا ينتهى عن ظروفه وملابساته، وما جرى فى اثناء انعقاده من حفلات وزيارات ومشاهدات. وقد كان اقتبال السيد الرئيس جمال عبد الناصر لاعضاء المؤتمر من احظى هذه الماجريات. ذلك الاقتبال الذى جرى فى قصر القبة ضحى يوم الاحد 15 من الشهر، فصاح سيادته بحماس وتودد لجميع اعضاء الوفود والقى فيهم كلمة ترحيب وقال لهم: «انكم عامل أساسى من عوامل القومية العربية».

وكان الاستاذ العقاد من بين الحاضرين .

ومن الحفلات الرائعة التى حضرناها حفلة توزيع جوائز الدولة بدار الحكمة صباح يوم الخميس 12 من الشهر ، وكانت الجوائز اربعا ، وقدرها الف جنيه مصرى لكل جائزة فى الطب ، والعلوم ، والهندسة ، والادب . وقد القى فيها الدكتور كامل حسين الذي فاز بجائزه الادب على قصته قرية ظالمة خطابا عظيما استمر فى القائه قرابة ساعة ، بتأن وترتيل ، وكان يحتوي على افكار عميقة ومعلومات طريفة . وكان القاؤه له ارتجاليا فى الغالب وكان من ابداع ما سمع . ادباء العالم العربى ، بحيث ندم الذين فازهم على تخلفهم عن الحضور فى هذه الحفلة .

وكانت حفلة جمعية الادباء التى اقيمت يوم الاربعاء 11 من الشهر على الساعة التاسعة ليلا فى القاعة الذهبية بمتحف المنيل ، من اروع الحفلات ايضا ، ومن الحفلات التى لها صلة ماسة بالمؤتمر ، وقد حضرها اكثر من مائة شاعر ، وتبارى الشعراء فى الانشاد اول الامر ، فكان من احسن من سمعناهم الاستاذ ابراهيم العريض ، والاستاذ شوقى بغدادى . والشاعرة العراقية المعروفة نازك الملائكة ، ومواطنتها الدكتورة عاتكة الخزرجى ، وشعرها يتناول الموضوعات السياسية ولا يكسر عمود العروض

كأحسن ما انت سامع من شعر شوقى والجارم وتلك الطبقة .
وفى ثانى حال عرضت مناظر من الرقص الشعبى والالعاب
البلدية مما يسمى بالفولكور ولم تنته الحفلة الا بعد منتصف
الليل .

وان أنس لا انسى دعوة كريمة . وان كانت خاصة، لمأدبة
عشاء اقامها الصديق الاستاذ عادل الغضبان فى بيته الجميل
المشرف على النيل وقد اشتملت على النخبة من ادباء العروبة،
ورجال الفكر والقلم . وكان من حضورها بعض السيدات
المهذبات ، والموسيقار الشهير سامى الشوا . فلم نشعر كيف
انقضت تلك السهرة على طولها بين الاحاديث الطلية وانشاد
الشعر والتملى بانغام الموسيقى الحية . انها انقضت، سريعا، كما
تنقضى سائر اوقات السرور .



كتاب الغصون الياضعة

في محاسن شعراء المائة السابعة

تحقيق الاستاذ ابراهيم الابيارى

وهذا كتاب آخر لابن سعيد المغربى ، صاحب كتاب المغرب . يرى النور بعد ما لبث في ظلمات الخزائن قرونا عدة . على يد خريت ماهر . خبير بخبايا الدفاتر ، هو الاستاذ ابراهيم الابيارى . صلة الاستاذ الابيارى بالمغرب قديمة ، وعلاقته بالمغاربة قدماء ومحدثين وطيدة . فكثير من طلبتنا درس عليه واقتبس من علمه . وكثير من أثار علمائنا ما كان ليمرز للوجود لولا عنايته وتهمسه به . ومنها كتاب الغصون الياضعة الذي بين يدينا الآن . فقد قام الاستاذ الابيارى عليه خير قيام . قدم له بمقدمة عرف فيها بقيمته . واثبت بالادلة القاطعة نسبته لابن سعيد . وحقق نصه أتم تحقيق ، فضبطه وشرح ما فيه من الغريب ، وترجم للاعلام الواردة فيه او أحال على مظان ترجمتها ، والحقه بفهارس لمحتوياته من اسماء الاعلام والقبائل والاماكن والكتب والابيات الشعرية ، فضلا عن اسماء الشعراء المترجمين في الكتاب وهذه هي الطريقة العلمية التى تملو

ولا يعلى عليها فى تحقيق الكتب القديمة ونشرها . والتى
لا تقل فيما تكلف من تعب ونصب عن تأليف الكتب ووضعها
من الاصل (وما يعقلها الا العالمون) .

وصلت بكتاب الفصوص الياضة قديمة . ترجع الى سنة
1940 حين اطلعت عليه بمكتبة الاسكوريال ، ونقلت منه بعض
التراجم المغربية . وقد تذاكرت حينذاك فى شأنه وشأن مؤلفه
مع صديقى الاب نيمسيو موراطا المكلف بقسم المخطوطات فى
المكتبة المذكورة ، فأحالى على بحث نشر حوله فى احد
اعداد مجلة الاندلس . اثبت انه من مؤلفات علي بن سعيد
المغربى . ثم بعد ذلك بنحو عشر سنين أخذت منه صورة
فتوغرافية لمعهد مولاي الحسن . واهتم به بعض الادباء فى
تطوان محاولا نشره فلم يفعل شيئا ، وكأن الاقدار انما ادخرت
فضل هذا العمل للاستاذ الابيارى لانها علمت انه لا يستطيع
احد ان يفرى فريه فى ذلك ، وزاده اخراج دار المعارف له فى
هذه الحلة القشبية رونقا وجمالا .

وعلى انى طالعت هذا الكتاب فى أصله ، فقد حبيب الى
ان اقرأه مرة ثانية فى هذا الطبع الرائق ، خصوصا وان قراءة
الاصل متعبة جدا ، لرداءة خطه . واثناء مطالعتى له ، لاحظت
بعض المآخذ الطفيفة . والاغلاط الخفيفة ، منها ما يتعلق بالطبع

ومنها ما يتعلق بالقراءة، فاردت ان أنبه عليها في هذا المقال.
وذلك من دلائل اعجابى بالكتاب وتقديرى لمحققه ، والا فما
كنت لاتجاوب وهذا العمل او لم يكن يستحق التنويه ويكتف
بالكمال او يكاد ، عدا ما يدفع العين ويحقق بشرية من
صدر عنه .

فأول ذلك ما اشار اليه المحقق الفاضل في مقدمة الكتاب
ص . . ك - من عبارة التمليك هذه التى كتبت على الورقة
الاولى من المخطوط (لمحمد بن عبد الرحمن بن الحكيم) فانه
جعل هذا الاسم الاخير . . الحكم ، وهو في الاصل الحكيم .
والشخص هو الوزير ابن الحكيم رفيق ابن رشيد فى رحلته .
والمترجم فى الاحاطة بما لا مزيد عليه من التنويه . وهو اشهر
من ان يعرف .

ثم العبارة الثانية التى تفيد ان الكتاب كان فى ملك زيدان
ابن المنصور وهى . . (الحمد لله. تملك هذا الكتاب عبد الله المعتمد
عليه المفوض أموره اليه أمير المؤمنين زيدان ابن أمير المؤمنين
ابن أمير المؤمنين أصلح الله أحواله) وقد اشتبهت على حضرة
المحقق فقرأ بعد اسم زيدان . . مراکش الفهري . . ولا يخفى
ان هذا الكتاب هو من جملة الكتب التى كانت لمولاي زيدان
ابن المنصور السعدي واخذها القرصان الى اسبانيا فضمت الى مكتبة

«الاسكوريال» ويوجد على هذه الكتب كلها عبارة التماسك بخط المنصور نفسه او بخط ولده زيدان ، ولا محل في اسمى الملكين معا للفهرري لانها من دوحه الاشراف العلويين المعروفين بالسعديين .

وفي ص 7 وقعت هذه العبارة «والنهوض الى الطبقة العالية ذات الاعراب والابداع» والاعراب هنا وان صح ان يراد به البيان لانه احد معانيه ، الا ان قصد المؤلف هو الاغراب بالغين المعجمة ، وهو كذلك في الاصل ، وربما كانت نقطة الغين سقطت عند الطبع . وفي ص 9 اثناء تعليق لحضرة المحقق ما نصه . . «وتم كتاب آخر لابن سعيد . وهو زبدة الحلب» واطن ان هذا سبق قلم، فزبدة الحلب هو لابن العديم المذكور تاريخه في التعليق ، جعله كالمختصر لذلك التاريخ وعبارة «وتم كتاب آخر» ربما أشعرت بهذا السابق القلمي . وفي ص 12 «اطلعت واسطة من عقد شعرائها» والصواب في عقد ، وفيها ايضا . . ذاكرت بعض علماء بلدي في شأنه فنوه باسمه وأنشدني له «الصواب أحد علماء بلده» والخطآن يصح ان يكونا من الطبع . وفي ص 13 وقع هذان البيتان .

فجر الصبا في وجنتيه غدا يموج مثل البحر الجائل
أما تراه اذ طفا ماؤه قد قذف العنبر في الساحل

والذي تعطيه قراءة الاصل أنه بحر الصبا لا فجره ، وهو المناسب لقوله يموج ولمعنى البيت التالى ، على ان هذا البحر الجائل الممثل به غير واضح المعنى ، ولا واضح اللفظ في الاصل فليحذر ، وضبطت ناء أما تراه بضمة والصواب فتحها .

وفى نفس الصفحة جاءت أبيات شعرية ذكر المحقق أنها من مجزوء المديد، وهي من مجزوء الرمل، وهذا أولها ليستدل به
وبدع أطلع الآس بروض الجنار
على ان المديد لا يستعمل الا مجزوءا فلا يحتاج الى النص على أنه مجزوء .

وفى ص 25 يقول المؤلف فى شعر لبعض من ترجمه من الادباء «وهو من المحاسن التى لا يجب ان تغفل، مكان يجب أن لا تغفل ، فهذا التعبير الخطأ الذي يقع لبعض كتابنا اليوم مزمن . ولا أقول قديم ليلا يظن صحته بالقدمة .

وفى ص 32 والتى تليها تردد اسم الشاعر ابن بقى مضبوطا بتشديد القاف وأظن ان هذا التشديد خطأ . لان هذا الاسم أصله الفعل وان قلنا أنه منقول عن الصفة فحق التشديد ان يكون على الياء .

وفى صفحة 38 يقول المحقق الفاضل فى طريانة . . أنها بفتح فسكون «المنارة التى امام اشبيلية على الجانب الغربى

والمعروف فى ضبطها أنها بكسر الطاء ، ثم هي الجانب الغربى من مدينة اشبيلية او الناحية الواقعة غربى النهر الكبير منها . لا المنارة التى امام اشبيلية ولعل اصل الكلمة المناره اى أمكنة النزهة والفسحة فتصحفت فى الطبع بالمنارة .

وفى صفحة 48 . . وكان كثير الاجمال والمطايبة والمرح والصواب وكان كثير الاحتمال . . وفيها «ووتد» بالكسر وصوابه ان يكون مرفوعا وهو وما بعده جملة فى موضع الحال وفيها «والفندق الذي ذبح فيه ابن الياسمين» والصواب ابن خاقان وهو سبق قلم ولا شك؛ واقع كذلك فى الاصل ، وتتابع فيه حضرة المحقق .

وفى ص 44 فليحزن الكتاب ما قد غاله . وتكرر هذا الشطر فيها مرتين هكذا . وصواب الكلمة الاولى فليحذر . وفى ص 48 هذا البيت . .

بذاك النارنج وهو كأنما يريك على الاجياددرا منضدا
والشطر الاول غير متزن كما لا يخفى وصوابه :
. . بدا لك للنارنج زهر كأنما . .

وفى ص 49 وقع ذكر العلامة ابي الحجاج بن نموي بالواو مصحفا الى نمري بالراء ، فى الاصل وفى التعليق . . ومصدر ترجمته الذي ذكره الاستاذ المحقق قد اثبتته بالواو ، وفيها

أيضا قطعتان من الشعر كتب عليهما أنهما من مجزوء المديد
وهما من مجزوء الرمل . .

وفي ص 52 . . وردت قطعة شعر اولها .

ثار شوقي الى الحمى وهوى الخرد الدمى
وتذكرت ما خلا من نعيم نصرما
فجاء قول الشاعر مصحفا الى وتذكري وهو كذلك لايتزن
ولا ينسجم مع ما عطف عليه . وفي ختام هذه الابيات يقول
الشاعر . .

ايها المبتلي به عش كئيبا متيما

والذي جاء لاحيا فيه صبا ومغرما

قل له دع سبيله وانج منه مسلما

وقد ثبت البيت الوسط منها في الكتاب هكذا . .

والذي جاء لاحيا فيه صار مغرما

ولا يخفى ما فيه من اختلال الوزن وقطع الارتباط بالبيت
الذي بعده . وفي صفحة 55 كتب على بيتي شعر أنهما من
الكامل . وهما رجز . وهذا نصهما . .

يا ظبي سنجار أما نرثي لمن قد صار من أجلك في كف الاجل
قد كان مشغولا بدرس علمه فالיום لا علم بقي ولا عمل
وقد زيد في كلمة بدرس الف فصارت بدارس وهو تصحيف

فقط . وفى ص 62 هذا البيت :

اياك من صحبة السلطان ان لها

صفوا يروق ولكن غبه كدر

وقد أثبت اوله هكذا (ايا لمعز صحبة) وهو غير صحيح

وفى ص 69 وقع هذا البيت من شعر كثير ..

حيثك عزة بعد الهجر وانصرفت

فحى ويحك ، من حياك يا جمل

مضبوطاً بكسر الكاف من حياك وضم الجيم من جمل

والصواب فتح الكاف خطاباً للجمل وفتح الجيم من جمل ،

وهو جمل الشاعر الذي خاطبه بأبيات منها هذا . ولها قصة في

كتب الادب .

وفى ص 77 أبيات في وصف مطر غزير عاق الشاعر عن

زيارة ، منها هذا البيت ..

ملأ الارض وحولا أصبحت وهي مثل الحبر هلك الحبر

وقد صحفت فيه كلمة هلك بهلا فانطمس معناه . والشاعر

يقصد أن هذه الوحول التى هى فى لونها العالك مثل الحبر

بكسر فسكون اى المداد صارت هلكا ومضيعة للحبر بكسر

ففتح اى اللباس والثياب وفى ص 82 .

من لصب فوق فرش ضنى أبداً يبرأ ويتكس

جفنه بالدمع منطلق وكراه عنه محتبس
 جهل العواد موضعه فهداهم نحوه النفس

وقد جاء عجز البيت الاول فى الكتاب هكذا.. أبداً فبرؤه
 ينتكس، ولا يصح من جهة الوزن والقافية ثم ان البيت الثالث
 ثبت فى الاصل هكذا.. جهل العذال .. وكذلك أثبتته الاستاذ
 المحقق ، ولكنه غفل عن طرة جاء فيها .. العواد وفوقها كلمة
 بيان اشارة الى صواب البيت الذي يحسن به معناه، اذ لا يخفى
 ان لا مناسبة للعذال هنا . وفى ص 88 تعليق على ترجمة أبى
 الحرم الماكسينى نصه .. «التكملة من معجم الادباء ونكت
 الهميان وبغية الوعاة، ولم نر للمحقق الفاضل تكملة زاد بها
 شيئاً على ما فى الاصل «من مديلة ما كسين، وفى المطبوع
 «من ما كسين، وأظن أنه اراد ان يحيل على مصادر ترجمة هذا
 الاديب فسبق القلم الى ذكر التكملة . وفى ص 87 وردت
 هذه الابيات التى يمدح بها الشاعر ابن نوفل وزير حلب ابن
 الموصول :

وصل الموصول كل على	بك يامن لا نظير له
لك دون المبتلى حسدا	آخر قد زان أوله
وسماح ناهض ، وله	خلق فى الناس أسفله
وكفاه أن يذوب جوى	كلما أصبحت مخمله

ويذوق الموت من كمد كلما حاذيت منزله
والورى داع ومسلتفت وسؤول مد أنمله

وقد ضبط فى البيت الاول كل على بتنوين كل وفتح
عين على ، ولا شك أن الشاعر بخاطب الممدوح ويذكر أن
والده الذي اسمه الموصول ، وصل به كل على ، فحق كل
على النصب والاضافة الى وعلى بضم العين. كذلك ضبط أسفله
فى آخر البيت الثالث بضم اللام وهو القافية التى يجب ان
تكون مفتوحة كأخواتها قبلها وبعدها. ومخمله جاءت فى
الكتاب تخمله فعلا مضارعا فارتفع اللام واختلفت القافية .
وحاذيت كتبت حازيت بالزاي وهو خطأ مطبعي ولا شك .
وفى ص 91 وقع ذكر الشريف أبي القاسم السبتي شارح
مقصورة حازم فى التعليق ، فجاءت نسبته البلدية هكذا (البتى)
وهو بلا شك خطأ مطبعي . وفى ص 95 هذا البيت من قطعة .

بقانا الحسود ولسنا كما يقول ولكن كما يعلم

وبقانا هذه هي فى الاصل نعانا وكلاهما غير دقيق التعبير
عما يريده القاضي أبو حفص بن عمر صاحب الابيات ، وهو
من هو جودة شعر وبراعة نظم ، فهل تكون محرفة عن هجانا؟
وفى صفحة 98 نبتدى ترجمة الجراوي الشاعر المشهور
وقد تكرر اسمه فى المخطوطة بصورة الكوراي لا الكوارئي

كما أثبت في الطبع . وكثر الاضطراب في اسمه عند كثير
ممن ترجموه . وقد بينا ذلك في ترجمته من سلسلة ذكريات
مشاهير رجال المغرب ، وهي الحلقة السادسة ، ووقع في ترجمته
هذه بعض الاغلاط منها ضبط نادلا ، بلاد الشاعر ، بفتح الدال ،
والمعروف فيه الكسر ، ومنها تحديد موقع جراوة قبيلة الشاعر
ومنها الغلط في تاريخ الدولة الموحدية والحفصية ، جاء فيها
المفضلية وغير ذلك ونظن أن هذه الصفحة لم يصححها الاستاذ
المحقق نفسه . وفي ص 102 هذا البيت .

أنحى الزمان على الاغرار واجتهدت

في قطع دابرهم أحداثه السود
والاغرار هنا صوابها الاغراز . . لان المراد بهم قراقوش
الغزى ومن لف لفه . وهي كذلك في المخطوطة التي جرى
عليها الطبع . وبعده :

ونازعتهم سيوف الهند أنفسهم فلم يفدهم عن الهيجاء تغريد
وصواب الكلمة الاخيرة تعريد بالعين المهملة اي فرار ،
وفي 108 هذا المطلع . .

أحاطت بغايات العلا والمفاخر على قدم الدنيا هلال بن عامر
وقد ضبط قدم بفتح القاف والصواب كسره . ومن هذه
القصيدة أيضا في نفس الصفحة . .

وكم قد أقاموا من عروش موائل

وكم قد أقالوا من جدود عواثر

وموائل هنا صوابها موائل بالهمزة. وفي ص 106 هذا البيت

يمت بالثلب والرقاعة والسخف وأما ما سواه فلا

وقد سقطت الباء في ما فصوابه وأما بما سواه. وفي ص 107

هذا البيت في الخمر :

من الماء فيها للحجاب عمائم وللنور منها في الأكف ذوائب

وقد ضبط النور بفتح النون ولعل الصواب ضمها ، وفيها.

قد يكرم القرد اعجابا بخسته ، وثبت القرد بالفاء فأوهم

أنه الفرد بالفتح وهو القرد بالقاف المكسورة وفي ص 114

ياتاؤها باجاهلا يا قاطعا كل مقال جاء من قائل

والبيت من السريع فياء النداء في ياقاطعا زائدة ، وفيها

هذا البيت من قطعة . .

ما فيهم بعد أبي جعفر إلا امام وارث بغى امام

وبغى هنا خطأ صوابها عن ، فإن الوزن والمعنى يختلان

ببغى

وفي 132 وقع ذكر العبيد بين الفاطميين وضبط العين

من هذا الاسم بالفتح والصواب الضم، وفي ص 133 هذا البيت:

ولم أكن أغلط في مثله لكن رمتني ثقتي بالشفيع

وصواب رمتني هذه دهنتى كما بالاصل . وفيها هذا البيت
ايضا من قطعة فى القلم ..
يموت فيحيى ثم يفرغ زاده فيرجع للقبر الذى فيه تيما
وصوابه الذى منه قيما بالقاف كما بالاصل ويعنى الشاعر
بالقبر الدواة .

وفى ص 147 ورد هذا البيت .
فاوسعه على التفسير حمدا ويوسعنى على الاحسان ذما
واظن ان صواب قراءته على التقبيح .
وفى ص 150 من جملة اوصاف لبعض بنى عبد المومن ..
«أسفحهم يدا» وأظن ان صحة قراءتها واسمهم وفى الصفحة
التى بعدها هذا البيت من قطعة .
لا تحقرن صغيرا وتهملن غموضه

وقد ضبط لفظ غموضه بفتح الغين وعلق الاستاذ عليه
بأن الغموضة هو الخامل الذليل . ولم أقف على الغموضة فيما
بين يدي من كتب اللغة ، وأرى ان الاولى ضم الغين من هذا
اللفظ على أنه الغموض مضافا الى ضمير المتحدث عنه وهو
الحقير . ولا حاجة حينئذ الى الاغراب بجعله غموضة .

هذا ما سنع لنا من التوجيهات فى هذه التوافه التى كثرت
عددا وقللت حاصلها ، ولا نبرىء انفسنا مما يكون قد وقع لنا

فيها من السهو والغلط فالانسان معدن الخطأ والنسيان ..
ونتقدم الى الاستاذ المحقق بجزيل الشكر على ما اتاح لنا من
التمتع بهذا الكتاب في حلة النشر الباهرة التي لا ينقص منها
شيئا وقوع مثل هذه الهفوات الصغيرة الى جانب حسنات
التحقيق الكبيرة ونؤكد له مزيد احترامنا وتقديرنا .



بيت التطبيع... والتصحيح

يجهد الكاتب نفسه فيحرر المقال كما يجب ان يكون
الفاظا متخيرة يجانس بعضها بعضا وأسلوبا مشرقا جميلا يملك
على القاريء مشاعره وحواسه ، وأفكارا منسقة ، وموضوعا
طريفا يثير اهتمام من صار لا يبالي ما ينشر ولا بحفل بما يقال
ثم يدفع به الى الصحيفة التي ألحت عليه ، ورغبت منه أن
يكتب إليها من غير أن تدفع له بدل أتعاب ، ولا أن تجزيه
على ذلك ولو بالكلم الطيب . فاذا به وقد صدر في الصحيفة ،
تغيرت معالمة ، وتذكرت معارفه ، فمن تطبيع أفسد تراكيبه
وجمله ، الى تصحيح حضرة رئيس التحرير الذي خيل إليه أنه
صار عديلا لليازجي والبرقوقي والبشري وعلي يوسف والزيات
وفؤاد صروف واضرابهم من أئمة البيان وأعلام الادب الذين رأسوا
تحرير صحف شهيرة فبلغوا بها أعلى مستو للبلاغة العربية ..
فهو لذلك لا يحجم أن يبدل هذه اللفظة بغيرها ، ويزيد هذه الكلمة
هناك ويحذف تلك من هناك ، وهكذا ..

وما أذكر اني نشرت مقالا وسلم من تطبيع ولو في كلمة
واحدة او تصحيح من هذا القبيل .
وأقدم ما أذكره من ذلك أني نشرت بإحدى الصحف المغربية من

نحو عشرين سنة خلت قصيدة أقول فيها :

ولا غروى فإنك من علمنا اماما لا نقيس به اماما

فحذف رئيس التحرير الالف المقصورة من غروى طمانا

ان غروى لاتكون الا (غرو) بدون الف كما اشتهرت . وجاهلا

في الوقت نفسه ان حذف الالف منها يخل بوزن البيت، وكان

هذا الرئيس في عيني شيئا كبيرا ، فاستهنت به من يومئذ . .

وكتبت مرة مقالا لاحدى المجلات ف وقعت فيه كلمة مضعوف

فأبدلها المصحح بكلمة ضعيف ، وهو وان لم يفسد المعنى ، فقد

حز في نفسي ان يظن اني خالفت القياس مع ان كلمة مضعوف

صحيحة فصحية مسموعة من العرب ونطقت بها شعراؤها قال لبيد:

وعالين مضعوفا وفردا سموطه جمان ومرجان يشك المفاصلا

وقال حافظ ابراهيم في قصيدته العمرية الشهيرة :

كم خفت فيه الله مضعوفا دعاك به

وكم اخفت ضعيفا يثني تيمها

وثبت لي في بعض الموضوعات هذان البيتان :

وما هند الا مهرة عربية سلالة افراس تحللها نفل

فان انجبت مهرا كريما فالبحرى

وان يك اقراف فما انجب الفحل

فكتب حضرة المصحح عليه ان الصواب بغل بالباء وما

دری ان الامر كما قيل : «من الكفر فروا، فان البغل لا نسل له . وقد نبه الناس على هذا قديما كما عند الحريري في «درة الغواص» وغيره .

وفى هذا الموضوع نفسه جاء ذكر القتب وتفسيره بانه رجل صغير فصحف رجل فى الطبع برجل فكان موجبا للضحك ان يفسر القتب بانه رجل صغير !

واللطيف فى هذا الباب ان بعض «الاساتذة» زارنى يوما فى المدرسة فوقف يقرأ اللوائح والتعليمات المدرسية المتعلقة على الجدران وكان فى احداها هذه العبارة «معارضة القرآن، فوجه الخطاب الى بعض الفقهاء المتشددین من اصحابنا، وقال له على سبيل التنكيت : «ها انت ترى انهم يعارضون القرآن هنا ! ، وفاته ان المراد بهذه العبارة هو عرض التلميذ ما معه من القرآن على معلمه ليختبر حفظه . وقد جاءت فى الحديث الشريف وهو ان جبريل عليه السلام كان يعارض النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن فى كل سنة مرة وانه عارضه، فى السنة التى توفي فيها ، مرتين .

والطف من هذه انى كتبت لاحدى الصحف مقالا بعنوان «محنة فلسطين» ، ففضل حضرة الرئيس وزاد فى العنوان كلمتى العربية الخالدة ! فلم يدر احد هل هذا الوصف راجع

للمحنة ام لفلسطين !! وبقي الكلام من قبيل (ليت عليه
سوا) ..

وقلت في مقال ما ان الدول الصغرى تنساق بحبل الدول
الكبرى فرأى حضرة الرئيس ان الدول جمع والحبل مفرد فجمعه
على أحبل وكان أحد اصدقائنا الادباء يقرأ المقال فقلت له: «والله
لو وقعت لي هذه اللفظة فى الضرورة لكنت حريصا ان اتجنبها
، فكيف فى السعة ؟ ، ولكن هكذا حكم حضرة الرئيس !!!

ومن خفي التطبيع ما وقع لي في بيت من قصيدة قتلها
فى عيد العرش ونشرتها بجريدة . ما وهو :
ووليت وجهها يستضاء بنوره

الى الشرق، ان العرب بالشرق اعد
فصفحت كلمة اعد بالعين باقصد بالصاد ، وخفيت على
المصحح ، وتنوقلت بعد كذلك كما نشرت .

واخفى من هذا ما وقع ايضا فى بيت من قصيدة رثيت
بها الامير شكيب ارسلان رحمه الله وهو :

سقط الرائد الذي مهد السبـ ل وسنى الفتوح للابطال

فقد صحف فعل سنى الرباعي بسن الثلاثى ، ومر على
المصحح الاول فى الجريدة الاولى التى نشرت فيها القصيدة -
ان لم يكن هو الذي تفضل بتصحيحه - وتنوقلت القصيدة بعد

ذلك على هذا التصحيف . ولم يكن المراد ان يقال ان الامير رحمه الله هو الذي سن الفتوح للابطال ، وانما المراد انه سناها اي سهلها وهذا ما يناسب وصفه بالرائد ولا يصل الى حد المبالغة الكاذبة في العبارة الاولى .

هذا قل من كثر ، من الهنوات التي نراها كل يوم فيما ننشره او ينشره غيرنا بالصحف مما لو تتبعناه لطلال بنا الكلام . وكثيرا ما يحمل وزره على المطبعة وعمالها المساكين ، ولكن المصححين في الحقيقة هم الذين يتولون كبره . ولذلك اشركناهم في المسؤولية ، بل جعلناهم هم المسؤول الاول في كل ما يقع من هذا التشويه .

واذا واقتنا الفرصة فسنعود الى الموضوع بأوسع من هذا مشركين فيه بعض الناقدين ، وما لهم من الغرائب في هذا الباب .

ديوان الشاعر القروي

عرف الاستاذ رشيد سليم الخوري بلقب الشاعر القروي منذ سنين عدة حتى كاد يطفى هذا اللقب الجميل على اسمه العلم. ولم يكن هذا اللقب مما خلعه عليه أحد أصدقائه او معارفه (ومعارف القروي كلهم اصدقاء في حسبانهم حتى تتكشفهم الايام) وانما كان هو التوقيع الذي يتستر خلفه حين ينشر احدى قصائده او مقطعاته ، ولا يرغب في الاعلان عن نفسه فما لبث ان غالب اللقب الاسم و صار اكثر ما يعرف به حتى ان كثيرين لا يعرفون ما اسمه وان كانوا يعرفون لقبه وشعره جد المعرفة واذا كان الشاعر القديم يقول :

وقلما ابصرت عينك ذالقب الا ومعناه ان حققت في لقبه
فان هذا المعنى يلوح جليا في الشاعر القروي بحيث يحدد لقبه شاعريته ويجلوها للمقاريء قبل ان يحددها النقد ويجلوها التمحيص. وما الشاعر القروي الا وليد احدى القرى اللبنانية وربى الجبل الملهم الذي يكاد يوحى بالشعر لابنائهم كافة. فمنهم من يكون امينا على وحيه يؤديه كما تلقاه طلقا كنسيمة شذيا كأرزه لاتصنع فيه ولا تعمل كالطبيعة القروية سذاجة وسماحة ومنهم من يقع فيما وقع فيه «ابو المرقال» فلا هو بمشيته ولا بمشية الحمامة !

ولما كان شاعرنا من الرعيل الاول بل من طلائئه فإن شعره لم يكن الا مرآة صافية يمثل نفسه وبيئته وقومه العرب ، في كل ما له او لهم من آمال وآلام وماض وحاضر ومستقبل غير حافل الا بعباداتهم واخلاقهم ، ولا معرج الا على تاريخهم وحضارتهم ، فلا اقليمية ولا طائفية ، ولا تفرنج ولا نزغة من النزغات الطائشة التي زل بها «خوارج» بعض البلاد العربية الجدد ، وانما هي العروبة «دين الامة العربية الشامل وشعارها وروحها وشمس اوطانها وهوى افئدتها وملتقى مانعدها من اقاليمها ولهجاتها» حتى الانظمة الجديدة من رأسمالية واشتراكية لم نستعوه ولم تستمل نفسه لايمانه بان شريعة العروبة فيها ما يغني ويقني «وقد سبقت العروبة النظامين كليهما في ضرب المثل الاعلى للديمقراطية الحققة» فهي لا يعوزها بعض ما جد في دساتير الناس بقدر ما يعوزها حكومة منها قوية تحترم وتطبق دستورها هي .

قبل الثورة الفرنسية وقبل شريعة تحرير العبيد الاسمية في أمريكا بأكثر من ألف سنة جهر شاعرنا العربي الاعظم ببدا الحرية والاخاء والمساواة. فجعل فك الرقاب كفارة عن الذنوب وزلفى الى الله وقال في حديثه الانسان اخو الانسان حب ام كره فبقليل من الاجتهاد تلافى التصادم مع احدث الانظمة الاقتصادية،

الى آخر ما قاله الشاعر في مقدمته لديوانه التي جعلها ترجمة
لنفسه وتعبيراً عن آرائه في شتى المسائل والمشاكل وقد عكست مرآة
شعره هذه الآراء بما لا مزيد عليه من الوضوح والبيان لان البر
بالعروبة يكسب صاحبه قوة عارضة وبلاغة منطق فلفة العروبة
« هي اللغة الخصبة الخلاقة المطواع . لغة اهل الجنة ، اللغة التي
اتسعت لرسالة الرحمان ، اللغة التي ملكت فصحاها السنة
افذاذ الادب العربي ، وألفت بين قلوبهم في كل قطر سحيق
والتي يتناشد الحانها بلابل الشعر من الخليج الفارسي الى المغرب
الاقصى ، وهكذا سلمت عربية الشاعر القروي من عنجهية
المتفصحين ومن ابتذال المجددين الزيوف وجاءت بين بين .
منسجمة مع روح العروبة الابية المفضل !

والشعور الوطني عند صاحبنا القروي لا يتركز مطلقا
في تلك البقعة الضيقة من بلاد العرب التي هي لبنان . ثم
يفيض بعد ذلك من احساسه على باقي البلاد العربية كما هو
الحال عند غيره من شعراء الوطنية العرب ، وانما هو على
العكس يتركز في الوطنية العربية العامة التي تنتظم بلاد العرب
جمعاء ثم يفيض من خلجاته وذكريات ايامه السعيدة على بلده
لبنان كما رأينا فيما اقتبسناه من كلماته السابقة ، ويحلون لنا
ان نؤكد به عباراته الانية : « امتي انا مكثرا ، ووطني انا مكبرا .

إذا اقتطع ذئاب الاستعمار منه قطعة فكانما اكلوا جارية من جوارحي ، وإذا هدرُوا عربيا في لبنان او نطوان فكانما شربوا نغبة من دمي. وكان كل بلد قوي من بلادي ساعدى مفتولا، وتل شعب خامل فيها زندي مشلولا. بل ما اعد ذاتى الا خلية في جسد امتى ، انا واحد من سبعين مليوناً من العرب ، كل واحد منهم انا. فينبغى ان احبهم سبعين مليون ضعف حبى لنفسى ، من اقتداهم فكانما احيانى سبعين مليون مرة ، ومن خانهم فكانما قتلنى مثلها ،

هذه هي سريرة الشاعر القوي مجلوة على منصة شعره ، وهذا هو شعره مرآة لضميره الطاهر النقي الذي يصدر عنه مثل قصيدة «حُضن الام» التي لا نملك ان نعجب بها ونحن من المسلمين الموحدين ، كما يصدر عنه مثل قصيدة «وعدبلفور» في شدة صولتها على الصليبيين والصهيونيين بالسواء .

وبعد فماذا يمكننا ان نعرضه من شعر الشاعر القروي وكله درر وغرر وهو مع ذلك يملا ما بين دفتى ديوان يبلغ تعددا صفحاته 900 او يزيد ؟ اذنا نفضل ان نحيل القارىء المشغوف بالشعر الجيد الى منبعه في هذا الديوان واذا كان لنا ان نكتفى بمثال واحد منه فليكن هذا المثال هو هذه

الابيات الشاعرة التى يحىي فيها جلالة ملكنا المحبوب سيدي
 محمد بن يوسف ويشيد بشخصيته العبقريّة ، مقدمين منها دليلا
 ناطقا الى من كفروا باياديّه والى من خفروا بعهودهم له ، على
 ان «عملهم» انما هو لعنة تنصب عليهم من جميع اقطار العالم
 وحكم على ديمقراطيتهم المزعومة بالفشل والهزيمة «وقد
 خاب من حمل ظلما»^(١)

قال الشاعر القروي بعنوان «محمد بن يوسف سلطان المغرب» :

كوكب المغرب الذي ابتعث الامال نضرا ، وقبت شر الافول
 بشرتنا عنك الاحاديث فالالة — طار نشوى بذكرك السلسبيل
 سيرة طأطأ الملوك لها الهام وشغل بكل سام جليل
 حملك اسم الرسول فال جميل مؤذن بانبعاث عهد الرسول
 فارأب الصدع واجمع الشمل وارفع علم العلم في الجهاد الطويل
 ان في ذكر «طارق» للهبيا يتلظى في كل عرق اصيل
 نحن من أبعد المطارح بالتأ بيد ندعو للمنقذ المامول

(١) كتب هذا التقرير في الشهور الاولى لابعاد جلالة الملك .

ادب اليوسي

جاءنا من صاحب الامضاء كتاب يقول فيه بعد الديباجة :
هل اوجدتم المنتخب من شعر اليوسي الذي ذكرتم في
مقدمتكم المنتخب من شعر ابن زاكور انكم مشتغلون به ؟ وما
نظركم في أدب اليوسي ومصادره وعلاقته مع الادباء الاندلسيين
والشرقيين ؟ ولقد ذكرتم ان ابن زاكور اقتبس ذوقه وأسرار
الشعر من اليوسي ، وكيف يصح ان يصعد اليوسي الى هذه الدرجة
في المعارف الادبية مع أنه ليست له دراسة الا بجنوب المغرب
وفي الزوايا ، ولم يعاشر الاوساط العلمية بمدينة الحضر كفاس
وسلا ؟ وكيف كان الادب المغربي في زمان المولى اسمعيل
وبأي أوصاف يختص ، ومن هم رجاله العظام ، وما هي تصانيفهم
الكبرى في تلك المدة ؟ .. نرجو منكم الافادة عن هذه الاسئلة
ولكم منا جزيل الشكر وحسن الثناء .

م . بيرك

وقد أجبناه بما يلي :

ان كتاب المنتخب من شعر اليوسي موجود تمام من زمان
واني أنتظر فرصة طبعه على مثال المنتخب من شعر ابن زاكور
اعني بحروف مشكولة وبمقدمة وتعاليق تفسيرية ، وعلى ورق

جميل . ولكن حيث ان هذه الشروط تقتضي نفقات كبيرة فاني اتوخى ان يقوم بطبعه احد المعاهد العلمية او احد الناشرين في الشرق .

اما عن ادب اليوسي ومصادره وعلاقته مع الادباء الاندلسيين والشرقيين فمجمال القول في ذلك ان ادبه ادب حي ، يستمد من فكرة وقادة وثقافة عربية واسعة . ففي النثر له قلم سيال يصرفه في ضروب الانشاء كيف شاء . وفي الشعر له نفس عال يجاري به كبار الشعراء من العرب الاولين ، ولذلك تجده متين العبارة جزل الالفاظ أشبه بشعر شعراء الجاهلية وصدر الاسلام منه شعر المولدين وشعراء الحضرمين العراقيين والاندلسيين فان كنتم تعنون بعلاقته مع الادباء الاندلسيين والشرقيين مبلغ تأثيره بهم ، فانا أرى أنه لم يتأثر الا بمتن ذكرت من الشعراء الاولين ، وان كنتم تعنون بعلاقته معهم العلائق الشخصية فانتم تعلمون انه في زمانه لم يكن هناك أندلس ولا شعراء اندلسيون . وكذلك كان الادب . والشعر بالخصوص ، في الشرق ضعيفا متأخرا لغلبة الجهل والعجمة بسبب سيطرة الاتراك على بلاد الشرق العربي وقلة تشجيعهم للادب وأهله وما تعجبتم منه من كون ابن زاكور اقتبس منه وأدبه من اليوسى مع أن اليوسى انما درس بالجنوب المغربي وفي الزوايا ، ولم ينشأ في الاوساط الادبية الحضرمية

كفاس وغيرها، فالجواب عنه ان ابن زاكور نفسه ذكر تأثيره باليوسى فى هذا الصدد. واذا تتبعنا شعرهما وقارنا بعضه ببعض نجد تشابها كبيرا فى الاسلوب والموضوع بل حتى فى الصور النظامية من الاوزان والقوافى. والواقع ان متانة ابن زاكور انما جاءت من اليوسى ، والا فقد طال العهد فى المغرب من زمان السعديين فما قبله بشاعر قوى الاسر من الناحية اللغوية مثل ابن زاكور ، وعندنا شعراء معاصرون له نشأوا فى فاس حيث نشأ هو، ولكنهم لم يتصلوا باليوسى ولم يتعلموا له كما تتلمذ ابن زاكور ؛ والفرق بين شعرهم وشعر ابن زكور من هذه الناحية واضح جدا بحيث لا يحتاج للتوقيف عليه .

ومن هنا تعلمون ان الثقافة الادبية واللغوية فى عصر اليوسى لم تكن قاصرة على حاضرة فاس وأمثالها بل انها كانت فى الناحية التى درس فيه اليوسى اقوى منها فى فاس بل اننا نقول أن الثقافة اللغوية المتينة التى كانت موجودة فى زاوية الدلاء ، حيث درس اليوسى هى التى احبت ذماء الادب فى المغرب بعد العدم وسر ذلك ان الفتنة التى استولت على المغرب بعد موت المنصور الذهبى جعلت اعلام المغرب ينحازون الى البادية حيث يأمنون على انفسهم من اعتداء المعتدين واستغلالهم من طرف المتوثبين . وفى القصيدة الرائبة التى

رثى بها اليوسى هذه الزاوية لما خر بها المولى رشيد تنويه كبير
بما كان لها من مكانة علمية عظيمة وكذلك فى القصيدة الدالية
الشهيرة التى مدح بها الشيخ ابن ناصر اشعار بما كان لهذا
الشيخ من يد طولى فى العلوم ، ناهيك انه كان يدرس لطلاب
كتاب سيبويه الذى لم يدرس بفاس من عهد المكودي وهاتان
القصيدتان نفسيهما مما يندر ان يصدر مثله عن شعراء فاس
وغيرها فى ذلك الوقت. وقد ألقى اليوسى بفاس دروسا عالية
بأمر من السلطان مولاي اسمعيل وكان يحضرها غالب علماء
فاس الا بعض المنافسين له. وقال شعراً فى ذلك ، وأجيب بشعر
مضاد كما هو معروف .

بقيت كلمة عن الادب فى عهد مولاي اسمعيل ورجاله
وتصانيفهم . وهى باختصار ان الادب المغربى فى عهد هذا
السلطان بدأ يأخذ استقراره بفاس والعواصم الاخرى بعد
الاضطراب الذى أصابه بسبب الفتن الداخلية . وابن زاكور
من أبرز رجال الادب فى هذا العصر وتصانيفه قد ذكرتها فى
كتاب المنتخب من شعره . ومن رجال الادب فى هذا العصر
الشريف العلمى وكتابه الانيس المطرب قد تضمن نراجم عدة
من أدباء هذا العصر. ومن رجاله أيضا الاديب مصباح وله ديوان
شعر سأعمل على نشره بحول الله. وقد ذكرت له قصيدة نادرة

في الجزء الثاني من النبوغ المغربي وله تصانيف اخرى هذا فضلا عن اليوسي الذي يعد استاذهم وامامهم ، وله كتب ادبية طريفة منها المحاضرات والقانون وزهر الاكم في الامثال والحكم وغيرها .

وأخيرا اشكركم على ما اتحتم لي من فرصة التحدث في هذه الشؤون التي قل من يعني بها عندنا، لانحطاط الثقافة الادبية واقبال الناس على المصالح المادية دون غيرها من الروحيات والمعنويات . وعسى ان يكون في هذا الحديث مقنع وتحياتي لكم ختام .

اخطاء مطبعية

المرجو اصلاحها بالقلم على الجدول الاتي :

ص	س	خ	ص
3	3	المجموعة	مجموعة
7	6	واذا	واذ
10	12	بربن	بربر
12	2	ان لها	ان له
12	17	خيبرا	خبرا
14	15	وهما	وهي
16	4	بشاشته	بشاشة
21	16	ولعل	ولعلها
24	19	اتمحر	انظر
39	11	أغمات مسرورا	اغمات مأسورا
53	17	تنتقص	تنتقص
54	8	ذلك على	على ذلك
56	1	الوزن	بالوزن
66	1	طهارته	ظهارته
84	15	وهو	وهم
102	13	البرتغاليون	البرتغاليين
110	17	ليونسي	ليونس
128	15	الصنعاني	الصغاني
135	9	توجد	لا توجد
146	18	اعذرنا الا بسؤال	اعذرنا بسؤال

ص	س	خ	ص
168	11	ولاده	ولادة
173	7		أي صيرها الى تمام الجملة هذا الكلام تزحلق عن مكانه في السطر 15 بعد كلمة للتخفيف
176	1	الصبيه	الطبية
176	15	ما يظهر	على ما يظهر
181	9	لم يمكنني	لم يمكنني
182	15,14	الامم	الاسم
195	9	ترداد	ترتاد
228	6	مرتتين	مرتبين
234	1	بدعة	جذعة
247	3	الحكة	الحكمة
252	3	لانها	لانهما
256	19	يبرأ	يبرآ
266	8	قتلها	قلنها
276	4	لطلاب	لطلاب

فهرس

مقدمة	3
عهد مازنغ	5
سابق البربري	10
الشعر الاندلسي	23
عاميتنا والمعجمية	59
من تاريخ الفدائية في الاسلام	88
حول وقعة وادي المخازن	96
الكتب المنسوبة لغير مؤلفيها	109
المعزى بفتح الميم	115
المخطوطات العربية في تطوان	120
النقد والقومية العربية	148
المغرب في حلى المغرب	159
هل الشعر في تراجع	198
جائزة الشعر الملقاة	201
ايهما يكون الآخر ، المجلة ام القراء ؟	207

211	بعد احتجاب المجلات المصرية
218	نعي وفاة
222	يمين جبيلين
226	مؤتمر أدباء العرب
249	كتاب الغصون اليانعة
263	بين التطبيع والتصحيح
268	ديوان الشاعر القروي
273	أدب اليوسي
279	أخطاء مطبعية

المطبعة المهدية - تطوان (المغرب)